جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الاتِّساقُ النَّصِّيُّ في مَسْنَدِ الإمامِ الباقرِ (عليه السلام)

رسالة تقدّم بها الطالب

علي نعمة جابر

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة المثنى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/اللغة.

إشراف

الأستاذ الدكتور

صاحب منشد عباس

٢٠٢٣ م ١٤٤٤ هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا
عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

البقرة:٣٢

توصية المشرف

أشـهد أنَّ إعـداد رسـالة الطالـب (**علـي نعمـة جـابر**) الموسـومة بـ **(الاتسـاق النصـي فـي مسـند الإمـام البـاقر عليـه السـلام)** , قـد جـرى تحـت إشـرافي , فـي جامعــة المثنــى / كليــة التربيــة للعلــوم الإنســانية / قســم اللغــة العربيــة , وهــي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / لغة .

الإمضاء :

المشرف : أ. د صاحب عباس منشد

التاريخ : ٤/ ٦ / ٢٠٢٣

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة :

رئيس قسم اللغة العربية :

الإمضاء :

الاسم : أ. م. د محمود عبد حمد اللامي

التاريخ : ٤/ ٦/ ٢٠٢٣

الإهداء :

إلى من بُعِث رحمة للعالمين , سيدي ومعتمدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

إلى باقر علوم آل محمد , سيدي ومولاي الإمام الباقر " عليه السلام" .

إلى سندي الوحيد في الحياة وفارقني في بداية رحلتي في الماجستير, والدي " رحمه الله " .

إلى من سهرت الليل لراحتي, واستقبلت الفجر بالدعاء لي, والدتي أطال الله عمرها خيراً .

إلى أساتيذي في قسم اللغة العربية , تقديرا وحبًّا .

إلى من أصبو دائماً لرؤية نظرات الفخر في أعينهم, أخواتي الأربع جميعاً, وأصدقائي وزملاء الدرس .

إلى كل من تمنى لي الخير ودعا الله لأجلي, ودعمني وساعدني,

أهديكم ما أنجزت .

الباحث

شكر وعرفان

الحمد لله استكمالاً لنعمته , واستتماماً لفضله ومنه , فإنَّه أعظم من خلق وخير من رزق , فله الحمد والشكر دائماً وأبداً .

بعد شكر الخالق , فإنَّ العرفان بالجميل يقضي أن أتقدم بجزيل شكري , وفائق تقديري لأستاذي المفضال الأستاذ الدكتور صاحب منشد عباس الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على الرسالة , وساعدني على فتح مغاليق بحثي بمتابعته المستمرة , ونصائحه القيّمة , وسعة صدره , فكان نعم المشرف الناصح , فله مني أستاذي الكريم أصدق عبارات الشكر , وجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء .

والشكر موصول إلى أساتيذي في قسم اللغة العربية , الذين لم يدخروا جهداً في خدمة العلم , وأفدت منهم في مراحل دراستي الأولية والعليا , فزادهم الله علماً ورفعةً , وأسأله أن يجزيهم خير جزاء المحسنين .

وأقدم شكري وامتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة ؛ لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة , وقراءتها لتقويمها وتصويبها .

ولا أنسى في الشكر كل من كان له الفضل عليَّ , شكري الجزيل لأهلي الذين كانوا نعم السند طوال حياتي العلمية , وأسمى عبارات الشكر لكل من وقف معي وساعدني وشجَّعني بكلمة, ودعا لي بالتوفيق .

الباحث

قائمة المحتويات :

المقدمة	أ ـ د
التمهيد : التعريف بمسند الإمام الباقر عليه السلام	١ ـ ٥
الفصل الأول: الاتساق الصوتي	٦ ـ ٦٥
المبحث الأول الجناس	٧ ـ ٢٥
أثر الجناس في اتساق النص	٨ ـ ١٠
الجناس اللاحق	١١ ـ١٥
الجناس المضارع	١٥ ـ ١٩
الجناس المشتق	١٩ ـ ٢٥
المبحث الثاني : السجع	٢٦ ـ ٤٦
أثر السجع في اتساق النص	٢٨ ـ ٢٩
السجع المطرف	٣٠ ـ ٣٦
السجع المتوازي	٣٦ ـ ٤١
السجع المرصع	٤١ ـ ٤٦
المبحث الثالث التنغيم	٤٦ ـ ٦٤
وظائف التنغيم وأنماطه	٥٠ ـ ٥٢
أثر التنغيم في اتساق النص	٥٢ ـ ٥٥
النغمة الصاعدة	٥٥ ـ ٦٠
النغمة الهابطة	٦٠ ـ ٦٣
النغمة المستوية	٦٣ ـ ٦٥
الفصل الثاني : الاتساق النحوي	٦٦ ـ ١١٥

المبحث الأول : الإحالة	٦٦ ـ ٨٤
أثر الإحالة في اتساق النص	٧١ ـ ٧٢
الإحالة بالضمائر	٧٢ ـ ٧٨
الإحالة بأسماء الإشارة	٧٨ ـ ٨٢
الإحالة بالمقارنة	٨٢ ـ ٨٦
المبحث الثاني : الحذف	٨٧ ـ ١٠٠
علاقة الحذف بالمرجعية والاستبدال	٨٩ ـ ٩٠
أثر الحذف اتساق النص	٩٠ ـ ٩٢
حذف أكثر من جملة	٩٢ ـ ٩٣
حذف الجملة	٩٣ ـ ٩٦
حذف المفرد	٩٦ ـ ١٠٠
المبحث الثالث : الربط	١٠١ ـ ١١٥
أثر الربط في اتساق النص	١٠٤ ـ ١٠٥
الربط الإضافي	١٠٥ ـ ١٠٩
الربط الزمني	١٠٩ ـ ١١١
الربط الاستدراكي	١١١ ـ ١١٣
الربط السببي	١١٣ـ ١١٥
الفصل الثالث : الاتساق المعجمي	١١٦ ـ ١٤٠
المبحث الأول : التكرار	١١٨ ـ ١٣٠
أثر التكرار في اتساق النص	١٢٠ ـ ١٢١
التكرار المحض	١٢٢ ـ ١٢٥
تكرار الترادف	١٢٦ ـ ١٢٧

تكرار التوازي	١٢٧ ـ ١٢٩
تكرار الكلمة الشاملة	١٢٩ ـ ١٣٠
المبحث الثاني : المصاحبة المعجمية (التضام)	١٣١ ـ ١٤٠
أثر المصاحبة المعجمية في اتساق النص	١٣٢ ـ ١٣٣
التلازم الذكري	١٣٣ ـ ١٣٦
التضاد	١٣٦ ـ ١٤٠
الخاتمة	١٤١ ـ ١٤٣
المصادر والمراجع	١٤٤ ـ ١٦٣

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين , وأفضل الصلاة , وأزكى السلام على المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين , أما بعد :

دلّت الأدلة النقلية والعقلية على خصوصية الأئمة الأطهار بالعلوم عامة, والعلوم اللغوية بنحو خاص, فقد كان لعلوم الأئمة المساحة المهمة في الدراسات اللغوية العامة, والشاهد على ذلك ذهاب الغالبية العظمى من الدارسين في إيعاز تأسيس الدراسات النحوية للإمام علي (عليه السلام), حيث أشار على أبي الأسود الدؤلي بذلك, وهكذا فإنَّ علوم الأئمة أخذت مساحة لا بأس بها في حقول الدراسات اللغوية لدى الدارسين - قديماً وحديثاً - وها نحن هنا في رحاب شخصية من شخصيات الأئمة والتي وصفها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه باقر العلم, كما في حديثه لجابر بن عبد الله الأنصاري, وهو الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب , الباقر (عليه السلام) في مَسنده .

إن الإمام الباقر عليه السلام (ت ١١٤ هـ) يعد مثالاً لفصاحة العرب, فهو سليل البلاغة والفصاحة, وابن بيت قد زقوا العلم زقّاً, فهو من أمراء الكلام وأعلام العرب , لذا فقد وقع الاختيار على كلامه عليه السلام ؛ لما في نصوصه من البلاغة والكفاءة اللغوية العالية , وإن هذا المسند المجموع فيه كلام الإمام عليه السلام لم يأخذ حقه من الدراسات , إلا دراسة واحدة وكانت على مستوى الجملة أي أنها دراسة نحوية كلاسيكية, فتكونت الرغبة دراسة المسند في ضوء علم لغة النص, لتصبح دراستي هذه مكملة لما درسه الباحث (علي عزيز عبد الكريم) في رسالته الموسومة (الجملة الخبرية في كلام الإمام الباقر عليه السلام دراسة نحوية) .

أصبحت الدراسات النصية مبتغى الكثير من الباحثين, حتى لا يكاد عام يخلو من دراسة في ضوء لسانيات النص, مما جعلني أرغب في البحث في هذه

الدراسات لغرض الكسف عمّا هو جديد , فوقع اختياري على معيار واحد من معايير النصية التي جاء بها دي بو جراند , فكانت الدراسة مقتصرة على معيار الاتساق النصي فقط ؛ تجنباً للخلط الذي يقع في دارسو لسانيات النص وكذلك من أجل أن تكون الدراسة مركزة في هذا المعيار للبحث في وسائله كلها .

تنوعت النصوص المدروسة في متن الدراسية فتوزعت على مواعظه وأدعيته, ووصاياه, ونصوص تفسيرية .

وقد انتهجت المنهج الوصفي , والاتجاه النصي في تحليل الخطاب في رصد الأمثلة الإجرائية وتحليلها وفقاً للتحليل النصي في لسانيات النص, فجاءت الدراسة على خطة رسمت لها تبعاً لما تم جرده من مادة تخدم تبويب الدراسة , فجاءت على ثلاث فصول تسبقها مقدمة, وتتبعها خاتمة تضمنت أبرز نتائج الدراسة .

جاء الفصل الأول في دراسة الاتساق الصوتي , وقسمته على ثلاثة مباحث, فالمبحث الأول تضمن دراسة الجناس وأثره في اتساق النص , وفيه ثلاثة مطالب , فدرسته فيه الجناس اللاحق, والجناس المضارع, وجناس الاشتقاق, ثم أردفته ببعض الأنواع من الجناس نادرة الورود في المسند, أما المبحث الثاني فتناولت فيه دراسة السجع ووظيفته النصية التي تسهم في تماسك النص , فدرست أنواع السجع بأنواعه المختلفة وأثرها في اتساق النص , ثم جاءت دراسة التنغيم في ختام هذا الفصل , فدرست النغمات, وما تعطيه من قيمة وظيفية تسهم في ترابط النص على المستوى الصوتي, وأثر ذلك في اختلاف المعنى .

أما الفصل الثاني فدرسته فيه الاتساق النحوي ومدى أثر وسائله في اتساق النص وتماسكه, فقسمته على ثلاثة مباحث, كان أولها الإحالة, ودرست في هذا المبحث الإحالة بأنواعها وأثرها في وسق النصوص , وجاء المبحث الثاني في دراسة الحذف فتنوعت المحذوفات في كلام الإمام عليه السلام , فجاءت مطالب هذا المبحث على حذف أكثر من جملة, وحذف الجملة, وحذف المفرد (اسم ,

فعل), وجاءت نهاية هذا الفصل متمثلة بمبحث الربط , فدرست فيه أدوات الربط على وفق علاقاتها الترابطية, فقسمته على الربط الإضافي , والربط الزمني, والربط الاستدراكي, والربط السببي .

أما الفصل الأخير منها في الاتساق المعجمي وقد قسمت هذا الفصل على مبحثين, كان الأول منهما في دراسة التكرار ووظيفته النصية في اتساق النص في كلام الإمام الباقر عليه السلام , فدرس فيه التكرار المحض, فالتكرار المترادف, فالتكرار تكرار الكلمة الشاملة, ثم تكرار التوازي , ودراسة هذه الأنواع على وفق أثرها في تماسك النص, ثم جاء المبحث الثاني من هذا الفصل والأخير في الدراسة في دراسة المصاحبة المعجمية وما تقدمه هذه الوسيلة من وظيفة نصية تسهم بشكل كبير في اتساق النصوص .

ثم جاء بعد هذه الفصول خاتمة احتوت على نتائج الدراسة .

تنوعت مصادر الدراسة بين الكتب اللغوية العربية القديمة والكتاب الحديثة الغربية منها والعربية , منها كتب اللغة والنحو والبلاغة العربية, وقد كان استعمال المصادر القديمة قليلاً مقارنة باستعمال الكتب النصية الحديثة, وهذا ما تقتضيه طبيعة البحث, فأنصبّ الاهتمام بالأخذ عن مصادر الدراسات النصية فهي المرتكز الأساسي للباحث في علم لغة النص, ويجدر بالذكر أن الباحث قد أفاد من الدراسات السابقة في الجانب التنظيري للدراسة , واعتمد الباحث في الجانب التطبيقي على روايات الجامع لمسند الإمام الباقر عليه السلام, بعد العودة إلى كتب الرجال والحديث لتقوية الثقة بما موجود في متن الدراسة كي تخرج الدراسة من التساؤل بشأن صحة ما ورد في المسند من روايات, فانّصب جهد الباحث في البحث عن صحة الروايات قبل اعتمادها في الدراسة .

ومن منطلق أن من لا يشكر المخلوق لم يشكر الخالق , يجب القول أن هذا العمل ما كان ليستوي ويسلك طريقه الصحيح لولا المتابعة المكثفة والتوجيهات السديدة والقراءة المصححة الفاحصة التي أدلى بها شيخي وأستاذي (أ. د صاحب منشد عباس) فقد كان نِعم الموجه وصاحب الفضل الكبير في إكمال

هـذه الدراسـة , أسـأل الله أن يمـدّ فـي عمـره لخدمـة اللغـة العربيـة وطلابهـا, وجـزاه الله خير الجزاء .

وبعـد مسـعاي هـذا أسـال الله قبـول الأعمـال والرضـا , ولا أدعـي الكمـال فـي العمـل , فـلا يخلـو كـل عمـل مـن نقـص فالكمـال لله ولكتابـه فقـط, فـألتمس العـذر إن قصـرّت فـي جهـد أو وقـع منـي خطـأ سـهواً , فأنـا مـا زلـت فـي بدايـة طريـق البحـث العلمـي , فالجهـد الـذي بذلتـه فـي الدراسـة قـد يصـيبه الضـعف والخطـأ فـي مواضـع , فهو التجربة الأولى, ومن الله التوفيق والسداد عليه توكلت وإليه أنيب .

الباحث

التمهـيـد

- التعريف بمسند الإمام الباقر عليه السلام

- في مفهوم الاتساق النصي

التعريف بمسند الإمام الباقر عليه السلام :

يعد مسند الإمام الباقر عليه السلام الذي جمعه الشيخ عزيز الله العطاردي (ت ١٤٣٥هـ) جزءاً من موسوعته التي أطلق عليها (مسانيد أهل البيت عليهم السلام), وهو من ضمن المؤلفات المختصة بعلوم الحديث والأخبار, فالمسند جاء متكامل من جهة التأليف وجمع الأخبار, لذا فهو يمتاز بالعنونة الدقيقة لجميع الأبواب مما يسهل على الباحثين البحث فيه عمّا يريدون, فرّتبه العطاردي على ثلاثة فصول[١] :

الأول : في حياته عليه السلام , ومناقبه وخصائصه , ونصوص إمامته , ومكارم أخلاقه , وما جرى له مع خلفاء زمانه .

الثاني : في الأحاديث والأخبار الواردة عنه عليه السلام في الأصول والفروع والأحكام والسنن والآداب والمواعظ والأدعية وتفسير القرآن .

الثالث : معجم الرواة عن الإمام عليه السلام ومختصر حالاتهم , وما قيل فيهم من المدح والجرح .

سار العطاردي على رأي بعض علماء الحديث في أن يجمع كل الأحاديث الواردة عن الرواة مهما كان من كلام فيهم, فمنهم من تضاربت فيه الآراء, ولكنه ((لما كان ثابت السنن والآثار , وصحاح الأحاديث المنقولة والأخبار ملجأ المسلمين في الأحوال , ومركز المؤمنين في الأعمال))[٢] .

ومن مزايا المسند ومنهج العطاردي في الجمع أنه يأتي بالرواية بالسند المتواصل حتى ينتهي إلى الإمام الباقر عليه السلام , وكان إذا تكرر الإسناد لا يكرره في الحديث الآخر وهذا شائع عند علماء الحديث فمن الأحاديث ما يتكرر إسنادها ((فإن شآء أن يذكره في الإسناد في كل حديث منها , ويقول بعد الحديث

---

(١) مسند الإمام الباقر عليه السلام , عزيز الله العطاردي : ٨/١ .
(٢) الكفاية في علم الرواية , الخطيب البغدادي (ت٤٦٢هـ) : ٣ .

الأول وبالإسناد أو يقول وبه , أي الإسناد السابق وذلك هو الأغلب الأكثر في الاستعمال))[1] .

إنّ الأحاديث كما هو معروف تكون صحيحة وأحياناً تكون ضعيفة, وهذه مهمة من يبحث في علم الرجال, ولما كان العمل على الأمثلة الإجرائية والتي تكون روايات مسندة إلى أن يصل السند إلى الإمام الباقر عليه السلام , فكان لزاماً على الباحث البحث في شخوص الرواة وهم من أصحاب الإمام عليه السلام, لأنه وكما يذكر جامع المسند في مؤلف آخر له من أن الأمويين قد أصابهم الفشل, وانشغلوا بالعباسيين في الصراع على عرش الحكم, فسنحت الفرصة للإمامين الباقر وولده الصادق عليهما السلام من بعده , فاغتنما الفرصة ونشروا علومهما وأقاما المجالس, وبهذا قد كان التوافد عليهما كثيراً لنهل العلم والمعرفة والأحكام[2], فهذه الوفرة في أعداد من تلقى الأحاديث من الإمام الباقر عليه السلام, توجب على الباحث التأكد من صحة الروايات الواردة في متن الدراسة, فالكتب المذكورة في حواشي المسند معروفة ونسبتها لمؤلفيها صحيحة' بقي التأكد من ثقة وصدق الذين جاءت عنهم معظم الأحاديث وهم من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام , ونجد ضالتنا هذه في كتب علم الرجال , ولمعرفة أحوال الرواة الذين تكررت أسماؤهم في المسند ؛ للتثبت من صحة ما سندرسه في فصول الدراسة وتطبيق وسائل الاتساق النصي عليه ؛ لأن ((قيل أن السند هو الإخبار عن طريقه (أي طريق المتن) , لأن الصحة والضعف إنما ينسبان إلى الطريق باعتبار رواته لا باعتبار الإخبار))[3]

أول الشخصيات والذي جاءت عنه أكثر الروايات هو جابر بن يزيد الجعفي (ت١٢٧هـ), وهو من أصحاب الإمام عليه السلام , وقيل فيه :((من أعمدة

---

(1) الدراية في علم مصطلح الحديث , زين الدين العاملي (الشهيد الثاني) : ١١٨ .
(2) ينظر : مسند الإمام الرضا عليه السلام : مقدمة ج١/ ٧ .
(3) الدراية في علم مصطلح الحديث : ٧ .

واساطين المذهب الإمامي ومن الطبقة الأولى من أصحاب الائمة عليهم السلام , لا سيما الإمامين الباقرين عليهما السلام))[1] .

الكلام عن ثقة هذا الرجل وصدقه تكاد تكون إجماع عند علماء الفرق الإسلامية[2] , على خلاف النجاشي فهو الوحيد الذي ضعّفه , ونجد صاحب معجم رجال الحديث قد قال بثقته وصدقه وورعه في نقل الأحاديث, وسرد الحديث عن مسألة تضعيفه[3] لا يسع المقام لذكره, في حين عالم آخر يورد قول للإمام الصادق عليه السلام : ((فقال : رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا))[4], فتبدو ثقة هذا الراوي وصدقه واضحة ولا تحتاج إلى الإسهاب فيها التزاماً بالمنهج .

أما الثاني فهو زرارة بن أعين (ت١٤٨هـ) , فالأخبار عن هذا الرجل لا تقل عن سابقه فقد ذكره المختصون في علم الرجال قاطبة , وصنّفه الطوسي في قائمة الثقات[5] , وقيل عنه أيضاً : ((شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدّمهم, وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً, فقد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين, صادقاً فيما يرويه))[6].

وأما الثالث وهو أبان بن تغلب(١٤١هـ) , فهذا لا يقل منزل عن غيره , وهو من مشاهير رواة الإمامية ومحدثيهم, وهو ((عظيم المنزلة في أصحابنا , لقي علي بن الحسين, وأبا جعفر, وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم, وكانت له عندهم منزلة وقدِم))[7] .

---

(١) تفسير جابر بن يزيد الجعفي , جمعه : رسول كاظم عبد السادة : ١٥ , وينظر : جامع الرواة , البروجردي ١/ ١٢٤ , والفهرست, الطوسي : ٩٥ .
(٢) ينظر : لسان الميزان , ابن حجر العسقلاني : ٧/ ١٨٨ .
(٣) ينظر : معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة , أبو القاسم الخوئي (ت١٣٤٢هـ) : ٤/ ٣٣٦ ـ٣٤٦ .
(٤) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) : الطوسي , تح : جواد اليومي الأصفهاني : ١٦٩ .
(٥) ينظر : رجال الطوسي : ٥٨٤ .
(٦) معجم رجال الحديث : ٨/ ٢٢٥ .
(٧) المصدر نفسه : ١/ ١٣١ .

أما محمد بن مسلم (١٥٠هـ) , فقال عنه الصادق عليه السلام : ((فإنّه قد سمع من أبي وكان عنده وجيها))[١] , فالوجاهة التي اكتسبها هذا الرجل من صدقه وورعه في نقل الأحاديث والأخبار , وجاء في مدحه , ((وجه أصحابنا بالكوفة , صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام , وروى عنهما , وكان من أوثق الناس , له كتاب يسمى الأربعمائة مسألة في الحلال والحرام))[٢] .

ومن الرواة الذين تكررت أسماؤهم كثيراً في المسند هو إبراهيم بن نعيم العبدي (١٧٠هـ), والذي يسمّى الميزان , وهذه التسمية أطلقها عليه الإمام الصادق عليه السلام حيث قال له : ((أنت ميزان لا عين فيه))[٣] , وهذه التسمية كما يقول علماء علم الرجال جاءته لثقته وعدله .

وآخر الرواة الذي سنقف على ترجمته هو سليمان بن خالد , والذي قال عنه النجاشي أنه ((كان قارئاً , فقيهاً , وجهاً))[٤] , ولم أجد في كتب علم الرجال تضارباً في شأن هذا .

وفي هذه الالتفاتة السريعة والموجزة للمسند وترجمة أبرز رواة الإمام عليه, بل أن الأمثلة التطبيقية في متن الدراسة قد اعتمدت النصوص التي جاءت عن هؤلاء بإسنادهم عن الإمام صلوات الله عليه ؛ لكي يكون العمل قد سار تحت التحقيق والتثبّت من الكلام المدروس .

ـ في مفهوم الاتساق النصي :

مفهوم الاتساق دلالي يتمثل بعلاقات معنوية تسير على مستوى الشكل للنص , وهو أول المعايير التي جاء بها دي بو جراند ويعد أهمها[٥] , وقد حظي هذا المعيار بالعناية والاهتمام من قبل الدارسين في علم لغة النص , فهو الجوهر

(١) اختيار معرفة الرجال : ١٤٦ .
(٢) معجم رجال الحديث : ١٨/ ٢٦٠ ـ٢٦١ .
(٣) المصدر نفسه : ١/ ٢٨٧ .
(٤) رجال النجاشي : ١٨٠ .
(٥) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ ـ ١٠٥ .

الذي في تشكّل النص , وبدوره يسهم في جمع خيوط النص مما يؤدي بذلك إلى فهم النص وتفسيره , فيساعد في ملء فجواته, وتحديد السمات الشكلية في النص والتي تحدد بنيته الدلالية[١] , ولا يخلو تراثنا اللغوي العربي القديم من إشارات عن مفهوم الاتساق أو ما يحمل معناه من مصطلحات , فنجد الجاحظ يقول : ((وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء, سهل المخرج , فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا , وسبك سبكا واحدا))[٢], في حين قال ابن طباطبا : ((وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله))[٣] , وورد مصطلح الاتساق أيضا عند الجرجاني [٤] , وكذلك عند الزمخشري[٥] .

أما عند دارسي علم لغة النص فمهموم الاتساق معني بالأجزاء السطحية وترابط شكل النص, وهو((يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي))[٦], ومما لا يخرج عن هذا المفهوم ما قاله خطابي في الاتساق : ((يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص , لخطاب ما , ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته))[٧] , وأهم ما يحققه الاتساق في نص ما من صفة الإطراد والاستمرارية , بفضل ما يخلقه من علاقات خطية أفقية تعنى بالترابط والتتابع الجملي داخل عالم النص عن طريق الإجرارات المستعملة في الترابط الشكلي بين عناصر النص , مما يساعد المتلقي على متابعة القراءة وربط أجزاء النص .

---

(١) ينظر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات , فان دايك : ٢٧٥ .
(٢) البيان والتبين : ١/ ١٧ .
(٣) عيار الشعر : ١٣١ .
(٤) ينظر : دلائل الإعجاز : ٤٤ ـ ٤٥ .
(٥) ينظر : الكشّاف : ١/ ١٢٣ .
(٦) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .
(٧) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٥ .

الفصل الأول

الاتساق الصوتي

المبحث الأول : الجناس .

المبحث الثاني : السجع .

المبحث الثالث : التنغيم .

توطئة :

صبَّت الدراسات النصية اهتمامها في دراسة الاتساق النصي على الاتساق النحوي والمعجمي , ولم يلتفت الكثير من الباحثين إلى دراسة الاتساق الصوتي, على الرغم من أن الاتساق الصوتي يمثل ظاهرة لغوية بارزة في اللغات عامة, والعربية خاصة, بما ينماز به اللسان العربي عن غيره, بألفاظه الموحية بالمعنى, وبموسيقاه المطربة للأسماع, فلغته لغة طروب, ولغة تعبير وإيحاء[١] .

ولكن هناك إشارات قليلة نجدها عند دي بو جراند ودريسلر إلى مصطلح الوزن والقافية والتنغيم وأهميتها في اتساق النصوص[٢] , في حين أهملا الجوانب الصوتية الأخرى كالجناس والسجع, وقد سار على هذا الكثير من الباحثين الغرب والعرب, ولكنهم تنبّهوا مؤخراً إلى ما جاء في البلاغة العربية من فنون علم البديع من كلام عن السجع والجناس, وما تقدمه الفقرات المسجوعة والكلمات المتجانسة من علاقات صوتية يمكن دراستها في علم لغة النص تحت عنوان الاتساق الصوتي , ومن المستحسن أن يكون للاتساق الصوتي ((أفق جديد في منظور اللسانيات النصية وهو فاعلية البديع في ربط أجزاء النص))[٣] .[٣]

وتكمن فائدة المحسنات البديعية في دراسات علم لغة النص بما تضيفه من جمالية موسيقية, مما تجعل النصوص المسموعة والمقروءة متسقةً صوتياً[٤] , فالأصوات المتكررة في النص الواحد تكسبه قوة تماسكية , وتجذب المتلقي والقارئ نحو النص وبهذا تؤدي الأصوات والفنون البديعية في اتساق النص وتماسكه , ولا ينفك الاتساق الصوتي عن النوعين الآخرين من الاتساق النصي فيكمل أحدها الآخر ليظهر النص مترابطاً ومتّسقاً صوتياً ونحوياً ومعجمياً .

---

(١) ينظر: الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة , د. ظافر عبيس : ٥٥ .
(٢) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق , د. عزة شبل : ١٢٥ , ومدخل إلى علم لغة النص : ١١٥ ـ ١١٨ .
(٣) البديع بين البلاغة واللسانيات الأسلوبية , د. جميل عبد الحميد : ٧ .
(٤) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٢٠ .

المبحث الأول : الجناس

مفهومه:

سُمِيَ الجناسُ جناسا لمجيء ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة , ولا يشترط تماثل جميع الحروف , بل يكفي في التماثل ما يقرب به المجانسة [١], والمفهوم المتفق عليه للجناس قديما وحديثا هو اتفاق لفظين أو أكثر في أنواع الحروف, وأعدادها, وهيآتها ,وترتيبها, أو في بعضها, مع اختلافهما في المعنى [٢].

ويعد من المحسنات البديعية التي تأتي لغاية جمالية وتحسين اللفظ , فهو يعطي للكلمات جرسا موسيقيا خاصا , حتى قيل عنه ((من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ , تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة ,فتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة , فتجد في النفس القبول , وتتأثر به أي تأثير , وتقع في القلب أحسن موقع))[٣] , وبهذا القدر الذي بلغه الجناس جعل الباحثين والدارسين قديما وحديثا يتناولونه في الدراسة , فالقدماء قد درسوه ضمن فروع الدرس البلاغي بغية الوصول للغاية الجمالية التي يتوصل لها بتجنيس الكلمات , بيد أن هنالك من أضاف البعد الدلالي الذي يعطيه الجناس فنجد الجرجاني يقول : ((وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا, ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه, واستدعاه, وساق نحوه, وحتى تجده لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حولا, ومن ها هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ,وأحقه بالحسن وأولاه, ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه, وتأهب لطلبه))[٤] , يبدو من النص السابق أهمية الدور الذي يلعبه الجناس في ربط النصوص دلاليا فضلا عما يقدمه من قيمة جمالية,

---

(١) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر , أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير الموصلي (٦٣٧هـ) : ٢٤١, و فن الجناس بلاغة- أدب - نقد , علي الجندي : ٣ .

(٢) ينظر: البديع , عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ) : ٢٥ , والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده , أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) :١/ ٣٢١ .

(٣) البديع في ضوء أساليب القرآن , عبد الفتاح لاشين : ١٥٨ .

(٤) اسرار البلاغة , أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ) : ١١

فهو محسنا لفظية له وقعه الخاص في النفس وأثره في المعنى[1], ومن الدارسين من بالغ في قيمة الجناس وأهميته حتى قيل ((وقد لا يقدر عليه إلا الأديب الذي وهب حاسة مرهفة في تذوق الموسيقى اللفظية))[2] في حين هناك رأي أن الجناس ما هو إلا تعقيد وتقييد لإطلاق أعنة البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة [3] .

ما يقدمه الجناس من تناسق تنغيمي يضفي على النص حسنا لفظيا, ويثبت المعنى في ذهن المتلقي , هذا كله يعود إلى ثلاثة أسباب [4] :

١ـ تناسب الألفاظ في الصورة كلها, أو بعضها, وهو يطمئن إليه الذوق ويرتاح له .

٢ـ التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا فيطرب الأذن, ويونق النفس, ويهز الأوتار في القلوب .

٣ـ التلاعب الأخاذ الذي يلجأ إليه المجنس لاختلاف الأذهان, واختراع الأفكار .

وبهذا القدر نكتفي بالكلام عن الجناس وقيمته الجمالية , ومناقشة وجهة نظر القدامى من أنهم نظروا إليه من حدود الجملة الواحدة, أو البيت الشعري الواحد, فقد اغنت الدراسات السابقة في هذا المجال الحديث عن ذلك .

أثر الجناس في اتساق النص :

فضلا عن وظيفة الجناس الجمالية, إلا أن له أثراً بالغاً في وسق النصوص وسبكها من الناحية الصوتية, فوجود التجنيس بين الكلمات الواردة في نص واحد يجعل القارئ يتلذذ ويتذوق الكلمات ويعود بذهنه إلى الكلمة الأولى عند مروره بالكلمة الثانية وربطها معها, وبذلك صار ينظر إلى الجناس بنظرة أكثر دقة

---

(١) جنان الجناس في علم البديع , صلاح الدين الصفدي : ٨ .
(٢) موسيقى الشعر , د. إبراهيم أنيس : ٤٣ .
(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ,تقي الدين أبو بكر بن علي الحموي (٨٣٧هـ):٢٥ .
(٤) فن الجناس, د. علي الجندي : ٢٩ , وفنون بلاغية البيان والبديع, د. أحمد مطلوب : ٢٣٦ .

وتخصصا من النظرة القديمة التي كانت بداية للانطلاق نحو أفق جديد في هذا المضمار[١], من هنا تحولت دراسة الجناس إلى ما يفيده هذا الفن البديعي من وظيفة نصية تتحقق عبر الناحية الصوتية تُسهم في ربط النصوص واتساقها صوتيا؛ لأنه ((يجذب الانتباه, ويعزز النغم, ويؤلف نوعا من الانسجام الصوتي المحبب))[٢], وهذا بدوره يسهم في لفت انتباه المتلقي للنص وزيادة رغبته في متابعة قراءة النص, والكشف عن الدلالات .

وبالنظر إلى الجناس بوصفه تجلياً من تجليات الاتساق الذي هو معيار من معايير النصية[٣], وما يقدمه الجناس من وظيفة نصية ((تتخذ من العناصر الصوتية وسيلة تخلق موسيقى في النثر توازي موسيقى الوزن والقافية في الشعر, مراعاة لعملية التلقي وعمليتي الحفظ والرواية))[٤], فمنتج النص يحاول توظيف جل طاقاته الصوتية والدلالية بقصد التأثير في المتلقي , وإثارة فضوله لمعرفة الاختلاف بين الأصوات المكررة من جهة المعنى, تمهيدا للوصول إلى الهدف الذي يروم الوصول إليه, هذه الطاقات الصوتية والدلالية للجناس هي جزء لا يتجزأ من البنية النصية للنص [٥] .

يذهب بعض الدارسين النصيين إلى أن الجناس ما هو إلا صورة من صور التكرار المعجمي ويدرسونه ضمن الاتساق المعجمي للنصوص, ولهم في ذلك وجهة نظر, لكن هناك فرقٌ واضحٌ للعيان بين الجناس والتكرار المعجمي ((فشرط الجناس أن تضيف اللفظة المكررة الثانية معنى جديدا للفظة الأولى))[٦] , ويبدو لي أن الجناس فيه تكرار للفظ مع استحداث معنى جديد مختلف عما تدل عليه اللفظة الأولى, لأن أصوات الكلمة أو بعضها يحيل إلى معنى آخر

---

(١) ينظر: علم النص دراسة جمالية نقدية, د. مدحت الجيار : ١٠٧ .
(٢) تمهيد في النقد الحديث, د. روز غريب : ١٧٧ .
(٣) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة, د. سعد مصلوح: ٢٤٤ .
(٤) علم لغة النص بين النظرية والتطبيق, د. عزة شبل : ١٣٠ .
(٥) ينظر: مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة, فاطمة سعيد : ٤١٧ . (أطروحة دكتوراه)
(٦) البديع تأصيل وتجديد, د. منير سلطان

وهذا غير موجود في التكرار المعجمي الذي سندرسه في الفصل القابل, إذن ((فالجناس شبه تكرار في المستوى الصوتي))[1] .

أما السبب الذي جعلني أشرع في دراسة الجناس ضمن مباحث الاتساق الصوتي , هو ما لهذا الفن البديعي من أثر بالغ الأهمية في وسق النصوص, تسهم به الكلمات المتجانسة في ربط مكونات النص وتماسكه, بِعَدِه ((العلاقة القائمة بين وحدتين تشتركان في الشكل نفسه, وتختلفان في المعنى))[2] , وما تتركه هذه العلاقة من تجانس جرس الكلمات وإيقاعها الداخلي مما تساعد به على ربط النص ترابطا صوتيا ((فالجانب الصوتي يكاد يكون الركيزة التي يعتمد عليها فن الجناس, وما الجانب الصوتي إلا الإيقاع, أو النغم, أو الترديد الموسيقي, فالكلمتان في مساحة البيت الشعري أو الآية القرآنية, أو الجملة النثرية البشرية, وكذا الكلمتان المتجانستان تجانسا ناقصا, فالنقص في الجناس يلبي حاجة النفس إلى الإيقاع المتباين, كما يلبي الجناس التام حاجتها إلى الإيقاع الواحد المتكرر))[3] .

من المتفق عليه أن الجناس ضربان : تام وناقص, كما جاء به علماء العربية وخاصة في الدرس البلاغي القديم , وهذان الضربان يتفرع عنهما فروع عدة, واختلفوا في التسميات والتقسيمات [4] , وما يغنينا في هذا الصدد الكتب التي تناولت دراسة أنواع الجناس كلها, أما في ما نحن بصدد دراسته , فهي الأنواع الواردة في مسند الإمام الباقر (عليه السلام), فكانت طبيعة البحث تتماشى مع ما هو وارد بكثرة في المتن المدروس, مع بيان كل نوع بإيجاز, والوقوف على ما يقدمه من اتساق صوتي للنص الذي ورد فيه .

---

(1) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : ٢٤٢ .
(2) المصطلحات المفاتيح في اللسانيات, ماري نوال غاري بريور, تر: عبد القادر الشيباني : ٥٨ .
(3) البديع تأصيل وتجديد : ٨٢ .
(4) ينظر: العمدة : ١/ ٣٢١ , ومفتاح العلوم, أبو بكر محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ) : ٤٢٩, والتلخيص في علوم البلاغة , جلال الدين القزويني (٧٣٩هـ) : ٣٨٨- ٣٩٢ , وفن الجناس : ٥٧ , ٥٨ .

أولا : الجناس اللاحق :

وهو ما كان الحرفان متباعدين في المخرج, واشترط العلماء ألا يقع الاختلاف بأكثر من صوت[1], أي أن الصوتين المختلفين الواقع كل منهما في كلمة مجانسة للكلمة الأخرى بينهما تباين في المخرج وهذا التباين يكون في بداية الكلمة, أو أوسطها, أو نهايتها, فمثال الأول قوله تعالى : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2], ومثال التباين في الحرفين الواقعين وسط الكلمتين نحو قول الإمام علي عليه السلام: ((الدنيا دار ممر, والآخرة دار مقر))[3], ومثال ما كان في آخر الكلمتين المتجانستين ما جاء في قوله عزَّ وجل : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾[4] .

ويُعلل سبب تسميته باللاحق ((لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر في الجناس باعتبار جُل الحروف))[5].

عند تقصي مسند الإمام الباقر (عليه السلام) وجدت الأمثلة على هذا النوع من الجناس, الذي اسهم بشكل كبير في ترابط النصوص وتماسكها , منها قوله عليه السلام : **((إذا أتت على العبد أربعون سنة قيل له: خذ حذرك فإنَّك غير معذور, وليس ابن أربعين سنة أحق بالعذر من ابن عشرين سنة, فإنَّ الذي يطلبها واحد وليس عنهما براقد, فاعمل لما أمامك من الهول, ودع عنك فضول القول))**[6] .

جاء الجناس اللاحق في الكلمتين (الهول) و (القول), فهما متشابهتان في جلَّ الأحرف, لكنهما مختلفتان في صوت واحد الهاء في الأولى, والقاف في الثانية,

---

(1)ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة, الخطيب القزويني, تح: محمد عبد المنعم خفاجي: ٩٦/٦,والتلخيص : ٣٩١, وفن الجناس : ١٣٦, وعلم البديع ,د. عبد العزيز عتيق : ٢٠٥ .
(2) النمل : ٢٢ .
(3) نهج البلاغة :٣/ ٨٤
(4) النساء: ٨٣ .
(5) فن الجناس :١٣٦ .
(6) مسند الإمام الباقر عليه السلام , عزيز الله العطاردي : ٢/ ٣٦٠ .

فالهاء مخرجه من الحنجرة, ويعده بعض المحدثين صوتاً حلقياً[1] , والقاف ((صوت لهوي وقفة انفجارية مهموس))[2] , الملاحظ أن بعد مخرجي الصوتين بعضهما عن بعض جعلها ضمن الجناس اللاحق الذي يؤدي وظيفة نصية في ترابط النص المذكور , فضلاً عن قيمته الصوتية التي نجم عنها إيقاعاً داخلياً منتظماً, يجعل القارئ يربط بين الكلمتين, فالموضع هنا موضع إرشاد ونصيحة, فالإمام (عليه السلام) ينصح فاستعمل كلمة الهول والتي تعني ((المخافة. وهولني الشيء يهولني. ومكان مُهال: ذو هول))[3], أما الثانية فتعني ((القول من النطق. قال يقول قولاً))[4], إنَّ سياق النص جاء منسجم مع ما تعطيه الكلمتان من دلالة اسهمتا في ترابط النص ووسقه .

ومما ورد فيه الجناس اللاحق قول الإمام الباقر (عليه السلام) في دعاء كان يدعو به, فيقول : **((اللهم إنّي أسألك يا أكبر من كلّ كبير, يا مَن لا شريك له ولا وزير, يا خالق الشمس والقمر المنير, يا عصمة الخائفين وجار المستجيرين, و يا مغيث المظلوم الحقير, و يا رازق الطفل الصغير, و يا مغني البائس الفقير, و يا جابر العظم الكسير, يا مطلق المكبّل الأسير, يا قاصم كل جبَّار عنيد اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ويسراً, وارزقني من حيث أحتسب , ومن حيث لا أحتسب إنَّك سميع الدعاء يا ذا الجلال والإكرام))**[5].

في هذا الجزء المقتطع من دعاء طويل للإمام عليه السلام, نجد أنَّ في النص قد توافرت آليات صوتية عدة اسهمت كثيراً في اتساق النص وسبكه صوتياً , فقد ورد الجناس اللاحق بين اللفظتين (كسير) و(أسير), وكذا بين لفظتين(حقير) و(فقير), وجاءت أغلب عبارات النص على سجع متمثل في صوت الراء, مما أعطى للنص تناسباً صوتياً ساعد في تماسك نص الدعاء ويجعل القارئ يتلذذ بما يقرأه, وقد اسهم الجناس الوارد بشكل كبير بما أضافه للنص من تناغم موسيقي وإيقاع يجعل القارئ يستمر في قراءة النص باحثاً عمّا

---

(1) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب , د. خليل إبراهيم العطية : ١٩ .
(2) علم الأصوات , د. كمال بشر : ٢٧٦ .
(3) مقاييس اللغة , أبو الحسين أحمد بن فارس , تح: عبد السلام محمد هارون : ٦/ ٢٠ .مادة (هول)
(4) المصدر نفسه : ٥/ ٤٢ .مادة (قول)
(5) مسند الإمام الباقر عليه السلام :٣٧٤/٣ .

يحملـه الـنص مـن دلالات , وإيقاعـات صـوتية, فالجنـاس الحاصـل بـين لفـظ (كسـير)و (أسـير), عنـد ملاحظـة اللفظتـين يتضـح أنهمـا قـد اتفقتـا فـي جـلّ الأصـوات إلَّا أنهمـا قـد اختلفتـا فـي الصـوت الأول مـن كـل كلمـة, فالكـاف صـوت طبقـي شـديد , والهمـزة صـوت حنجـري[١] ,اسـهم الجنـاس الحاصـل تماسـك الـنص وجماليتـه, وهـذا التنـاغم الـذي وجـد فـي الـنص منحـه إيقاعـا موسـيقيا كـان علـى مسـتوى اللفـظ [٢] , ويبـدو أن هـذا الـنص قـد حـافظ علـى ديمومتـه واتسـاقه صـوتيا بفضـل علاقـات نصـية نتجـت عـن تفاعـل وسـائل اتسـاقية صـوتية متمثلـة فـي تنـاغم أواخـر جمـل الـنص بسـجع كـاد يكـون فـي كـل جملـه, وشـيوع الأصـوات الشـديدة فـي جـلّ عبـارات الـنص, وكـذا الصـيغة التـي جـاءت عليهـا بعـض الكلمـات (فعيـل) ومـا أضـافه الجنـاس اللاحـق بـين الكلمـات مـن تنـاغم صـوتي سـاعد فـي ربـط الجمـل صـوتيا ودلاليـا, سـاعدت هـذه العلاقـات مجتمعـة فـي وسـق الـنص فتوافرهـا فـي الـنص يجعـل اجـزاءه متآخذة مشكلة بذلك كلا موحدا[٣].

ومـن أمثلـة الجنـاس اللاحـق الـواردة فـي المـتن المـدروس, وصـيته عليـه السـلام لتلميـذه جـابر الجعفـي, قـال فيهـا: ((**يـا جـابر إنـه مـن دخـل قلبـه صـافي ديـن الله أشـغله عمَّـا سـواه, يـا جـابر مـا الـدنيا ومـا عسـى أن تكـون, هـل هـي إلَّا ثـوب لبسـته, أو لقمـة أكلتهـا, أو مركـب ركبتـه, أو امـرأة أصـبتها؛ يـا جـابر إنَّ المـؤمنين لـم يطمئنـوا إلـى الـدنيا لبقـاء فيهـا, ولـم يـأمنوا قـدوم الآخـرة علـيهم, ولـم يصـمهم عـن ذكـر الله مـا سـمعوا بـآذانهم مـن الفتنـة, ولـم يعمهـم مـن نـور الله مـا رأوا بـأعينهم مـن الزينـة, ففـازوا بثـواب الأبـرار, إنَّ أهـل التقـوى أيسـر أهـل الـدنيا مؤونـة, وأكثـرهم لـك معونـة, قـوَّالين بحـق الله, قـوَّامين بـأمر الله, قطعـوا محبـتهم بمحبـة ربهم, ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم.**))[٤]

---

(١) علم الأصوات اللغوية , د. مناف مهدي الموسوي : ٨٠ , ٨٦ .
(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص : ٨٤ .
(٣) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٦ .
(٤) مسند الإمام الباقر(ع): ٢/ ١٩٩ .

عنـد مطالعـة نـص الوصـية نجـد أنَّ وسـائل الاتسـاق قـد تضـافر بعضـها علـى خلـق تماسـك, ورصـف وحـدات الـنص رصـفا يجـذب القـارئ ويجعلـه يتـابع قـراءة الــنص مفتشــا عــن روابطــه, فتمثــل الجنــاس اللاحــق بــين الكلمتين:(قــوَّالين) و(قـوَّامين), فـاللام صـوت لثـوي, والمـيم صـوت شـفوي[1] , نظـرا لتباعـد مخرجـي الحـرفين, ومـا يمـنح هـذا الـنص مـن تماسـك واسـتمرارية تواشـج علاقـات نصـية اسـهمت فـي وسـقه صـوتيا ومعجميـا ونحويـا, ((لجعـل أجـزاء الـنص متماسـكة بعضها ببعض))[2], كما في الشكل الآتي:-

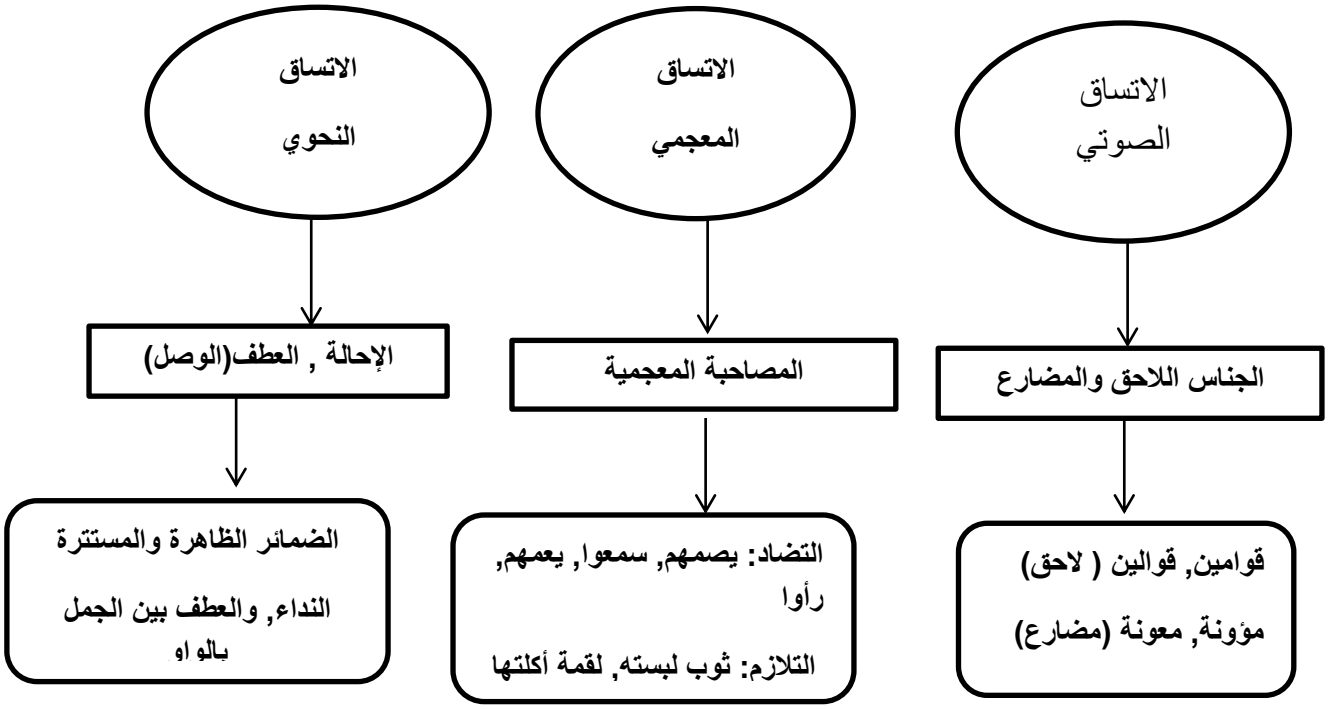

(1) علم الأصوات اللغوية : ٥٣, ٦٩, والأصوات اللغوية : ٥٥ .
(2) أصول تحليل الخطاب, محمد الشاوش: ١٢٤/١ .

يتضح من المخطط السابق أن وسائل الاتساق قد توافرت بشكل خاص في هذا النص مما خلقت فيه علاقات نصية, وما يعنينا هنا الجانس اللاحق الواقع بين الكلمتين والذي خلق إيقاعا موسيقيا ((تهش له النفوس وتلتذ به المسامع مما يزيد النص تماسكا وديمومة, بمساعدة العلاقات الأخر))[١] .

لهذا النوع من الجناس أمثلة أخرى لكن طبيعة البحث تقتضي ذكر هذا العدد من الأمثلة .

ثانياً:- الجناس المضارع :

يُعرَّف بأنه ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما مع تقاربهما في النطق, فلا تفاوت بينهما إلَّا في حرف واحد فقط [٢], واختلاف الحرف هذا أمّا يكون في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها, مثل : ((الخيل ,والخير)) و ((دامس ,وطامس)) و ((البلايا ,والمرايا))[٣] , ((ويشترط فيه ألّا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد))[٤] ولهذا النوع من الجناس تسميات عدة لكن الشائع فيه هو تسميته بالمضارع ,والسبب عائد في تسميته إلى المقاربة الصوتية بين مخارج الحروف المختلفة بين الكلمات المتجانسة أي ((مضارعة المخالف من الحرفين لصاحبه في المخرج))[٥], فالمضارعة يُراد بها: المشابهة, فإن الحرف المبدل من المخرج نفسه للحرف المبدل منه يسمى مضارعاً, أو يكون قريباً فيسمى مضارعً أيضاً[٦], فالقول بسبب التسمية جاء من المقاربة الصوتية نقصد به أنه قد يكون الصوتان من مخرج واحد وليس شرطا أن يكون

---

(١) الاتساق النصي في السور القرآنية المستهلة بأسلوبي الشرط أوالقسم , جبران شاطي معلك : ٥٤ . (رسالة ماجستير)
(٢) ينظر: العمدة : ٣٢٦/١ , ومفتاح العلوم: ٥٣٩ , وفن الجناس: ١٣٢, والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها , الميداني: ٤٩٤/٢ .
(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٩٤/٢ .
(٤) فن الجناس:١٣٢ .
(٥) المصدر نفسه : ١٣٣ .
(٦) خزانة الأدب, الحموي:١٩ .

المخرجان متقاربين, بل يأتي الحرف المبدل والحرف المبدل منه من المخرج نفسه, أو من مخرج قريب من مخرجه[١].

ومن الأمثلة عن الجناس المضارع الواردة في متن الدراسة قوله عليه السلام:**((لم يُعبد الله عزَّ وجلَّ لشيء أفضل من العقل, ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشر خصال: الخير منه مأمول, والشر منه مأمون, يستكثر قليل الخير من غيره, ويستقل كثير الخير من نفسه, ولا يسأم من طلب العلم طول عمره, ولا يتبرم بطلّاب الحوائج قبل, الذل أحب إليه من العز, والفقر أحب إليه من الغنى, نصيبه من الدنيا القوت, والعاشرة لا يرى أحداً إلا وقال: هو خير مني وأتقى))**.[٢]

إذ جاء التجانس بين الكلمتين (مأمول, مأمون), فقد جاءت الكلمتان متشابهتين في هيأتهما وعدد حروفها إلاَّ أنَّ الاختلاف بينهما بحرف واحد من الصوامت وهو اللام في الأولى والنون في الثانية, وكلا الصوتين من الأصوات المائعة, وفضلاً عن قرب مخرجي الحرفين هناك وجه شبه بينهما هو نسبة وضوحهما السمعي , أوضح الأصوات الساكنة في السمع[٣] , وهما صوتان لثويان مخرجهما من اللثة[٤] .

وعند مطالعة النص المذكور يبرز لنا مدى تعانق كلماته وجمله مكونة بذلك تماسكاً بين كلماته فالجرس الصوتي الذي أحدثه تجانس الكلمتين وكأنك ترى جناسا تاما بين الكلمتين وهذا بدوره قد ساعد في وسق النص وجذب المتلقي كي يكون رابطاً بين الجملتين , ويضفي إيقاعاً لموسيقى النص, وهذا يساهم في((إشعار المتلقين بتماسك النص وترابطه لحظة أدائه, فالمتلقي يستهويه - أول ما يستهويه - البعد الموسيقي للغة, خصوصاً إذا كان الأداء الصوتي للنص يسير

---

(١) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن, د. عبد الفتاح لاشين : ١٦١ , و فن البديع , عبد القادر حسين : ١٢٦ .

(٢) مسند الإمام الباقر ع :١٦٣/١ .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية, د. إبراهيم أنيس : ٥٥, و علم الأصوات :٣٥٨ .

(٤) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب : ٢٠ , والأصوات اللغوية : ٦٤ .

على نمط إيقاعي منتظم سواء في مقاطع النص الشعرية أو مقاطعه النثرية))[١] , فبهذا أراد عليه السلام فكرة إيصالية إبلاغية في الحث والدعوة إلى مكارم الأخلاق, وإصلاح النفس, وتهذيبها, لذا نجد في النص تواشج آليات نصية منها صوتية ومعجمية, فعمد الإمام عليه السلام إلى استعمال ألفاظ متقابلة دلالياً من الناحية المعجمية, ومنسجمة مع الإيقاع الصوتي الذي ساهم به تضارع الجناس بين الكلمتين وما اضفاه للنص من نغم صوتي وإيحاء بالدلالة المطلوبة, بفضل ما يصدر من تجاوب موسيقي بسبب تماثل الكلمات تماثلا تطرب له الأذن [٢] , وهذا النغم الموسيقي منسجم مع دلالة النص .

ومنه أيضاً ما جاء في قوله عليه السلام في موضع حديثه عن توحيد الله , حيث قال عليه السلام:**((الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً, وفي أزليته متعظِّماً بالإلهيَّة, متكبراً بكبريائه وجبروته ابتدأ ما ابتدع, وأنشأ ما خلق, على غير مثال كان, سبق بشيء مما خلق, ربَّنا القديم بلطف ربوبيته وبعلم خبره فتق, وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق, وبنور الأصباح فلق, فلا مبدّل لخلقه, ولا مغيّر لصنعه, ولا معقّب لحكمه, ولا رادّ لأمره ولا مستزاح عن دعوته ولا زوال لملكه, ولا لانقطاع لمدّته, وهو الكينون أولاً والديموم أبداً))[٣] .**

يبّين لنا حديث الإمام هذا بعض صفات الله تعالى وقدراته فهو خالق كل مخلوق, وقد زخر النص بوسائل اتساقية عدة اسهمت بشكل كبير في إظهار جمالية النص فضلا عمَّا أكسبته للنص من تماسك وترابط بين جمله, وما يهم البحث هنا هو الجناس المضارع الحاصل بين اللفظتين (فتق, فلق), حيث جاءت اللفظتان على ترتيب للحروف متشابه واختلفتا في الصوت الثاني من كليهما فقط, وهو التاء في الأولى واللام في الثانية, والصوتان من مجموعة

---

(١) نظرية علم النص: ١٢١ .
(٢) البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٦٦ .
(٣) مسند الإمام الباقر ع : ١/ ١٩٩ .

متقاربة المخارج , فهما من الأصوات الأسنانية - اللثوية[1], فالملاحظ على أن الشبه الكبير الحاصل بين مخرجي الحرفين حتى أن علماء الأصوات قروا بهذا, وينعكس هذا التشابه الصوتي على اللفظتين فتظن للوهلة الأولى أن هناك جناسا تاما بينهما, مما يعطي للنص تناغما موسيقيا وإيقاعا خاصا يجذب المتلقي ويحبب في روعهِ التلذذ في متابعة القراءة للنص, فضلا عن الدلالة المعجمية للفظتين, فدلالة (فتق) ((على فتح في الشيء))[2],أما (فلق) فتدل على فرجة وبينونة في الشيء, وتعظيم الشيء[3], فجاءت الدلالتان منسجمتان مع ما يحمله النص من دلالة كلية شاملة لكل جمل النص المتتابعة في خط أفقي يفضي إلى التوجه في فهم دلالته وهي المراد بها هنا وحدانية الله تعالى, وقد حمل على ذلك الجناس بطاقته الصوتية وجرسه المنسجم الذي ((يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق))[4], وزيادة على هذا التجانس فقد وقع في النص تجانس لاحق (فلق, خلق), وكذلك جاءت بعض عباراته مسجوعة مما أعطى للنص جانبه الجمالي من جهة, وتماسكه النصي من جهة أخرى, مما جعله يبدو((تتابع متماسك من الجمل))[5]على المستوى السطحي للنص يفضي بذلك قيمة إبلاغية جمالية .

ومنه ما جاء في قول للإمام الباقر عليه السلام: **((إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء: إذا أكلوا الأموال دولا واتخذوا الأمانة مغنماً, والزّكاة مغرماً, وأطاع الرّجل زوجته, وعقَّ أمّه, وبرَّ صديقه وجفا أخاه, وأرتفعت الأصوات في المساجد, وأُكرِم الرّجل مخافة شره, وكان زعيم القوم أرذلهم, وإذا لُبِس الحرير وشُرِبت الخمور, واتخذت القيان والمعازف, ولعن**

([1]) علم الأصوات , د. كمال بشر : ١٨٣ .
([2]) مقاييس اللغة: ٤٧١/٤ مادة (فتق), ولسان العرب: ١٠/ ١٧٥ .
([3]) ينظر: مقاييس اللغة : ٤٥٢/٤ مادة (فلق)
([4]) خصائص الحروف العربية ومعانيها, د. حسن عباس: ٧٩ (دراسة)
([5]) مهاد في لسانيات النص, د. خالد حوير الشمس: ١٦١ .

آخر هذه الأمَّة أوّلها, فليترقبوا بعد ذلك ثلاث خصال: ريحاً حمراء ومسخاً وخسفاً))[1]

توافرت في النص وسائل اتساقية نحوية ومعجمية وصوتية, فالنحوية تجسدت بالإحالة القبلية المتمثلة بالضمير العائد في جمل النص على الأمة تارة وعلى الرجل تارة أخرى, وكذلك باسم الإشارة (ذلك), أما المعجمية فتمثلت بالتقابل الدلالي بين المتضادّين (برَّ, عقَّ), والتلازم الذكري, وما يهم الباحث في هذا النص هو التجنيس المضارع الواقع بين اللفظتين (مغنما, مغرما), إنَّ تماثل اللفظتين على اختلافهما في حرف واحد فقط , وتقارب مخرجي الحرفين, فهما من الأصوات أسنانية لثوية ـ اللثوية[2], وعلى تقارب المخرجين إلا أنَّ هناك رابطة صوتية قوية بين الحرفين, فهما ينتميان إلى مجموعة صوتية واحدة والمعروفة بالأصوات الذلقية, وكذا إتحادهما في صفة صوتية هي توسطهما بين الشدة والرخاوة, وإتحادهما في نسبة الوضوح السمعي[3], فالنص هنا في موضع الموعظة والتحذير لذا يكون على منتج النص وضع الأمور في نصابها كي يبقي على المتلقي انتباهه وشدّه نحو ما يريد قوله, لذا عمد الإمام عليه السلام إلى استعمال وسائل نصية اسهمت في تماسك النص وإظهاره بشكل متسق, واسهم بذلك التجنيس في الحفاظ على الإيقاع النغمي والانسجام الصوتي بين العبارات, فأعطى قوة ديناميكية للنص تحافظ على استمراريته, لأن ((القرابة الصوتية بين الأصوات التي تشكل لفظي الجناس تسهم إلى حد كبير في إثراء الصّلة الدّلالية للفظي الجناس, وتقلّص مساحة الاختلاف بين الحرفين المختلفين في لفظي الجناس))[4].

ثالثاً:ـ الجناس المشتق :

---

(1) مسند الإمام الباقر : ٢٧٤/٦ .
(2) ينظر: علم الأصوات ١٨٣ , ومناهج البحث في اللغة, د. تمام حسان: ١٢٤, ودروس في علم أصوات العربية, جان كانتينو:٢٢ .
(3) ينظر: الأصوات اللغوية: ٥٤,٥٥ .
(4) البنى الأسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية, راشد الحسيني: ٧٤ .

ويُعرّف بأنه توافق أصل اللفظين في الاشتقاق, أي أن يجمع اللفظين جذر لغوي واحد, والتوافق يكون في الحروف الأصلية للفظين والمعنى, ويختلفان في هيأة الحروف[١], ويسمى أيضا بالمقتضب[٢], ((وللاشتقاق دور بارز في تقوية رنين الألفاظ))[٣].

والاشتقاق من خصائص العربية وهو يعد ظاهرة تفيد إثراء اللغة بالدلالات المتعددة بتعدد الصيغ والاشتقاقات للمفردة الواحدة (الجذر اللغوي) وهذا ما قرَّ به علماء اللغة قديما وحديثا, فهو بهذا الشكل يكون وسيلة رائعة ومبتكرة في نمو اللغة واتساعها ومرونتها, ويمكنها من التعبير عن المستجد والمستحدث من الأفكار ووسائل الحياة[٤], وقد درس القدماء الاشتقاق وقسموه على قسمين الكبير والصغير, حتى قال ابن جني: ((إنَّ الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير))[٥], والذي يهم البحث هنا هو الاشتقاق الأصغر, والذي يعني ((أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية, وهيأة وتركيب لها ؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل؛ بزيادة مفيدة, لأجلها اختلفا حروفا وهيأة؛ كضارب من ضرب, وحذّر من حذر..... وهذا هو الاشتقاق الأصغر))[٦].

وهذا النوع من الجناس يكثر في النصوص اللغوية الشعرية والنثرية منها, وكذلك في القرآن الكريم, ((فقد وفرت التقليبات الصرفية للألفاظ إعادة تلفظ أصوات الحروف على نحو منتظم تستطيبه الأسماع))[٧], ومنه قوله تعالى :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٨], فالشاهد هنا (وجهت) و (وجهي), فاللفظان مشتقان من الفعل على مذهب

---

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن, السيوطي: ٥٩٩, بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح, الصعيدي: ٨٢/٤, فن الجناس : ١١٤ .
(٢) فن الجناس: ١١٤ .
(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٦٥
(٤) ينظر: فصول في فقه العربية, د. رمضان عبد التواب : ٢٩٠ .
(٥) الخصائص , ابن جني ١٣٥/٢ .
(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها, جلال الدين السيوطي: ٣٤٦/١ ـ ٣٤٧ .
(٧) الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٦٥ .
(٨) الأنعام: ٧٩ .

الكـوفيين, أو مـن الاسـم علـى مـذهب البصـريين[1], فالتقليـب بـين صـيغ الألفـاظ يمنحهـا جرسـا موسـيقيا تسـتلذ بـه المسـامع وهـذا الجـرس يمكـن ملاحظتـه لأنـه ((أسـبغ علـى العبـارة مزيـداً مـن الـنغم لا يملـك معـه المتلقـي إلَّا أن ينشـد لـه بإصـاخة أسماعه وتدبر مضامينه))[2].

ولا يفوتنـا أن نشـير إلـى أنَّ بعـض الدارسـين النصـيين قـد درسـوا هـذه الجزئيـة فـي مباحـث الاتسـاق المعجمـي وتحديـداً فـي التكـرار المعجمـي (التكـرار الجزئـي علـى وجـه الخصـوص), هـذا لأن بعضـهم لـم يـدرس المسـائل الصـوتية مفـردة فـي الاتساق الصوتي[3].

ومـن الأمثلـة علـى الجنـاس المشـتق قـول الإمـام عليـه السـلام حـين سُـئِل عـن قـول الله عـزَّ وجـل: ﴿ وَقُولُـوا لِلنَّـاسِ حَسَـناً ﴾ , فقـال عليـه السـلام:**((قولـوا للنـاس أحسـن مـا تحبُّـون أن يقـال لكـم, فـإنَّ الله عـزَّ وجـلَّ يـبغض اللعَّـان السـبَّاب الطعَّـان علـى المـؤمنين الفـاحش المـتفحِش السـائل الملحـف ويحـبُّ الحلـيم العفيـف المتعفِّف))**[4].

ورد فـي الـنص السـابق ألفـاظ مجنَّسـة تجنيسـاً مشـتقاً (الفـاحش, المـتفحش), و(العفيـف, المتعفّـف), وقـد وردت متقاربـة فـي الموقـع فـي عبـارات الـنص ((بشـكل مباشـر, مشـتق إثـر مشـتق فكشـف مـن الجـرس ومنعـه مـن التشـتت, إذ وقـع مشـتقان مـن أصـل واحـد فـي كـل فقـرة))[5] فـالفحش هـو أصـل (الفـاحش, المـتفحش), والعفـة أصـل (العفيـف, المتعفـف), ممّـا اسـهم الجنـاس بشـكل كبيـر فـي الحفـاظ علـى الموسـيقى الداخليـة وجـرس العبـارات الموجـودة فـي الـنص وخلـق موائمـة

---

(1) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين, أبو البركات بن الأنباري(مسألة القول في أصل الاشتقاق): ٢٣٥ .
(2) الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٦٦ .
(3)من هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٤٣, والترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب, خليل ياسر البطاشي: ٦٧, والمعايير النصية في خطب المسيرة الحسينية, ولاء محمد : ١٢ .
(4) مسند الإمام الباقر عليه السلام:٢٩٣/٢ .
(5) الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٦٦ .

بين موسيقى الكلام ودلالاتها الوظيفية , فالإمام عليه السلام أراد إيصال الفكرة العامة من النص وهي حث الناس على القول الحسن وترك السباب واللعن والطعن على الناس عامة والمؤمنين خاصة, بل أشار إلى الصفات المذمومة وذمَّ مَن يكثر منها لذا نجده قد عمد في إنتاج نصه إلى استعمال الصيغ الصرفية الدالة على المبالغة في الشيء كما في (اللعّان, والطعّان) وهذان اللفظان بينهما جناس لاحق لبعد مخرجي الحرفين اللام والطاء, مما اسهم في اتساق شكلي بين ألفاظه, وكذلك جاء في النص تضاد بين اللفظين (يبغض, ويحبّ), فضلا عمّا حققته الجناسات المشتقة من جمالية للنص وتماسك لبِنى النص, فقد اختار الإمام عليه السلام المشتقات من أصل واحد وصيغ متعددة, فالصيغ(فاحش, متفحش, متعفف) كلها جاءت على صيغة اسم الفاعل لكنه عدل بها للتعبير عن صفة وهذا ممّا تتيحه اللغة لمنتج النص لأن ((المعاني الوظيفية التي تُعبر عنها المباني الصرفية هي بطبيعتها تتسم بالتعدد والاحتمال))[1], لذا نجد النص على قصره إلَّا أنّه جاء متماسكا صوتياً ودلالياً ومتسق على المستوى السطحي .

وممّا جاء في كلام الإمام الباقر عليه السلام من أمثلة على هذا النوع من الجناس قوله عليه السلام: **((إنَّ الخير ثقل على أهل الدّنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة, وإنَّ الشرَّ خفَّ على أهل الدّنيا على قدر خفَّته في موازينهم يوم القيامة))[2].**

جَانَسَ الإمام صلوات الله عليه في هذا النص بين لفظين يربطهما أصل الاشتقاق, فوظف الجناس هنا بين (ثَقُل, ثُقْله) و(خَفَّ, خُفَّته) ,فالجناسان هنا جمعهما تعالق صوتي ودلالي فالأصوات الأصول بين اللفظين هي نفسها, على اختلاف في الحركات والسكنات الذي فرضته أحوال صيغ الكلمات لأن الأولى جاءت على صيغة الفعل في المثالين, أمّا الثانية فقد جاءت على صيغة المصدر, وصيغة الفعل تمثل حال أهل الدنيا ويبدو أن هنالك ترابطاً بين دلالة العبارة ودلالة الصيغة, فالعبارتان المرتبطتان بحال أهل الدنيا دلّت على حدث فعلي

([1]) اللغة العربية معناها ومبناها, د. تمام حسان : ١٦٣ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ٢/ ٣٥٥ .

متجدد, أما الثانية والتي تمثل حال الآخرة فهي تعني ثبوت حالهم على ما عليه, وجاء هذا النص متماسكاً من الناحية الصوتية بفضل الجناسات المشتقة الواردة, فضلاً عن توازي تركيب جمله, والعلائق الدلالية بين الألفاظ المتقابلة (الخير, الشرّ)(الثقل, الخفّة)(الدنيا, الآخرة), لذا فإنَّ آليات الاتساق قد تضافرت في النص فسبغته بجرس صوتي متوازن تتلذذ به الآذان, والإمام عليه السلام هنا قصد الوعظ والأخير يتحقق عندما يتأثر المتلقي بكلام الملقي, وهذا الغرض يتحقق ((من ارتباط مفاهيم الوحدات النصية المكونة للنص بعضها ببعض))[١], فزاد العناصر اللغوية المؤثرة منها المرسل والمتلقي والموقف, فالحدث الكلامي انتجه موقف ويهدف إلى مقاصد[٢].

ومن الأمثلة ما قاله عليه السلام لمحمد بن مسلم((**ذنوب المؤمن إذا تاب مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة, أما والله إنها ليست إلاّ لأهل الإيمان,. . . أترى العبد المؤمن ينم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله منه ؟. . . كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة, وإنَّ الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات, فإياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله))**[٣].

جاء النص زاخراً بالجناسات المشتقة والتي يجمعها أصل لغوي واحد, ولما كان التكرار وسيلة من وسائل الاتساق النصي فقد لجأ الإمام عليه السلام إلى تكرار الألفاظ المرتبطة في الجذر اللغوي, لأن الاشتقاق نمط من أنماط التكرار النصي[٤], لذا جاءت الكلمات المجنسة تجنيسا مشتقا منتشرة على طول النص , وهي (مغفورة, مغفرة, يستغفر, الاستغفار, غفور) فتعددت الصيغ المشتقة من الأصل الواحد (غفر) مما أكسب النص إيقاعا صوتيا منتظما لأن ((امتداد عنصر من عناصر الاتساق بداية النص حتى آخره يربط عناصر النص

(١) التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة, عيسى الوداعي:٦٩ . (أطروحة)
(٢) ينظر: علم اللغة النصي, د. سعيد بحيري: ١٠٨ .
(٣) مسند الإمام الباقر عليه السلام:٢/ ٢٠٠.
(٤) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٠٠ .

بمساعدة وسائل الاتساق الأخر))[1], فقد اسهم انسجام الأصوات داخل النص على بلورة الفكرة الرئيسة المرادة من النص وهي مغفرة الله لعباده, وهنا يبرز دور الموسيقى وعلاقتها بالدلالات المتنوعة التي تتولد عنها[2], فقد جاءت عبارات النص وجمله متناغمة بفضل الجناس المشتق بين ألفاظه, كما رأينا انتشار الكلمات المشتقة من المغفرة على طول جمله, وكذا التجنيس المشتق الحاصل بين المصدر والصفة المشبهة (رحمة, رحيم) فهو بدوره ساهم في وسق النص وتماسكه,((لأن مثل هذا الجناس تشاكلا لغويا من جهة, وصوتيا من جهة ثانية, ويصنع موسيقى الخطاب مع باقي عناصر الإيقاع الأخرى))[3], والتجانس خلق جوا موسيقيا داخل النص مما يجعل المتلقي حاضر الذهن عند مطالعة النص ومعرفة المشاكلات الصوتية الي اوجدها الجناس بين الكلمات فيربط بينها ويعرف ما حصل من تغيّر في بعض المورفيمات تارة تكون بزيادة على الأصل وتارة أخرى بنقصان أحد تلك الوحدات الصوتية, لأن ((جرس اللفظ هو إيقاعه الذي يلقيه في أذن القارئ, وصوته الذي يتلقاه بسمعه, وهذا الإيقاع أو الجرس ينتج من إيقاع كل حرف من حروف اللفظ على حدة, ثم إيقاع الحروف كلها مجتمعة في اللفظ))[4]

للجناس المشق أمثلة أخرى في متن الدراسة لكن طبيعة البحث تحتم علينا ذكر هذا العدد من الأمثلة .

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك أنواعاً أخرى من الجناس غير الأنواع التي درست, لكن سبب الاستغناء عن دراستها يعود لقلتها في المتن وندرتها, ومنها الجناس التام بين (عظيم), و (عظيم)[5], والجناس الناقص بين (

([1]) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢٢/٢ .
([2]) الشعرية العربية, مور الدين السد: ٩٦ .
([3]) لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري, د. أحمد مداس: ٢٢٧ .
([4]) جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم, محمد الصغير ميسة: ١٠٨ . (رسالة)
([5]) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ٣/ ٣٩٤ .

الحجّة),(المحجّـة)[١], والجنـاس المحـرف بـين (المبـارَأة), و(المبارِئـة)[٢],وجنـاس القلب بين (يقربون فيه البعيد),و(يبعدون فيه القريب)[٣].

ويُستشـف ممَّـا سـبق أنَّ الجنـاس فضـلاً عـن قيمتـه الجماليـة إلّا أنّ لـه دوراً رئيسـاً فـي تماسـك النصـوص ووسـقها صـوتياً, فهـو((مـن أسـباب تلاحـم الأسـلوب وترابطـه, لمـا بـين طرفيـه مـن المماثلـة الشـكلية, ولـه وقـع موسـيقي ملحـوظ))[٤], وأهميـة الجنـاس فـي اتسـاق النصـوص وجـذب المتلقـي تتحقـق بالمفاجـأة والدهشـة التـي تحـدثها الجناسـات فـي المتلقـي, والانتقـال بـين المعـاني والاخـتلاف الـدلالي يعطي للجناس قيمته النصية .

(١) المصدر نفسه: ٣/ ٣٨٣ .
(٢) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٥/ ٢٢ .
(٣) المصدر نفسه : ٢/ ٩٧ .
(٤) دراسات منهجية في علم البديع , الشحات محمد عبد الرحمن : ٢٢٠ .

المبحث الثاني: السجع

مفهومه:

السجع مصطلح موغل في القِدم بعَدِه فناً قد انتشر بين الناس في خطاباتهم النثرية منذ عصر ما قبل الإسلام, حتى عُرِف ما يسمى بسجع الكهان, وهو محسن بديعي يُعد من المحسنات اللفظية الشكلية, وأول مَن وضع تعريفاً للسجع هو الخليل بن أحمد حيث قال: ((سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن))[١], وهذا يعني المشابهة فالسجع قائم على التكرار والتشابه, في حين نجد تعريفه عند ابن الأثير أنه ((توافق الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد))[٢], ونلحظ أن ابن جني قد أشار في حديثه عن الأمثال المسجوعة إلى الإيقاع الناتج عن ترديد الفواصل صوتيا مما يجعل المتلقي يتلذذ عند الاستماع مما يدعوه لحفظها [٣], لأن السجع يحافظ على الانسجام الصوتي الذي بدوره يجعل النص متماسكاً في الشكل على نغم واحد في فواصله بنهاية كل فقرة, لأن ((الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر))[٤], وقد أولى العرب قديما عنايتهم الخاصة بما هو صوتي ومسموع لأنهم أمة نطق وسماع [٥], واستنادا لما ذكر من كلام القدامى عن السجع نلحظ القيمة الفنية التي يعطيها هذا الفن البديعي للنصوص من الناحية الصوتية والتنغيمية, ولا نخوض في مسألة التفريق بين الفاصلة والسجع, ولا في قضية تأييد ورود السجع في القرآن الكريم أم نفيه, لأن الدراسات قد اغنت في ذلك .

---

(١) العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٢٤٤ .
(٢) المثل السائر: ٢٧٥/١ , الإيضاح في علوم البلاغة, القزويني: ٢/ ٥٤٧ .
(٣) الخصائص: ١/ ٢١٦ .
(٤) مفتاح العلوم: ٤٣, الإشارات والتنبيهات في علوم البلاغ, محمد بن علي الجرجاني(٧٢٩هـ): ٢٧١ .
(٥)ينظر: مقالات في اللغة والأدب, د. تمام حسان: ١/ ٤٠٩ .

وجدير بالذكر فأن السجع لابد فيه أن يكون من غير تكلّف فالسجع الذي يحقق مقبولية لدى المتلقي والسامع هو السجع الجيد الحسن, وليس السجع المتكلف القبيح, والمتصفح لكتب البلاغة القديمة يلحظ أنه لا يكاد هناك كتاب يخلو من الحديث عن المواصفات التي يجب توافرها في التفريق بين السجع الجيد والقبيح, حتى أننا نلحظ البلاغيين ((يستظهرون المواصفات التي ينبغي توافرها في السجع الجيد, والمحاذير التي ينبغي تجنبها فيه على مستويات الوصف اللغوي كافة : المستوى الإفرادي والمستوى التركيبي, وعلى مستوى الدلالة المتعلقة بالمفردات المسجوعة وبالتراكيب نحوية كانت أو سجعية))[١].

وللسجع شروط يجب توافرها فيه لكي يكون جيدا وحسنا, وقد أشار إلى ذلك المتقدمون في كتابتهم والشروط هي اختيار مفردات الألفاظ, وحسن التأليف بينهما, وكون اللفظ تابعا للمعنى لا العكس, وكون فقرة من الفقرات دالة على ما يخالف ما تدل عليه الأخرى, وإلا كان تطويلا[٢], علاوة على ما ذكره الخطيب في إيضاحه حيث قال: ((وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه في المعنى, وأحسن السجع ما تساوت قرائنه, ولا يحسن أن تولى قرينة قرينة أقصر منها كثيرا لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها, ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا, يكون كالشيء المبتور, ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها, والذوق يشهد بذلك ويقضي بصحته))[٣].

وهناك أمور عدة إذا توافرت تجعل من السجع حسناً, ومنها[٤]:

١. أن تكون الألفاظ رشيقة أنيقة خفيفة على السمع.

---

(١) السجع القرآني دراسة أسلوبية, هدى عطية عبد الغفار: ٥٤ . (رسالة)
(٢) ينظر: المثل السائر: ٢٠٣/١ , أنوار الربيع في أنواع البديع, علي صدر الدين بن معصوم : ٦/ ٢٥٢,التبيان في علم البيان, زكي الدين بن الزمكاني : ٥٠٥ .
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢٢ .
(٤) ينظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع, أحمد مصطفى المراغي: ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

٢. أن تكون الألفاظ خدم للمعاني, فيكون المعنى أصلا والسجع فرعا؛ كي يصرف الكاتب جهده إلى الفكرة وروعة التعبير عنها, ولا يكون هدفه الزينة اللفظية على حساب الفكرة وجمال التعبير.
٣. أن تكون المعاني الحاصلة عند التراكيب مألوفة غير مستكرهة أو مستقبحة.
٤. أن يكون السجع في اعتدال وفي غير التزام حتى لا يجيء متكلفا.
٥. أن يكون المعنى في كل سجعة من السجعات مغايرا لما دلَّت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع مكررا ومن غير فائدة.

يستشف مما ذُكِر من شروط دلّت على اهتمام العلماء قديما وحديثا بهذا الفن البديعي وما يعطي أهمية جمالية ومعنوية للنصوص التي تكون مسجوعة.

أثر السجع في اتساق النصوص:

يتحقق اتساق النصوص على المستوى الصوتي بواسطة السجع وما يضفيه على النصوص من تناسق صوتي ودلالي يحافظ على استمرارية النص وتماسكه فضلا عمّا يخلق السجع من تناغم صوتي محبب لدى المتلقي؛ وذلك بسبب الربط الحاصل في النص من ناحية صوتية تكون في نهايات فواصل الكلمات لأنها ((تنتهي بفواصل منسجمة موسيقيا بعضها مع بعض))[١], ومما يسهم في اتساق النصوص وسبكها هو محافظة السجع على سير الأصوات في نسق صوتي منتظم بين أصوات متفقة في كل شيء من النوع والخصائص الصوتية, وكذا يسهم السجع في المتتابعات النصية الصوتية الإيقاعية في نطاق حرف الروي الواقع في آخر الكلمات .

(١) التعبير القرآني, د. فاضل صالح السامرائي: ٢١٧ .

الغاية المرجوة من السجع وما يضفيه من قيمة إبداعية في النصوص تحقق مقبوليتها لدى المتلقي ويكسب النص نصيته فيما يولده السجع من متتاليات من الفقرات التي تضفي سمة الاستمرار, واستثارة المتلقي للنص؛ لأنه يحقق ((قيمة ثقافية واجتماعية وتواصلية))[١], فضلا عن الإقناع الذي يخلقه السجع في النصوص ؛لأنه من المفاهيم الثابتة في الثقافة العربية, والتي يعتمد عليها الخطباء والمتكلمون بشكل أساس[٢], وهناك وظيفة جمالية إيقاعية للسجع؛ لأنه أسلوب جمالي((يحدد أخص خصائص شكل الكلام الأدبي المنثور ذي المعاني الإيحائية, بإيقاع حر يواكب حركة المعاني المقامية, بالتواتر المتتابع بين حالتي: الصوت والصمت))[٣], استعمال الكتل الصوتية بصورة متناسقة ومعتدلة السجعات ينطوي تحت خبرة منتج النص التي يتمتع بها وذلك بأنه ((يتخير الألفاظ تخيرا يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة وجو السياق))[٤], فضلا عمَّا يضفيه السجع من دلالات صوتية متمثلة في تناغم وانسجام الأصوات في اواخر الكلمات التي تكون في نهاية كل جملة من جمل النص الواحد والتي تسهم باتساق النص وتماسكه وترابطه مع السياق الذي ورد فيه؛ لأن ورود ألفاظ مسجوعة تولد ظواهر صوتية تضفي على((النص النثري الجمال الموسيقي, الذي يظهر مع تكرار القافية في كل فقرة))[٥], وسيتطرق البحث إلى أنواع السجع كما جاءت في الكتب البلاغية والدراسات التي تناولت السجع, وتكون دراسة الأسجاع من حيث الصفات الصوتية لحروف الروي ضمناً.

أنواع السجع :

بعد الانتهاء من تبيان وظيفة السجع في وسق النصوص وتماسكها, يشرع البحث في دراسة أنواعه بحسب ورودها في مسند الإمام الباقر.

---

(١) التطريز الصوتي لسطح النص, نوال بنت إبراهيم: ١٠ . (بحث)
(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١١٧ .
(٣) معجم المصطلحات الأدبية, مجدي وهبة: ٤١٨ .
(٤) الجرس والإيقاع في التعبير القرآني, د. كاصد ياسر الزيدي: ٣٣٥ .
(٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق , د. صبحي الفقي : ١٣٨ .

أولاً: السجع المطرَّف:

وهو أن يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها بأسجاع غير متزنة بزنة عروضية, ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الأسجاع روي القافية[1], أو هو ((ما اتفقت فاصلتاه في الحرف الأخير دون الاتفاق في الوزن))[2], كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[3].

ومن الأمثلة الواردة في متن الدراسة من السجع المطرف قوله عليه السلام: **((تعلموا العلم فإن تعلمه جنة, وطلبه عبادة, ومذاكرته تسبيح, والبحث عنه جهاد, وتعليمه صدقة, وبذله لأهله قربة, والعلم منار الجنة, وأنس في الوحشة, وصاحب في الغربة, ورفيق في الخلوة, ودليل على السراء, وعون على الضراء, وزين عند الأخلاء, وسلاح على الأعداء, يرفع الله به قوما ليجعلهم في الخير أئمة, يقتدى بفعالهم, وتقتص آثارهم, ويصلي عليهم كل رطب ويابس, وحيتان البحر وهوامه, وسباع البر وأنعامه))[4].**

حمل النص المذكور فكرة رئيسة وهي بيان فضل العلم ورفع من شأن أهله, فجاءت عبارات النص متناسقة مع سياق النص وبنيته الكبرى المتعلقة بفضل العلم والعلماء, وأسهم السجع المطرف في اتساق جمل النص بفضل ما الإيقاع الناتج عن فواصل الكلمات المسجوعة في نهايات الجمل المتتالية في النص, فضلا عن السجع الوارد من نوع آخر وهو المتوازي (السراء, الضراء, الأخلاء, الأعداء), والتقابل الدلالي لهذه الألفاظ وكل هذا يدرس في موضعه من البحث, أما ما يهمنا هنا هو السجع المطرف الحاصل في نهايات الكلمات من كل فقرة ويتمثل السجع المطرف في تاء التأنيث ولما كان السجع في الوقف على نهايات الجمل, فهذا الصوت يكون هاء, ولأن نهايات الكلمات ((موضوعة على

---

(1) ينظر: البلاغة العربية(المعاني والبيان والبديع), د. أحمد مطلوب : ٢٧٤ .
(2) دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية, عبد الجواد محمد طبق: ٢٤ .
(3) سورة نوح: ١٣,١٤ .
(4) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ١٦٧/١ .

أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها؛ لأن الغرض أن يزاوج بينها))[1], وهذا الصوت من الأصوات الرخوة (الاحتكاكية)[2], ويتصف هذا النوع من الأصوات التي ينطلق الصوت عندما ننطقه؛ لتمام ضعف الاعتماد على مخرجه[3], وبهذا يكون الهواء منحبساً ((انحباسا محكما, وانما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقا, ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى))[4],والسجعات المطرفة في نص الإمام عليه السلام هذا جاءت في الكلمات (جنة, عبادة, صدقة, قربة, الجنة, الوحشة, الخلوة, أئمة) , وفي (فعالهم, آثارهم), وفي (هوامه, أنعامه), فقد جاءت متفقة في حرف الروي على اختلاف معظمها في المقاطع الصوتية المكونة لها, ويُلحظ أن ه تم الانتقال بين روي الكلمات المتتالية في النص والتنويع بين بين رويها, فقد انتقل من التاء(الهاء الساكنة) إلى صوت آخر هو الهاء والميم مجتمعتان, والميم صوت مجهور مائع يتسم بالوضوح السمعي وهو شبه حركة[5], وهذا الصوت من مجموعة أصوات ((لا يكاد يسمع لها أيّ نوع من الحفيف وإنها أكثر وضوحا في السمع))[6], وهذا التنوع في روي الكلمات يجعل القارئ منشد نحو النص؛ بفضل الإيقاع الذي أحدثته المتواليات النصية عبر تتابعات صوتية اسهمت في تلوين صوتي صادر عن الألفاظ المستعملة نفسها[7], فالديناميكية الحركية لحركة لحركة الأصوات داخل جمل النص تساعد بشكل كبير على استمرارية النص جعل المتلقي متفاعلا مع ما يقرأ من أول النص حتى آخره, والفضل في هذا عائد إلى السجع وما أحدثه من نغم صوتي مميز ومتنوع بين سجع مطرف وموازٍ .

---

(1) نظرية علم النص: ١١٧ .
(2) ينظر: الكتاب: ٢٣٤/٤ , وفي البحث الصوتي عند العرب : ٤٥ .
(3) ينظر: دراسات في فقه اللغة, د. صبحي الصالح: ٢٨١ .
(4) الأصوات اللغوية : ٢٥ .
(5) ينظر: علم الأصوات: ٣٤٥ وما بعدها .
(6) الأصوات اللغوية: ٢٧ .
(7) ينظر: شعر الحداثة دراسة في الإيقاع, محمد سالمان: ٢٩ .

ومما ورد أيضا من هذا النوع في النص متن الدراسة قوله عليه السلام واعظاً: **((إنّ كلامي هذا لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميتاً, يا أشباح, بلا أرواح, وذبابا بلا مصباح, كأنكم خشب مسندة, وأصنام مريدة, ألا تأخذون الذهب من الحجر, ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر, ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر, خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها, فإنَّ الله يقول (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله) , ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فانيا ويعطيك باقيا, درهم يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمائة ضعف مضاعفة من جواد كريم, أتاك الله عند مكافأة هو مطعمك وساقيك وكاسيك ومعافيك وكافيك وساترك ممن يراعيك, من حفظك في ليلك ونهارك وأجابك عند اضطرارك, وعزم لك على الرشد في اختبارك, كأنك قد نسيت ليالي أوجاعك وخوفك, دعوته فاستجاب لك, فاستوجب بجميل صنيعه الشكر, فنسيته في ذكر, وخالفته في أمر, ويلك إنما أنت لص من لصوص الذنوب))**[1].

النص السابق جاء حاملاً لكثر من المواعظ, وقد استعمل الإمام عليه السلام أسلوب النصح والتذكير بالخير والحق على وجه يرق القلب له ويخشع, أي ((ذلك الذي تقدم من الأحكام والحدود المقرونة بالحكم بالترهيب والترغيب يوعظ به أهل الإيمان بالله والجزاء على الأعمال في الآخرة))[2], ويُلحظ في هذا النص ملائمة السجع لمضمون النص, فقد استهل الإمام عليه السلام بداية حديثة بعبارات مسجوعة فواصلها كانت منتهية بصوت الحاء, وهو من الأصوات الرخوة الاحتكاكية[3], ولأن النص يحمل في طياته مواعظ فتطلب الأمر أن يهيأ المتلقي لما سيقوله فعمد إلى استعمال صوت الحاء, وأفاد من رخاوة هذا الصوت واحتكاكيته؛ لغرض الولوج في الحديث وتكون نفوس المتلقين منشّدة نحو النص وفي حالة هدوء وترقب؛ لأن صوت الحاء له مزية خاصة تدخل ((راحة في

---

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ٢/ ٣٥٢-٣٥٣ .
(2) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع, عبد الرحمن النحلاوي: ٢٢٦ .
(3) ينظر: مدخل إلى علم الأصوات العربي, د. غانم قدوري الحمد: ١٩٣.

القلوب تزداد بالتكرار, لما بعدها من الظل الممدود والتضعيف المقبول))[1], وتمثل صوت الحاء في الألفاظ المسجوعة (أشباح, أرواح, مصباح), فقد جاءتا أول كلمتين على صيغة صرفية واحدة (أفعال), في حين جاءت الثالثة على وزن (مفعال), فيمكن عد الأولى والثانية من السجع المتوازي فقد اتفقتا وزنا وتقفية, أما هذان الاثنان مع الثالثة فيكون السجع مطرف, والمُلاحظ على النصوص الباقرية قد حفلت بتنوع السجع ضمن النص الواحد وهذا مما يعد من الحسنات والقدرة البالغة في توظيف الألفاظ صوتيا وصرفيا ودلاليا كيف لا وهو سليل الفصاحة والبلاغة وباقر العلم؛ لذا فقد يتداخل السجع المطرف مع الموازي وهذا يصب في مصلحة انتاج نص ذي قيمة جمالية وإبداعية كبيرة, فعند العودة إلى نص الخطبة يُلحظ التحول في حرف الروي للسجعات, فقد استعمل فاصلة تاء التأنيث الزائدة والتي تلفظ هاء عند الوقف عليها كما في (مسندة, مريدة), وهو صوت احتكاكي أيضاً, ثم عمد إلى صوت آخر وهو الراء في (الحجر, الأزهر, البحر), السجع بذاته هو تكرار يفيد في جذب انتباه المتلقي وتحببه في النص فكيف إذا كان حرف الروي في السجع هو الراء, والذي يحمل صفة ((التكرار في نفسه))[2], ويُرى أن لهذا التكرار أثر في النفس أثبت للكلم في ذهن المتلقي كي يسهل عليه حفظ ما يسمع من ألفاظ ومنجذب نحو عبارات النص ليحقق منتج النص غايته الوعظية, لذا عمد الإمام عليه السلام إلى خلق المفاجأة في خطبته من خلال الانتقال بين حروف الروي في فواصل كلامه, فقد انتقل من الحاء إلى التاء, ثم انتقل إلى صوت آخر وهو كاف المخاطبة كما في (كاسيك, كافيك, يراعيك, نهارك, اضطرارك, اختبارك, خوفك, لك) هذه اللوحة الفنية التي رسمها الإمام عليه السلام متمثل في الإيقاع الصوتي المتناغم الذي أحدثه صوت الكاف على اختلاف مقاطع أصوات الكلمات التي ورد فيها اختلاف الحركات والسكنات فيما بينها, فجعل النص يسير في نسق صوتي منتظم في حرف الروي ومنزاح عن التوافق بين أوزان الكلمات, فالكاف صوت مهموس انفجاري ينتج من ((اندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة, فلا يتحرك

([1]) البلاغة والتطبيق, د. أحمد مطلوب, د. كامل حسن البصير: ١٤٣ .
([2]) فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمات العربية, د. محمد المبارك: ٥٢ .

الوتران الصوتيان, ثم يتخذ مجراه في الحلق اولاً, فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباساً كاملاً؛ لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك أعلا, فلا يسمح بمرور الهواء, فإذا انفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثاً صوتاً انفجارياً))[1], وهذا النص قد شهد هيمنة صوت الكاف على جلّ عباراته وفواصله محاكياً ومنسجماً مع الغاية المنشودة من النص مما خلق ترابطاً صوتياً لوحدات النص؛ ((مكوناً وحدة صوتية ذات إيقاع مستمر))[2], وهذه الصفة الانفجارية لصوت الكاف جاءت ملائمة ومنسجمة مع المعنى العام للنص والفكرة الرئيسة له, ويبقى الترابط الذي أوجده الإيقاع الصوتي المنتظم بفضل الانتقال بين الأصوات من الاحتكاكي إلى الانفجاري ثم عاد عليه السلام في آخر خطبته إلى الصوت الاحتكاكي وهو الراء في مقاطع الخطبة الأخيرة في (الشكر, ذكر, أمر), فقد تضافرت الصفة الصوتية والوزن الصرفي في خلق جو مناسب وما يُراد من النص في بنيته الكلية من معانٍ, وجدير بالذكر هنا أن جميع فواصل هذا النص كانت من الصوامت؛ لأن ((الروي الصامت ألزم للقافية من جميع أصوات اللين, وأن هذا اللزوم لا يأتيه من طبيعة معجمية, وإنما يرجع إلى اعتبار الصوامت ركيزة في ضبط الإيقاع؛ إذ تمثل في موضعها منبهاً قوياً يشبه وظيفة القرع))[3], فيُلحظ مدى اختيار الأصوات والكلمات مما أدى إلى ترابط النص واتساقه.

ومما ورد أيضا في هذا القسم, قوله عليه السلام واعظاً: **((ثلاث درجات وثلاث كفارات وثلاث موبقات وثلاث منجيات, فأما الدرجات فافشاء السلام, وإطعام الطعام, والصلوة بالليل والناس نيام, وأما الكفارات فاسباغ الوضوء بالسبرات, والمشي بالليل والنهار إلى الصوات, والمحافظة على الجماعات, وأما الموبقات فشحّ مطاع, وهوى متبّع, وإعجاب المرء بنفسه, وأما المنجيات**

([1]) الأصوات اللغوية, الخويسكي: ١٥٧ .
([2]) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٩ .
([3]) موسيقى الشعر العربي, د. شكري عياد: ١١٥ .

فخوف الله في السر والعلانية, والقصد في الغنى والفقر, وكلمة العدل في الرضى والسخط))[1].

عند مطالعة النص وانعام النظر فيه نجد أن الإمام الباقر عليه السلام قد اختار ألفاظه بعناية, واختار لكل فقرة من النص سجعة, وهذا ما يميز المتكلم البليغ عن غيره في انتقائه لألفاظه في التعبير عن قصده خاصة أن الموضع هنا هو موضع وعظ ونصح لذا فقد كثف الإمام عليه السلام الأصوات, فقد عمد في الفقرة الأولى في السجع إلى استعمال صوت الميم في الكلمات المسجوعة (السلام, الطعام, نيام) وهو ((صوت مجهور لا هو بالشديد ولا الرخو؛ بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة))[2], والقيمة الدلالية المُرادة من الفقرة الأولى تأتي متناسقة مع ما لهذا الصوت من مزية نطقية تحدث عند النطق به؛ لأنه ((يتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة أولاً, فيتذبذب الوتران الصوتيان, فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك, فسد مجرى الهواء مجراه في التجويف الأنفي, محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع))[3]؛ لذلك فذا التكرار الحاصل لصوت الميم في نهايات الجمل يسهم في خلق جوٍ موسيقي متناغم, ومتناسباً مع السياق والمعنى المقتضى من النص, أمَّا الفقرة الثانية فقد تغيرت فيها نهايات السجع, فقد تحول السجع من الميم إلى التاء,في الكلمات (السبرات, الجماعات, الصلوات), وهو من الوقفات الانفجارية كما يرى علماء الأصوات[4], وهو صوت يخرج من الصدر ولا يحدث صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتين[5], والمنعم النظر في النص السابق يجد أن وسائل الاتساق النصي قد تضافرت فيما بينها في وسق النص وسبكه, ومنها ما هو معجمي كالتقابلات الدلالية الواردة في النص والتي سيتم دراستها في وقتها في قابل مباحث البحث, وأما الاتساق الصوتي الذي حصل في نهايات الفقرات المسجوعة والذي أسهم في ديمومة النص واستمراريته في نسق نغمي يصب في

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ٣٥١/٢ .
([2]) الأصوات اللغوية: ٤٨ .
([3]) المصدر نفسه: الصفحة نفسها .
([4]) ينظر: علم الأصوات: ٢١٢.
([5]) ينظر: سر صناعة الإعراب, ابن جني: ٢٦/١ .

المستوي الصوتي والذي هو ((أساس تأليف الكلام لكون عملية تواصل الفهم والإفهام تتم في مسرى سمعي ومسرى تلفظي أو نطقي أي بين فنوتيكا السامع وفنوتيكا المتكلم))[1], ولما كان النص في موضع الموعظة فيتطلب ذلك شد للمتلقي وجذبه نحو النص؛ لأجل الوصول للغاية المبتغاة, وساعد على ذلك انتخاب الأصوات المنسجمة والمتراكمة في النص مما جعل للكلمات إيقاعا ينماز بالمجانسة بين الأصوات.

ثانياً: السجع المتوازي:

ويُعرّف بأنه ((ما كان الاتفاق فيه من أقل الألفاظ وزناً وتقفية))[2], أي أنه اتفاق اللفظة الأخيرة من القرينة مع ما تقابلها في الوزن والروي في القرينة الثانية [3], كقوله عزَّ وجل: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [4].

ومن الأمثلة الواردة على هذا النوع في مسند الإمام قوله عليه السلام في باب صلة أهل البيت: **((نحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم, ونحن أئمة الهدى, ونحن مصابيح الدجى, ونحن منار الهدى, ونحن السابقون, ونحن الآخرون, ونحن العلم المرفوع للخلق, من تمسَّك بنا لحق, ومن تخلف عنَّا غرق, ونحن قادة الغر المحجلين))**[5].

جاء في النص سجع متوازٍ ؛ وذلك لتماثل الكلمات بين القرائن مع نظيراتها في نهايات الجمل في الوزن والتقفية وهي حسب المخطط التالي:

---

(1) مقدمة لدراسة اللغة, حلمي خليل:٣٦ .
(2) نظم البديع في مدح الشفيع, جلال الدين السيوطي: ١٧٨ .
(3) ينظر: البلاغة العربية, د. أحمد مطلوب: ٢٧٥.
(4) الغاشية: ١٣ , ١٤ .
(5) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ٢٢٦/١, ٢٢٧ .

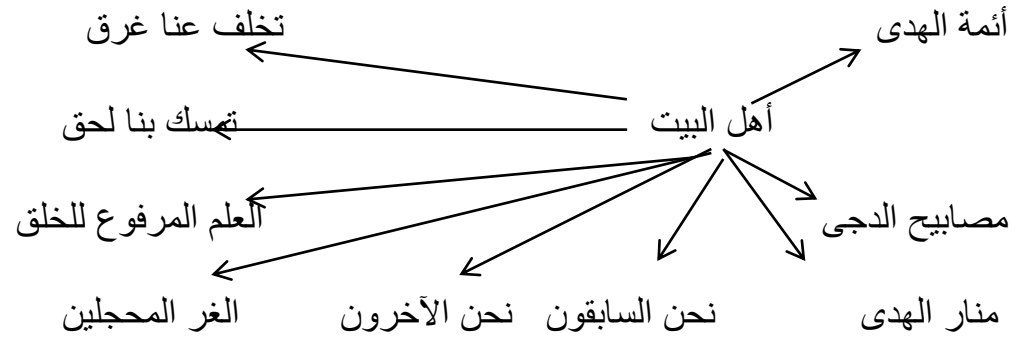

المخطط السابق يوضح طبيعة النص والقضية المركزية التي جاءت في النص وهي تخص أهل البيت عليهم السلام, ويظهر السجع في نهايات فقرات النص أنها قد جاءت متنوعة فقد انتقل الإمام عليه السلام بين ثلاثة حروف للروي وهي (الأف, والنون, والقاف) ولهذا التنوع في حرف الروي قد ((حقق الربط في النص وامتد إلى أكثر من سجعة مكوناً وحدة صوتية ذات إيقاع مستمر))[1], فقد جاءت الأسجاع الثلاث الأول متفقة في مكوناتها الصوتية من مقاطعها ورويها,(الهدى ,والدجى, والهدى), والألف هو صوت حنجري مجهور, وجاءت أسجاع الفقرات التالية على حرف النون , وهو من الأصوات المائعة الرنانة , والتي قريبة من الحركات في الوضوح السمعي والجهر[2], ثم انتقل الإمام في كلامه إلى فاصل أخرى وهي القاف , وهو صوت لهوي انفجاري يحدث ((بارتفاع الطبق ليسد المجرى الأنفي مع ارتاع مؤخرة اللسان تجاه اللهاة فتلتصق بها, وبالجدار الخلفي للحلق, فينحبس الهواء خلف ذلك السد, وعند انفتاح العنصرين المتصلين ينفجر الهواء بشدة مع عدم اهتزاز الأوتار الصوتية))[3], فعند ملاحظة التنقل بين السجعات والعدول بين الأصوات مما اعطى هذا التغير في المكونات الصوتية قوة ربط للنص وجعل المتلقي أو القارئ مشدود الذهن إلى النص متابعاً في القراءة, فقد بدأ حديثه في نسق صوتي منتظم بنهايات مسجوعة

---

(1) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٤٤٩ .
(2) ينظر: علم الأصوات: ٣٤٥ ـ ٣٥٩ .
(3) الأصوات اللغوية : ٨٣ .

بـالألف ثـم النـون لأن فـي الألـف مدّ فـي طبيعتـه الصـوتية, وجـاء هـذا المـدّ متوافقـاً مـع مـا فـي النـون مـن وضـوح وشـبه مـد؛ لأن النـون أطـول الصـوامت مـن ناحيـة المـدّ, ومزيتـه الصـوتية أن الهـواء يتحـرك بحريـة تامـة عنـد نطقـه[1], وقـد حـافظ الـنص علـى اسـتمراريته التـي أوجـدتها السـجعات, فضـلاً عـن التـرابط الـداخلي النـاتج عـن الوسـائل المعجميـة المتداخلـة بـين فقـر الـنص, ثـم انتقـل الإمـام عليـه السـلام فـإلى صـوت القـاف والـذي يكـون مختلـف عمَّـا يمتـاز بـه الصـوتين الأولـين فقـد عمـد إلـى سـجع الكلمـات (خلـق, لحـق, غـرق), ومزيـة تكـرار صـوت القـاف فـي نهايـات السـجعات يحـدث تـرابط نصـي بـين مكونـات الـنص المتتاليـة؛ لأنـه يحـدث ((المفاجـأة التـي تحـدث صـوتاً))[2]؛ لـذا نجـد أنـه قـد حـافظ علـى تماسـكه وجماليتـه بفضـل مـا قدمتـه أصـوات نهايـات الفقـر مـن تنـاغم موسـيقي مناسـب مـع الفكـرة الرئيسة من النص .

ومما جـاء فـي هـذا النـوع مـن السـجع قولـه عليـه السـلام: **((لـيس يبتـدئ العبـاد بالغضـب قبـل أن يغضـبوه وذلـك مـن علـم اليقـين, وعلـم التقـوى, وكـل أمـة قـد رفـع الله عـنهم علـم الكتـاب حـين نبـذوه, و ولّاهـم عـدوّهم حـين تولـوه, وكـان مـن نبـذهم الكتـاب أقـاموا حروفـه, وحرَّفـوا حـدوده, فهـم يروونـه, ولا يرعونـه, والجهَّـال يعجـبهم حفظهـم للرّوايـة, والعلمـاء يحـزنهم تـركهم للرّعايـة, وكـان مـن نبـذهم الكتـاب أن ولـوه الـذين لا يعلمـون فـأوردوهم الهـوى, وأصـدروهم إلـى الـردى, وغيروا عرى الدين ثم ورثوه في السفه والصبا))**[3]

جـاء الـنص حـافلاً بكثيـر مـن المكونـات الصـوتية المتتاليـة فـي نهايـات جملـه المتنوعـة, وهـذا بـدوره خلـق جـواً مـن التنـاغم والمناسـبة الصـوتية بـين الأصـوات المتراكمـة فـي الـنص والقضـية المركزيـة التـي جـاء مـن أجلهـا الخطـاب هنـا, فقـد عمـد الإمـام عليـه السـلام فـي توجيـه حديثـه إلـى التنويـع بيـه فقـر الـنص ونهايـات

([1]) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب: ١٤٧, و التشكيل الصوتي : ٥٢ .
([2]) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي, د. أسعد علي: ٦٤ .
([3]) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ٢/ ٣٨٩ .

سجعاته, في من الثنائيات التي تمثل السجع المتوازي ؛ لأن كل سجعة تماثل نظيرتها بالوزن والتقفية, ففي (نبذوه, تولوه), وكذلك (حروفه, حدوده), و(يروونه, يرعونه), و(الرواية, الرعاية) و(الهوى, الردى, الصبا), يُلاحظ في هذه السجعات الاتفاق بينها من جهة الوزن والروي, فضلاً عن ذلك فإن الحرف الذي قبل حرف الروي جاء متفق بين كل سجعتين وهذا مما يعطي نغماً مميزاً, ومما يسهم في وسق النص السابق صوتياً تكثيف وتراكم الأصوات وخاصة أصوات المد, ويبدو أن الإمام عليه السلام قد اختار السجعات في خطابه متناسقا ومنساباً وكان خالياً من التكلف المذموم ((وإذا سلم من التكلف وبريء من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه))[1], والتكرير الحاصل في حروف التقفية على اختلافها والتنقل الصوتي بين آواخر السجعات أبرز سمة صوتية خاصة للنص, وجعل القارئ متلذذ وهو يواصل قراءة النص مفتشاً عن روابطه؛ لأن ((الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها, ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة))[2], فهذا إن دل على شيء يدل على أن عناية الإمام الباقر عليه السلام قد عنى في أصوات ألفاظه منسجمة ومتصلة بإيقاع كلماته ومؤثرة على المتلقي ومترابطة صوتياً ومعجمياً, ويشدّ انتباه المتلقي بالسجع المتوازي بين الكلمات, فقد أسهمت الصيغ الصرفية المتشابهة كذلك في وسق النص؛ لأن التناسب الحاصل بين الكلمات قائم على ((الأسلوب المسجوع مقسم إلى فقر متساوية, متشاكلة المقاطع, متشابهة الأوزان, متناسقة النغم, وهذا مؤدٍ إلى ربط الكلام وتلاحمه))[3], ويُلحظ تضافر السجعات وتناغمها قد ساعد في سبك النص السابق واتساقه صوتياً بإيقاع محبب عند المتلقي.

ومن الأمثلة على هذا السجع أيضاً قوله عليه السلام واعظاً : **((ما ظنك يا عمرو بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا, ولا يخفف عنهم من عذابها - أي النار -**

([1]) الصناعتين , أبو هلال العسكري : ٢٥ .
([2]) موسيقى الشعر, إبراهيم أنيس : ١١١ .
([3]) دراسات منهجية في علم البديع : ١١٠ .

عطاشى فيها جياع كليلة أبصارهم, صم بكم عمي, مسودة وجوههم, خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم, ومن العذاب فلا يُرحَمون, وفي النار يسجرون, ومن الحميم يشربون, ومن الزقوم يأكلون, وبكلابيب النار يحطمون, وبالمقامع يُضربون, والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون, وهم في النار يسحبون على وجوههم, ومع الشياطين يقرنون, وفي الأنكال والأغلال يصفدون, إن دعوا لم يستجب لهم, وإن سألوا حاجة لم تقضَ لهم, هذه حال من دخل النار))[1].

جاء في النص سجع متوازٍ بين الكلمات التي جاءت في أواخر فقرات النص أعلاه, فقد جاء التوافق في فواصل النص في الوزن والتقفية, والسجع هنا متمثل في صوت النون الذي جاءت عليه الفواصل المسجوعة, وهو من الأصوات المجهورة, والاعتماد على هذا الصوت في سجع فقرات النص وجمله جاء متآتياً مع القضية المركزية للنص وهي الحال التي سيصبح عليها أهل النار, فالمنعم النظر يجد أن النسق الصوتي والدلالي مترابطان وينم عن حسن تدبير وانتقاء الألفاظ بعناية فائقة تصور حال أهل النار, واختيار صوت النون يوحي بدلالة خفية تسري على طول فقرات النص وهي ما لهذا الصوت من صفة مخرجية ؛ لأن الهواء عند نطق النون يتوقف في مكان ما ثم ينطلق[2], وهذا ما سيبدو عليه حال الناس يوم الحساب, ولما كان السياق هو سياق موعظة فتطلب التأثير في المتلقي وجذبه نحو ما يريد المتكلم قوله, فجاء السجع هنا لتقوية الفكرة وإبرازها صوتياً؛ لأن إيقاع النص المنتظم يجعل المتلقي يواصل الاستماع أو القراءة, وبهذا يكون للنص أثره في نفس المتلقي؛ لأن السجع ((يجعل للأسلوب نغمة موسيقية لها أثرها النفسي الكبير, فضلاً عن أثره في توضيح الفكرة وتحسين الصورة والأسلوب))[3], والملفت للنظر أن الخطاب في النص السابق قد سار على نسق صوتي واحد وصيغة صرفية واحد, وهذا كله جعل النص متماسكاً ومترابطاً بفضل التوافق الحاصل بين نهايات السجعات وتناغمها مع الوزن

---

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٣٧٣ .
(2) ينظر: علم الأصوات : ٣٤٩ .
(3) الصور البديعية بين النظرية والتطبيق, د. حنفي محمد شرف ٢/ ٣٢٤ .

الصرفي للكلمات المسجوعة ((فهذه العناصر الصوتية والصرفية من كلمات وجمل لا يستقل بعضها عن بعض في السياق, بل تتآلف فيما بينها, وتتآزر علاقتها الإيقاعية النغمية والإيحائية المعنوية المتبادلة, وتنصهر جميعها في بوتقة واحدة))[1], وصيغة المضارع التي جاءت عليه تفيد الحدوث والتجديد والتوكيد أي أن الذي يريده الإمام عليه السلام من القضية المركزية لخطاب النص أنها حادثة لا محالة, وختم نهايات هذه الصيغ بحرف النون وهو يدل على الابتلاع, وعدم التضييع, فهو يمثل المواعظ التي يتم فيها التوسع والاحتفاظ[2], فالسمة النصية لهذا النص تتمثل في قيمته الصوتية والدلالية المتماسكة, بفضل وسائل نصية قد وسقت النص صوتياً.

ثالثاً: السجع المرصَّع :

وهو ((ما اتفقت فيه ألفاظ القرينتين أو أكثر في الوزن والتقفية))[3], أي ما يعني أن تتساوى الفقرات في ثلاثة أشياء وهي الوزن والقافية وتقابل القرائن, ولكنها مؤلفة ـ أي الفقرات ـ من كلمات مختلفة في المتقدم منها والمتأخر[4], كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [5].

وقد جاء هذا النوع من السجع في امثلة عدة في كلام الإمام الباقر عليه السلام, ومنها ما جاء في جوابه عليه السلام لشخص سأله عن رؤية الله تعالى, فقال عليه السلام : **((لم تره الأبصار بمشاهدة العيان, بل رأته القلوب بحقائق**

([1]) بلاغة الخطاب الإقناعي, محمد العمري : ١١٦ .
([2]) خصائص الحروف العربية ومعانيها, حسن عباس : ٧٨ .
([3]) المفصل في علوم البلاغة , عيسى علي العاكوب : ٦٤٦ .
([4]) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: ٣٩٨, و أساليب البديع في القرآن , جعفر السيد باقر الحسيني : ٢٠٧ .
([5]) الغاشية: ٢٥,٢٦.

الإيمان, لا يدرك بالحواس, ولا يقاس بالناس, معروف بالآيات, منعوت بالعلامات, لا يجور في قضيته هو الذي لا إله إلاّ هو))[1].

اسهم السجع في هذا المثال على إبراز العناصر الصوتية متعاضدة مع دلالتها ومنسجمة مع القضية المركزية للنص وهي رؤية الله سبحانه وتعالى, فالنص السابق على قصره قد حمل دلالات كثيرة, وبنيات نصية متتابعة متفاعلة فيما بينها منتجة عن ذلك إيقاعاً صوتياً متناغماً مع جو السياق الذي قيل فيه النص و موضع تبكيت وتحدي للسائل الذي أراد إحراج الإمام عليه السلام , ولا بأس من أن نستعين بالمخطط التالي لتبيان العلاقة بين فقرات النص المسجوعة سجعاً مرصعاً :

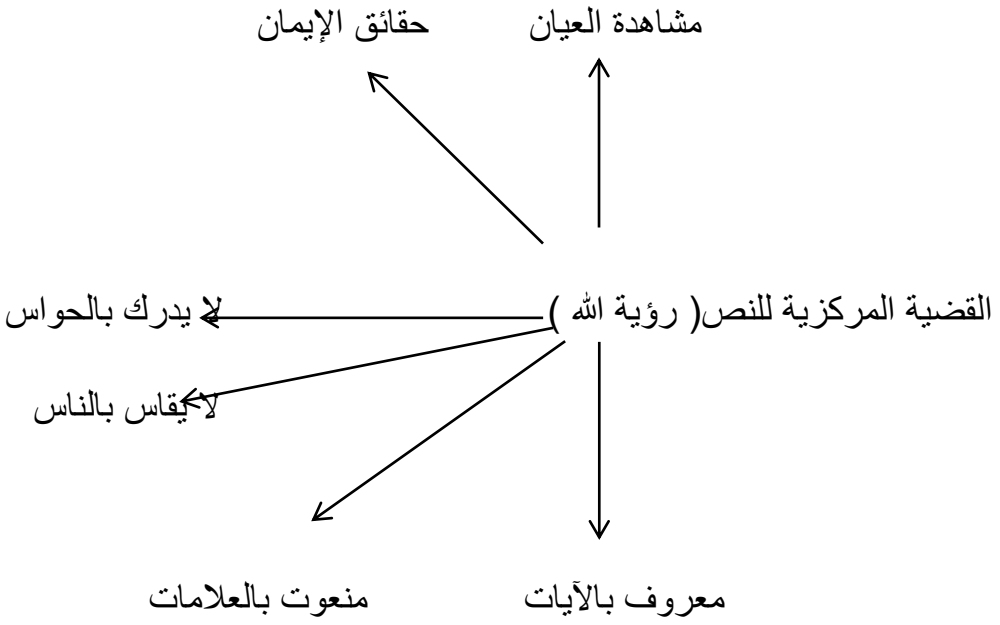

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام: ١/ ٢٠٥ .

وبهذا المخطط يتضح لنا أن ألفاظ النص قد جاءت مستوية في أوزانها, ومتوافقة في تقفيتها, حيث أن كل قرينتين قد جاءتا على وزن واحد وروي واحد, مما اسهم في انسجامها وتماسكها صوتياً ودلالياً, فالسجع في الفقرتين الأوليتين جاء بحرف النون وهو صوت أسناني لثوي مجهور, ثم عدل عن النون إلى السين في الفقرتين الأخريتين وهو صوت لثوي مهموس رخو, ويحدث عند النطق به صفير[1], ثم جاءت الفقرتان الأخيرتان مختومة بحرف التاء وهو صوت أسناني لثوي مهموس, ويلاحظ على الأصوات الثلاثة أنها من مجموعتين صوتيتين متقاربتين بشكل كبير[2], وهذا التقارب الصوتي في النسق المخرجي للأصوات الثلاثة اسهم في تناغم فقرات النص, وبالتعاون مع وسيلة نحوية وهي الإحالة المقامية لأن المقام هنا في الحديث عن رؤية الله تعالى, وأراد الإمام عليه السلام في خطابه إقناع السائل في إجابته, فعمد إلى السجع؛ لأن ((الاقتناع عن طريق السجع من المفاهيم الثابتة في الثقافة العربية))[3], لذا يلاحظ على المتكلم مراعاته وسائل التأثير في المتلقي ومنها الصوتية المتمثلة في استعماله الأسجاع في المقابلة بين نهايات الفقرات ليجذب السامع نحو ما يريد قوله ويؤثر فيها أيما تأثير, ((كما أن النهايات المتشابهة التي يخلقها السجع تعطي له الدعم الصوتي الذي يشكل وسيلة قوية للإقناع, وخاصة إذا كان بين الكلمتين المسجوعتين علاقة دلالية, كما لا يخفى علينا التماثل الصوتي لتلك النهايات المتشابهة, ففواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها؛ لأن الغرض أن يزاوج بينها))[4], والمنعم النظر في النص يجد أن هناك إيقاعاً خفياً يسير على طول فقرات النص ومتمثل بحرف العطف الواو, زيادة على ذلك فقد خلق السجع والمستوى التنغيمي للنص تناغماً صوتياً أفقياً يسير على طول النص مما ينسجم وما يريده الإمام عليه السلام من دلالة شاملة للنص, وهو ما يسميه علم الدلالة بـ (التأثير المباشر للأصوات في السامع)[5], فالمزية الصوتية

---

(1) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٧ .
(2) ينظر: علم الأصوات : ١٨٤ .
(3) نظرية علم النص نحو رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١١٧ .
(4) المصدر نفسه : ١١٧ .
(5) ينظر : علم الدلالة, د. أحمد مختار عمر: ٣٩ .

لنهايات الفقرات المسجوعة أنها حافظت على إيقاع النص المنتظم ووسقه صوتياً .

ومما جاء أيضاً في هذا النوع من السجع قوله عليه السلام في معرض كلامه مخاطباً أهل الغفلة والجهالة, فيقول : **((يا طالب الجنة ما أطول نومك, وأكلَّ مطيتك, وأوهى همتك, فلله أنت من طالب ومطلوب, و يا هارباً من النار ما أحث مطيتك إليها, وما أكسبك لما يوقعك فيها! انظروا لهذه القبور, سطوراً بأفناء الدور, تدانوا في في خططهم, وقربوا في مزارهم, وبعدوا في لقائهم, عمروا فخربوا, آنسوا فاوحشوا, وسكنوا فازعجوا, وقنطوا فرحلوا, فمن سمع بدانٍ بعيد, وشاحط قريب, وعامر مخرب, وآنس موحش, وساكن مزع, وقاطن مرحل غير أهل القبور))**[1].

عند مطالعة النص السابق يُلحظ عليه التناسق في حروفه وعدم التكلف في إنتاجه, وهذه من سمات الخطيب البليغ الذي يصل إلى مراده بألفاظ سهلة ومفهومة بعيدة كل البعد عن التكلف والتعسر في انتخاب كلمات النص, ولما كان للأصوات وظيفة استثارة السامع وجعله يشارك في عملية إنتاج النصوص؛ لأن الخطبة لها قيمتها التواصلية والاجتماعية[2], والسجع يحقق هذه الوظيفة فقد عمد الإمام الباقر عليه السلام إلى تكثيف الأصوات في خطبته هذه, ووظف السجع المرصع في محله, فجاءت العبارات متناسقة ومنسجمة من الناحية الصوتية, فضلاً عمَّا في النص من وسائل معجمية ستدرس في موضعها في قابل المباحث , ويمكن وضع مخططين توضيحيين لبيان السجع وتقابلاته الصوتية :

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٣٥٤ .
([2]) ينظر: التطريز الصوتي لسطح النص, نوال بنت إبراهيم : ١٠ .

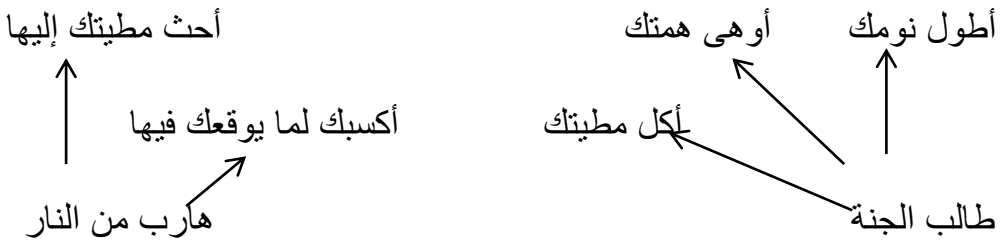

الدلالة الشاملة للنص

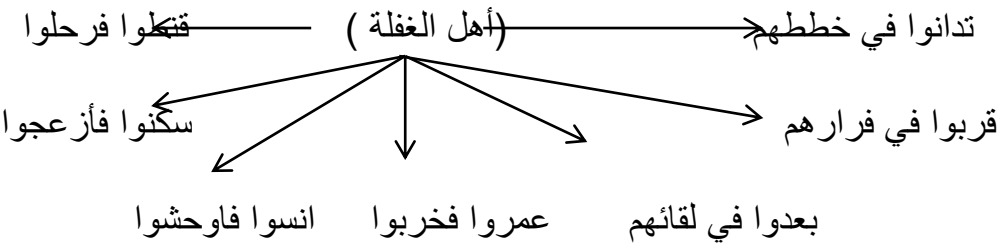

يتضح لنا أن الأسجاع جاءت منسابة مع سياق الخطبة, فجلَّ فقرات النص جاء فيها السجع مرصعاً, متضافرة معه وسائل اتساقية أُخر جعلت من النص ينطلق بعفوية وقوة تأثيرية في جمهور المتلقين وهذه مزية للمرسل في إنتاج رسالته النصية في موقف يكون في انتخاب ألفاظ بعبارات قصيرة مسجوعة بأصوات رنانة تنم عن خبرة وفصاحة الخطيب والباث, فيلاحظ على الإمام أنه يختار خطاباته بانتخاب أفضل الكلام وهذا يدل على ((إنَّ العقل يقدر القوة اللازمة لإدراك المقاطع, فإذا زاد المتكلم أو نقص, أو غير في مقطع مألوف هيئته, تعثرت به أذن السامع, وشق عليها ذلك, كمن يسير في سهل مستوٍ على غير انتباه, فإنَّ أقل خلل في الطريق من ارتفاع, أو انخفاض بخلاف ماهو مقرر في ذهنه يوجب عثاره وتأذيه))[1], إنّ النص وما انماز به من صورة بديعية في توصيل الفكرة, وجذب المتلقي لمتابعة الاستماع والقراءة وتفتيشه عن المعاني

(1) فلسفة البلاغة , جبر ضموط :١٤٢ .

المقصودة, وهو ما أراده الإمام عليه السلام في توظيفه للسجع هنا من أجل إيصال الفكرة الرئيسة من النص وهو ترك الغفلة والعمل للآخرة, والتنبيه والإيحاء لما تبدو عليه حال أهل الدنيا, بعبارات قصيرة مسجوعة تدخل أيضا ضمن السجع القصير؛ وكلما السجع قصيراً كان أبلغ, لتقارب موقع الفواصل في الفقرات المسجوعة من بعضها, والتحامها في نهاياتها [1].

وفي ختام الحديث عن السجع وما أضافه من وظيفة نصية أسهم بواسطتها في وسق النصوص الباقرية صوتياً ودلالياً, واتضح للباحث أن السجع في بنيته الصوتية قد وافق بين جمل النص وعباراته وحافظ على استمرارية الحركة بين الفقرات المتكونة منها النصوص وقد لعب دوراً بالغاً في اتساقها, وأظهر جمال النصوص , فالإمام عليه السلام لم يكن متكلفاً في حديثه , بل جعل السجع في خدمة المعاني التي أرادها, وليس العكس, وهذا هو السبب الذي جعل دراسة السجع ضمن مباحث الاتساق الصوتي .

(1) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن : ١٣١ .

المبحث الثالث : التنغيم

مفهومه:

إنَّ هناك علاقة وثيقة الصلة بين التلوين الصوتي والفهم العقلي, فالسمع هو المؤدي إلى الإفهام والتواصل؛ لأن ((التأثير الصوتي من أهم المداخل إلى النفس البشرية))[1], فالجرس الموسيقي في الكلام المنثور يجعل له مزية الانسجام الداخلي كما أن للشعر موسيقاه التي تميزه, فالنثر بإيقاعه المتتابع بفضل ما تعطيه مقاطعه من نظام صوتي منسجم, وهذا يتم عن طريق ما يسمى بالتنغيم, الذي يعد نظاماً من متواليات صوتية تكسي الكلام رونقاً وجمالاً موسيقياً, وللتنغيم عند الأصواتيين أكثر من تعريف فمنهم من عرَّفه بأنه ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام[2], وعرَّفه آخر بأنه ((تغيير في الأداء بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة))[3], وهو أيضاً ((تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جمل كاملة أو أجزاء متتابعة))[4], وهو ((عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين))[5], ويعد الدكتور إبراهيم أنيس من أوائل الباحثين الذين درسوا التنغيم وأدخلوه في الدراسات العربية والبحوث الحديثة والمعاصرة, وقد سمَّاه بـ (موسيقى الكلام) وقال: ((إنَّ الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات, فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد, قد تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها, ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات

---

(1) اللغة والمجتمع, د. محمود السعران : ١١٤ .
(2) ينظر: مناهج البحث في اللغة, د. تمام حسان: ١٦٤, و المدخل إلى علم اللغة, د. رمضان عبد التواب: ١٠٦ , والمدخل إلى علم الأصوات العربية : ٢٤٣ .
(3) علم الأصوات اللغوية: ١٣٤ .
(4) دراسة الصوت اللغوي, د. أحمد مختار عمر: ١٩٥ .
(5) أسس علم اللغة, ماريو باي, تر: د. أحمد مختار عمر : ٩٣ .

الصوت بالنغمة الموسيقية))[1], ويتضح من التعريفات التي ذُكرت أنَّها كلها دلَّت على أنَّ التنغيم من الوسائل الصوتية التي تميّز بين السياقات والدلالة وقصدية المتكلم وحالاتها الإنفعالية والنفسية, وهذا يتم من خلال التنغيم الحاصل في الجمل المكونة للنص, والحقيقة التي أشارت إليها التعريفات أن في ارتفاع الصوت وانخفاضه تتحقق قصدية التعبير, واقتضاء المعنى والدلالة؛ لأن نغمات الكلام تكون في تغيّر بشكل دائم من أداء إلى آخر, ومن موقف إلى آخر, ومن سياق إلى آخر, وحالة نفسية إلى أخرى[2], وقد قام الدكتور أحمد مختار عمر بتصنيف التنغيم ضمن ما يسمى بمصطلح الفونيمات فوق التركيبية[3], أي أن التنغيم ((وسيلة صوتية تسعى للاستغناء عن الأدوات واللواحق التي تنقل البنى الصرفية لتحديد اتجاه الدلالة, بل إنه عنصر من عناصر الإبلاغية في دراسة النماذج الأ دبية الرفيعة في اللغات الحية))[4], فالاختلاف في نغمات الكلام يؤدي إلى فهم المعنى بلحاظ أن منتج النص يقوم بالأداء الصوتي الصحيح عند نطقه لرسالته الكلامية؛ كي لا يفهم المتلقي غير ما يريده الملقي, وفقاً لموقف الكلام وسياقه الحالي, لذا فقد جاءت دراسة التنغيم جنباً إلى جنب مع دراسة النبر في البحوث والدراسات الغربية, لكن هناك من ذهب إلى أن النبر لا يؤدي قيمة تمييزية في اللغة العربية كما هو حال التنغيم, والذي يعد مزية صوتية تطريزية يؤدي إلى فهم أنماط الكلام وكشف أسرار النصوص والسياق الذي يقال فيه النص.

التنغيم مصطلح لساني قد شغل حيزاً في اللسانيات الحديثة, حتى صار الباحثون على موقفين متباينين تناول علماء العربية التنغيم في طيات مصنفاتهم, فمنهم من ذهب إلى أن القدامى لم يدرسوا التنغيم, ومن هؤلاء برجشتراسر والدكتور تمام حسان والدكتور رمضان عبد التواب والدكتور محمد الأنطاكي, والقسم الآخر ذهب إلى إدراك القدامى لظاهرة التنغيم وإن لم يكن بالمصطلح

([1]) الأصوات اللغوية : ١٤٢, ١٤٣ .
([2]) ينظر: التنغيم في القرآن الكريم, د. سمير إبراهيم العزاوي: ٢٦ وما بعدها.
([3]) ينظر: دراسة الصوت اللغوي : ١٦١ , ويقصد بها مجموعة الوحدات الصوتية المتمثلة بـ (النبر, والتنغيم, والنغمة, والمفصل, والطول).
([4]) التنغيم في القرآن الكريم : ١٤٣ .

المتعارف عليه الآن, ولا بالبحث المستفيض, بل كانت إشارات هنا وهناك في مصنفاتهم اللغوية, ومنهم الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور سعيد الأفغاني والدكتور أحمد قدور[١], ويبدو أن القصية هنا ليست نفي وإثبات, وإنما تكون وفق استقراء؛ لأن طابع الشمول كان هو السائد قديماً في مؤلفات العلماء , فقد يلاحظ عند ابن جني في حديثه عن الاستفهام الذي ضامَّه التعجب, فيقول: ((من ذلك لفظ الاستفهام, إذا ضامَّه معنى التعجب استحال خبراً, وذلك قولك : مررت برجل أي رجل, فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل, ولست مستفهماً, وكذلك مررت برجل أيما رجل؛ لأن ما زائدة))[٢], فيُستشف من قول ابن جني أن وسيلة تضام التعجب مع الاستفهام هي النطق بطريقة تنغيمية موسيقية, ومن الإشارات إلى تناول القدامى ظاهرة التنغيم ما نجده عند علماء التجويد والقراءات, فهذا الزركشي يقول: ((فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله, فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدّد, وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم))[٣], وأقدم من تناول التنغيم بالدراسة هو أبو العلاء الهمذاني في كتابه (التمهيد في معرفة التجويد) في كلامه عن اللحن الخفي [٤], والتطرق لهذا الحديث هو من باب أصالة التنغيم في المباحث اللغوية لدى القدامى, ومعرفة مدى أهمية التنغيم في الكشف عن المعاني الخفية في النصوص وإماطة اللثام عن قصديتها, ولما كان ((التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة))[٥], فما سبق يدل على أن التنغيم مرتبط باللغة المنطوقة الحية, وتطبيقه على اللغة المكتوبة يكون أصعب من المشافهة, لكن هناك مبرر لتطبيقه على المتن المدروس, لما للتنغيم من وظيفة نظر سياقية تكشف عن معاني النصوص وتميط اللثام عن مكنوناتها ومقاصد المتكلم, فالتنغيم سمة تمييزية لا تقف عند الأداء النطقي, وإنما يتعداه إلى الأغراض التي سيق من أجلها الخطاب في النص وما يحمله من دلالات يريدها الملقي, ويفهمها المتلقي,

---

(١) ينظر: التنغيم في الدرس اللغوي بين القدامى والمحدثين, م. حيدر جبار, مجلة كلية الآداب, جامعة الكوفة, العدد الخامس:٣٠٣, ٣٠٤. (بحث)

(٢) الخصائص: ٣/ ٢٦٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن, الزركشي: ١/ ٤٥٠ .

(٤) ينظر: التمهيد في معرفة التجويد : ٢٣٧ .

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٢٦ .

فيحدث الفهم والإفهام بفضل ما يؤديه التنغيم من تحولات في الجمل والعبارات المتتابعة في النص؛ لأن ((للتنغيم أثراً في معرفة نوع الجملة أن كانت تقريرية أو استفهامية أو غير ذلك, فهو الفيصل في الحكم والتمييز بين الحالتين))[1], ومفاد ذلك أن لكل لغة طبيعتها الصوتية فيكون ((لكل مستوى كلامي نغمة معينة, وأداء يختلف يختلف عن غيره يُفهم دون الحاجة إلى إضافة كلمة أخرى))[2], وفي دراسة التنغيم في النص المكتوب وجهة نظر, ولكن في منظور التلقي والإبداع, فقراءة النص والتفاعل معه يعد طريقة كتابة جديدة للنص .

وظائف التنغيم :

١ــ الوظيفة النحوية (التركيبة): إنَّ التراكيب النحوية في العربية ((تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محدودة, فالهيكل التنغيمي الذي به الجملة الاستفهامية, وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات, وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة, فللصيغة التنغيمية منحى تنغيمي خاص بالجملة يُعين على الكشف عن معناها النحوي))[3], وبهذا يكون للتنغيم أثر بالغ في تحديد ما تكون عليه جمل النص من أنماط نحوية مختلفة.

٢ــ الوظيفة السياقية (الدلالية): اختلاق المواقف والسياقات, يؤدي إلى اختلاف في النغمات المنطوقة وفقاً للمقام الذي سيقت له, من رضا وقبول وزجر وتهكم وغضب وتعجب ودهشة ودعاء....إلخ, ((إذ يقوم التنغيم بأداء هذه المعاني المنطوقة بمعونة السياق العام المتعلق بالظروف والمناسبات التي يلقى

([1]) الأصوات اللغوية : ١٣١ .
([2]) علم الأصوات اللغوية: ١٣٥ .
([3]) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦ .

فيها الكلام))[1], أي أن التنغيم مرتبط بالسياق للحدث الكلامي فتكون النغمات معبرة عمَّا يريده المتكلم وفقاً لسياقٍ خاصٍ .

٣ـ الوظيفة التعبيرية (الانفعالية) : ويُراد بها ((التعبير عمَّا يختلج داخل النفس من أحاسيس, وانفعالات مثل: الخوف, والحزن, والفرح, والاندهاش, والتعجب, والتعظيم, والحسرة))[2], فالنطق بالعبارات بطريقة تعبيرية تفاعلية تجعل المتلقي يعرف ما إذا كان المتكلم في حالة انفعالية, تكشف عنها الأنساق التنغيمية لنطق الجمل.

٤ـ الوظيفة الاجتماعية (الطبقية): وهذه الوظيفة التي أكد عليها علماء الأصوات من اللغويين من أن للتنغيم أثراً في معرفة الطبقات الاجتماعية؛ وذلك لأن لكل طبقة أداء كلامي مختلف عن الطبقات الأخرى في المجتمع الواحد, فلكل طبقة موسيقى كلام مميزة وفقاً للمحصول الثقافي لتلك الطبقة [3], وهذا مفاده أن طريقة التعبير عن مقاصد الكلام يكون يتنغيم خاص بمجموعة معينة تفهمه من خلال الأداء النطقي المتعارف لدى تلك الجماعة.

٥ـ الوظيفة الصوتية : ((وهذه الوظيفة قد أغفلها كثير من الدارسين الأصواتيين في مؤلفاتهم , ومجال دراستهم , وأبحاثهم , على الرغم من أهميتها في التمييز بين الأساليب, والمقاصد الأخرى التي ذكروها , وتتمثل وظيفتها فيما للتنغيم من سمة صوتية موسيقية ناشئة من الانتقالات الصوتية المتنوعة في المنطوق؛ لأن التنغيم يقوم على التنويعات الموسيقية في نسق الكلام, فتتضافر أصواته منتجة نسقاً صوتياً يتلاءم مع قصدية المنشئ))[4]

أنماطه:

اتفق الباحثون على تقسيم أنماط التنغيم اعتماداً على ارتفاع الصوت وانخفاضه, لكنهم قد اختلفوا في أعداد النغمات وأنواعها, وقد يكون السبب عائد

---

(1) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة : ٧٠ .
(2) التنغيم عند ابن جني, أحمد البايبي : ٨ . (بحث)
(3) ينظر: علم الأصوات : ٥٤٠ .
(4) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة : ٦٨ـ ٦٩ .

إلى طبيعة اللغات, فلكل لغة طبيعتها النطقية, وما إلى ذلك من اختلاف وتنوع بين الأفراد من تنوع في درجات الصوت لديهم[١], ولما عرفنا مما سبق أن التنغيم مرتبط بالطريقة النطقية والسياق والموقف؛ لذلك قال ماريو باي : ((من الأسلم ألا يحاول المرء وضع قانون صارم يحدد طريقة النطق))[٢]؛ لأنه لا يمكن حصر تعبيرات المتكلمين في قالب واحد .

وقد ذكر الباحثون تقسيمات عدة لأنماط التنغيم فمنهم مَنْ وضعها في أربعة وهي : منخفض, ومتوسط, وعالٍ, وعالٍ جداً[٣], في حين ذهب الدكتور سعد مصلوح إلى أنها أربعة لكنه اختلف عن سابقه بتسمية النغمات, فهي عنده نغمة مستوية, ونغمة صاعدة, ونغمة هابطة, ونغمة هابطة صاعدة[٤].

وجعلها بعضهم خمسة أنماط: النغمة المستوية, والنغمة الصاعدة, والنغمة الهابطة, والنغمة الهابطة الصاعدة, والنغمة الصاعدة الهابطة[٥].

وقد يبقى الأمر مبهماً في الوقوف على أي التقسيمات أدق, ولعل السبب يرجع لوجهات النظر المتعددة, وعدم اللجوء إلى تحليل مختبري للأصوات اللغوية,؛ لعدم توفر مختبرات تظهر مستوى الارتفاع والانخفاض الحاصل عند النطق بدقة؛ ولأن ((للتنغيم درجات لا حصر لها, ولا يخضع لهذا النمط القسري من التقسيم, ما دام يعبر عن غرض المتكلم, وحالاته النفسية والانفعالية))[٦].

---

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي : ٢٣٠ , و أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني الاستفهام أنموذجاً, د. مزاحم مطر حسين: ٤٠ . (بحث)
(٢) أسس علم اللغة : ٩٥ .
(٣) هذا ما ذهب إليه ماريو باي ووافقه فيه د. سلمان العاني في كتابه, التشكيل الصوتي في اللغة العربية, فونولوجيا العربية : ١٤١ .
(٤) ينظر: أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية, د. مشتاق عباس معن: ٢٣٣, نقلاً عن : دراسة السمع والكلام , د. سعد مصلوح : ٢٦ .
(٥) ينظر: علم الأصوات, الخويسكي: ١٥٣ وما بعدها, وعلم الأصوات, د. كمال بشر: ٥٣٤ وما بعدها, والتشكيل الصوتي, د. مناف الموسوي : ١٤٣ .
(٦) قضايا صوتية في النحو العربي, طارق عبد عون الجنابي:, مجلة المجمع العلمي العراقي: ٣٤٧ .

وسيعمد البحث على التقسيم الثلاثي للنغمات, وسبب اختيار هذا التقسيم؛ لأنه يعد أشهر أنماط التنغيم وأنواعه[١]

أثر التنغيم في اتساق النص:

قد أجمع الأصواتيين على ((إنَّ للتنغيم أثراً في معرفة نوع الجملة أن كانت تقريرية أو استفهامية أو غير ذلك, فهو الفيصل في الحكم والتمييز بين الحالتين))[٢], فالأداء الكلامي في صعوده وانخفاضه واختلاف النغمات , وكيفية قراءة الجمل المكونة للنص, والتلوينات الصوتية الناتجة عن اختلاف النغمات بمستويات مختلفة تخلق في النص ترابطاً وتماسكاً؛ لأن كل متكلم يعمد عند النطق إلى تأثير قوة الألفاظ, واختلاف ترتيب النغمات في تنوع الجمل الكلامية[٣], ووقف النصييون أمام مصطلح التنغيم, فهذا ديبوجراند قد عدَّه محوراً رئيساً من محاور اتساق النص وترابط جمله [٤], فبفضل التلوينات الصوتية التي يقوم بها التنغيم, والانتقال الأدائي الذي يحدثه عند تلفظ النص وقراءته, وتتآزر هذه التلوينات بين ارتفاع وانخفاض واستواء, وتحمل قصد المتكلم في صورة قوية؛ لأنه أول مستوى يصل إلى ذهن المتلقي[٥], وهذا من جهة, ((ومن جهة أخرى يجعل - أي التنغيم - مجريات النص أكثر استيعاباً لدى المرسل إليه من خلال شدَّه إلى النص))[٦], وبهذا تكون للتنغيم وظيفته النصية التي تتجلى بشكل كبير في إسهامه في توصيل الفكرة إلى المتلقي, وإنتاج الدلالة بواسطة الارتفاع والانخفاض في الصوت, فلا يلبث المتلقي أن يصل إلى ما يريده المرسل, من خلال جعل المتلقي متابعاً لقراءة النص وفق مستوى تنغيمي

---

(١) ينظر: مناهج البحث اللغوي,:١٦٥ - ١٦٩ , والمدخل إلى علم أصوات العربية : ٢٥٨ .
(٢) الأصوات اللغوية : ١٣١ .
(٣) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات), د. كمال بشر : ٥٣٤ .
(٤) ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : ١١٦ .
(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية, عبد الهادي الشهري : ١٤٧ .
(٦) آيات القول في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص, د. كاظم جُبير الجبوري : ١٤٧ . (أطروحة) (أطروحة)

معين, خالقاً جواً موسيقياً متلائماً مع سياق الحدث الكلامي, فالتغييرات الصوتية التي يحدثا التنغيم في سياق ما تجعل من النص متماسكاً, وهذا التماسك الحاصل في النص شريطة موائمة النغمات للمعنى المركزي المقصود من النص؛ لذا فتؤدي النغمات دورها في إبراز الدلالة في سياقها ضمن تطريز صوتي يحدثه التنغيم في عالم النص, ومن ناحية أخرى ما يتعلق بالمقام[١].

ومما يُشار له أن للتنغيم وظيفته النصية التي تساعد في وسق النصوص وسبكها صوتياً, فضلاً عن وظيفته الإبلاغية في إيصال المعنى المُراد, وهذه الوظيفة لا يمكن أن تُؤدى ألَّا بعد أن يستوفي المستويات اللغوية الأُخر كالتركيب والمعجم[٢].

ويقوم التنغيم ((بوظيفة تحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب, وذلك بربط المقاطع التركيبية للجملة أو الجمل المتتالية فيما بينها, والحقيقة أن التنغيم يميز الجملة ونوعها ويحدد طريقة التواصل القائم بين المتكلم والمخاطب, وهو بذلك يميز في الجملة الواحدة, ودون أي تغيير في مكوناتها الفونيمية والمرجعية, بين الصيغة الإخبارية, مثلاً والصيغة الاستفهامية أو التعجبية أو الأمرية أو الانفعالية))[٣], فيتضح أن للتنغيم وظيفة تواصلية بين أركان الخطاب تؤدي إلى بلوغ القصدية المتضمنة في عالم النص ,فضلاً عن وظيفته الاتساقية, فلو ضربنا مثلاً ,قولنا: (أأنت تقوم بهذا ؟), بصورٍ مختلفةٍ من التعبير الكلامي, فيصلح أن يكون استفهاماً, أو إنكاراً, أو احتقاراً, أو اشمئزازاً, في طرق مختلفة وسياقات متعددة, وفقاً للسياق الذي يتكلم به التكلم وطريقة تنغيميه للألفاظ؛ لأن ((لكل مستوى كلامي نغمة معينة وأداء يختلف عن غيره يُفهم دون الحاجة إلى إضافة كلمة أخرى))[٤], فيكون لهذا التنويع النغمي أثره في جعل المتلقي يميز بين دلالات النص, ومشدوداً نحو ملقي النص, مستنداً إلى طريقة الكلام والتفريق بين الدلالات يرجع إلى مقدرة المخاطب من فهم الرسالة من خلال التطريز

---

(١) ينظر: علم الأصوات : ٥٣٩ .
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب : ١٤٧ .
(٣) علم الأصوات العام ـ أصوات اللغة العربية, د. بسام بركة : ١٠٠ .
(٤) علم الأصوات اللغوية : ١٣٥ .

الصوتي الناتج من اختلاف النغمات والذي يحافظ على ((على التوزيع التحليلي للنص الواحد بحيث يمكن مع تنغيم معين أن يكون النص طله جملة واحدة, ومع تنغيم آخر يكون أكثر من جملة))[1],ويقوم التنغيم بتقسيم النص على فقرات وجمل, يسهل على المتلقي تحديد البدايات والنهايات, فمثلاً الجملة الشرطية تنتهي بنغمة صاعدة وسماعها دليل على عدم تمام الكلام, وإذا استمرت هذه النغمة في باقي الجمل, فيجب أن يكون على المتلقي مدركاً أنَّ جواب الشرط لم يأتِ بعد, والذي بقراءته يتم الكلام, وهو ينتهي بنغمة هابطة, فبذكره يكون النص قد تم معنى ومبنى[2].

وجدير بالذكر أن التنغيم وسيلة اتساقية بالغة الأهمية, ولكن ذكرت سابقاً أن دي بو جراند عدّهَ محوراً رئيساً في اتساق النصوص في مستواها الصوتي, لكنه لم يتناوله بالدراسة كما تناول الوسائل النحوية والمعجمية؛ وهناك سببان لعدم نواله من التنغيم في تحليل النصوص, الأول أن ((مشروعه مقصور على اللغة الإنجليزية))[3], والسبب الآخر قد صرح به هو نفسه فقال: ((أنني لم أتناول بأي قدر من التركيز ذلك الدور الحيوي الذي لا يُنكر لتنغيم النص))[4], فيُفهم من كلامه أنه قد تأسف على هذا الأمر.

أولاً: النغمة الصاعدة:

وهذا النوع من النغمات يتطلب وجود درجة انخفاض في مقطع واحد أو أكثر, أو مستوية تليها درجة أكثر علواً[5], وهي ((تعني وجود درجة منخفضة في مقطع, أو أكثر تليها درجة أكثر علوً منها وقد تكون النغمة الصاعدة مركبة

(1) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي ـ الدلالي, د. محمد حماسة: ١١٩ .
(2) ينظر : علم الأصوات: ٥٤٧ , والاتساق النصي في السور المستهلة بأسلوبي الشرط أوالقسم : ٧٨ .
(3) النثر الصوفي دراسة في لسانيات النص : ٦٠ .
(4) النص والخطاب والإجراء : ٦٨ .
(5) ينظر: الأصوات اللغوية, الخويسكي : ١٢٤ .

من نغمة منخفضة تليها نغمة متوسطة, وقد تكون مركبة من نغمة متوسطة تليها نغمة عالية))[1].

وسبب تسميتها بالصاعدة يعود إلى صعودها في نهايتها[2], ويُرمز لها بالرمز (↖)[3].

وتتكون هذه النغمة عندما ننطق الجمل الاستفهامية التي يكون الجواب عنها بنعم أو لا, والجمل المعلقة لارتباطها بما بعدها[4], ويمكن تمثيل هذه النغمة في ((الأمر, والترغيب, والتعجب, والاستفهام, والإثارة, والضراعة, والإهانة, والنهي المحض))[5].

يمكننا ملاحظة هذا النوع من التنغيم عند قراءة نص للإمام الباقر عليه السلام في مسنده, فنجده عليه السلام يوصي تلميذه جابر, فيقول: **((يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر, واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله ازدراءً على النفس وتعرضاً للعفو, وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم, واستعمل حاضر العلم بخالص العمل, وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة اليقظة, واستجلب شدة اليقظة بصدق الخوف, واحذر خفي التزين بحاضر الحياة, وتوقَ مجازفة الهوى بدلالة العقل, وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم, واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء, وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص, وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة.....))**[6].

عند قراءة النص قراءة تنغيمية وفقاً لما فيه من تتابعات جملية, فنجد أسلوب الأمر في كل فقرات النص مما أدى إلى أن سير النص على اتجاه تنغيمي

---

(1) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٥٨ .
(2) ينظر: علم الأصوات : ٥٣٦ .
(3)ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية: ١٤٠ .
(4) ينكر: مناهج البحث في اللغة: ١٦٨ , واللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٠, وعلم الأصوات: ١٣٧ .
(5) التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١٥٧ .
(6) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢٥٤ .

مؤتلف؛ لأن الجمل جاءت أمرية كلها وعلى وتيرة واحدة مما ساعد على إكساء النص بتلوين موسيقي منسجم مع ما للنص من دلالية عامة وقضية مركزية تتواشج الجمل في علاقة صوتية ناتجة عن التنغيم الحاصل لتلبي الحاجة من قصد منتج النص, ويكون التنغيم على وفق المخطط الآتي :

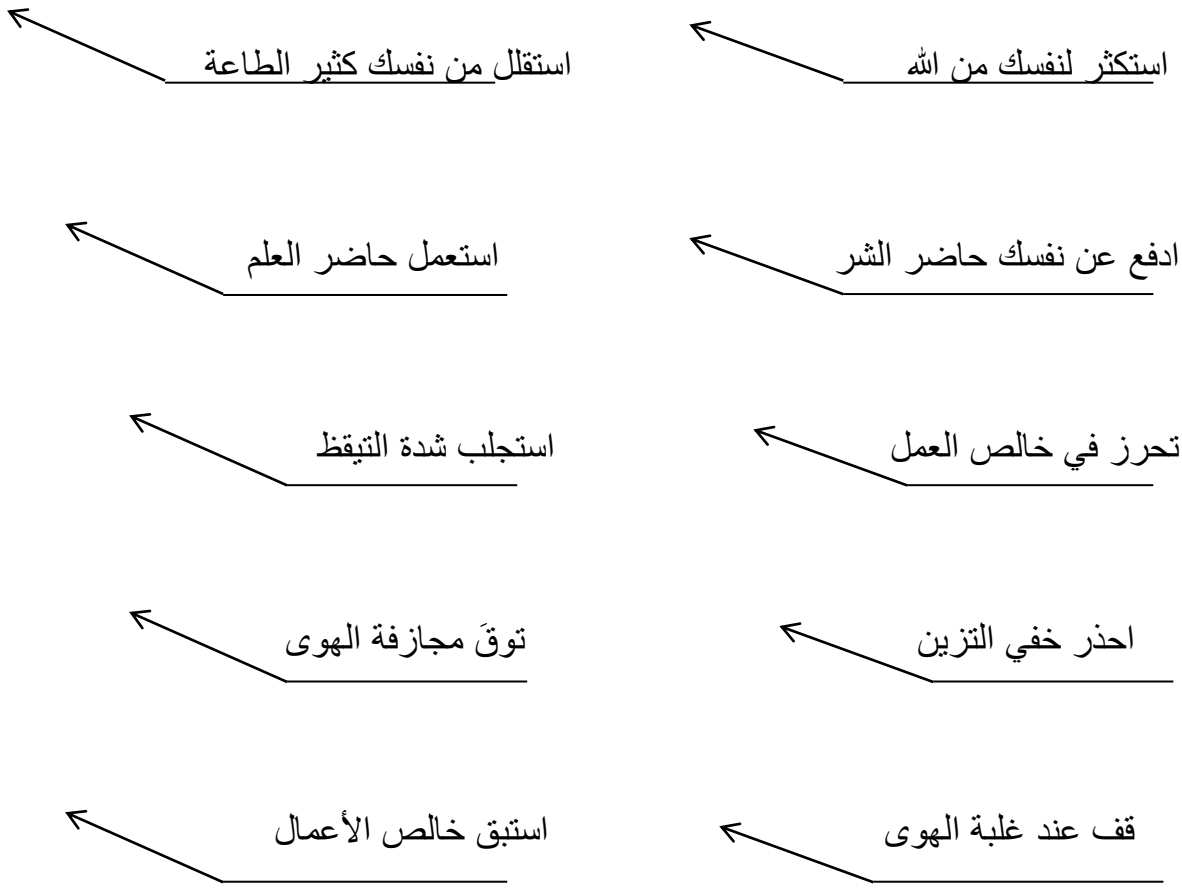

يتضح من المخطط أعلاه اتجاه النغمات الذي جاء متناسقاً مع المقصود من النص, فقد ابتدأ النص بنغمة مستوية والمتمثلة في النداء (يا جابر), وهذا الأسلوب ـ أي النداء ـ مناسب للنغمة المستوية[1], ومن ثم بدأت الفقرات تتخذ

(1) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١٥٧ .

اتجاه تنغيمياً تصاعدياً متمثلً في نغمات الجمل المتتابع في النص والتي تحمل دلالة الأمر وهو أسلوب طلبي, فالنص هنا قد انتقلت فقراته ومتتابعاته الجملية من النغمة المستوية التي استهل بها الإمام عليه السلام كلامه, ثم انتقلت إلى النغمة الصاعدة والتي ظهرت في النهايات, وكما تم توضيحها في المخطط آنف الذكر, وهذا التنغيم التصاعدي قد اسهم بشكل ملحوظ في وسق النص صوتياً من خلال شدّ المخاطب إلى النص؛ بسبب ما نتج من إيقاع موسيقي منسجم مع السياق الذي قيل فيه النص؛ ((لأن الغرض يتطلب إظهار الشدة والحزم والجد وهذا ما يتلاءم مع النغمة المرتفعة))[1], فيُلحظ أن التصاعد في النغمات قد يسهم في اتساق النص من خلال رتابة النمط الإيقاعي, ليقوي حضور النص في ذهن المتلقي وشد انتباهه نحو ما يريده المتكلم.

ويظهر لنا هذا النوع من التنغيم في قول الإمام الباقر عليه السلام : **((العجب كل العجب للشّاك في قدرة الله وهو يرى خلق الله, والعجب كل العجب للمكذّب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى, والعجب كل العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور, والعجب كل العجب للمختال الذي خُلِق من نطفة ثم يصير جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري كيف يصنع))[2].**

قلنا في بادئ الأمر أن من تمثلات النغمة الصاعدة هو مجيء الكلام في سياق التعجب, وقد جاء النص تعجبياً صريحاً؛ لأن الإمام عليه السلام صرَّح بتعجبه من قضايا عدة, فقد اشتمل سياق النص على الحديث عن توحيد الله وقدرته وبيان حال المنكرين للبعث, وكذا إنكار صفة الغرور, فجاءت النغمات منتقلة من النغمة المتوسطة إلى النغمة الصاعدة, فخلق التنغيم جواً موسيقياً يلائم ما للنص من دلالات مقصودة, وكما هو موضح في المخطط الآتي:

([1]) أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني: ٤٤ . (بحث)
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ١/ ٢٠٧ .

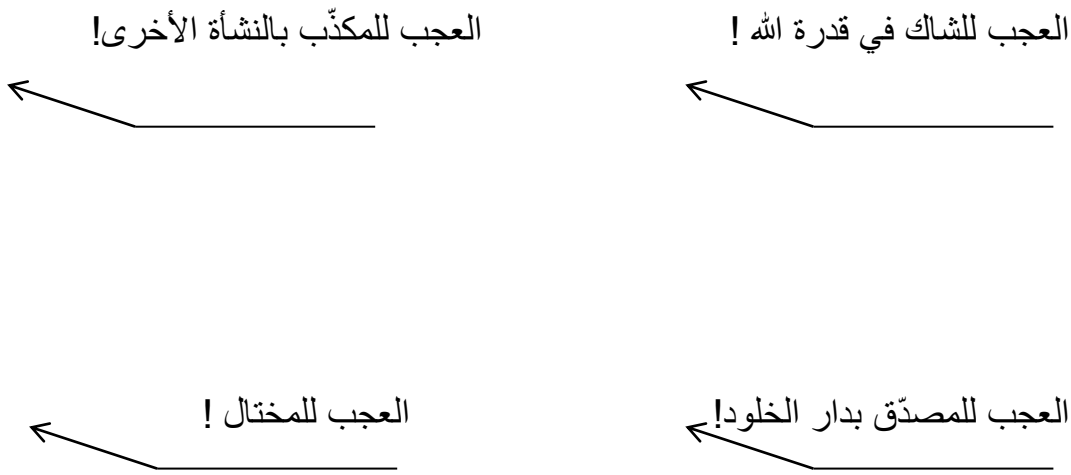

يُلحظ من المخطط أعلاه أن تنغيم الجمل قد اسهم في اتساق النص صوتياً من خلال ما توفر من نغمات صاعدة منسجمة مع ما يُراد من النص من إفهام للمتلقي والقارئ, فالكلام هنا بصيغة التعجب ويحمل دلالة استفهامية فالإمام عليه السلام متعجباً مما يفعله البعض وهم يعلمون علم اليقين النتائج الحتمية لفعلهم هذا, ومما يجدر الإشارة إليه أن في النص وسائل اتساقية أُخر قد ساعدت أيضاً في سبك النص واتساقه, فقد تضافرت وسائل معجمية متمثلة بالألفاظ المتقابلة (الأخرى, الأولى) (المكذّب, المصدّق), وكذلك ما جاء في التكرار للفظة معجمية وهي لفظة (العجب) , والوسيلة النحوية قد جاءت متمثلة بالإحالة الضميرية, وكذلك الربط بواسطة الواو, فكل ما تقدم قد ساهم في إنتاج نصاً متماسكاً صوتياً ومعجمياً ونحوياً.

ومما جاء في النصوص الباقرية في هذا النوع من النغمات, قوله عليه السلام : **((من حلم وقي عرضه, ومن جادت كفَّه حسن ثناؤه, ومن أصلح ماله استغنى, ومن احتمل المكروه كثرت محاسنه, ومن صبر حُمِد أمره, ومن كظم**

غيظه فشا إحسانه, ومن عفا من الذنوب كثرت أياديه, ومن اتقى الله كفاه ما أهمَّه))[1] .

جاء النص محتملاً لمعنى الشرط فكل فقرة من فقراته تضمنت شرطاً وجواباً لهذا الشرط, فكانت المتواليات النصية هنا معبرة عن أسباب لنتائج تحدث بفعل تلك الأسباب؛ لذا فقد جاء تنغيم النص سائر على اتجاه تنغيمي صاعد في نهاية كل فقرة من فقراته, ولما كان الشرط من الجمل التي تتعلق بما بعدها؛ لأن المعنى لا يتم إلا عندما يأتي الجواب ليتضح المعنى من الحدث الكلامي وفي سياقه الذي جاء فيه, وللتوضيح أكثر نستعين بمخطط يوضح لنا صعود النغمة في كل جملة :

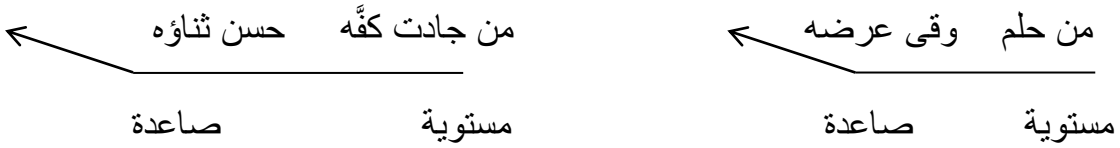

اخترنا جملتين من الجمل الثمان الواردة في النص لتمثيل اتجاه النغمة فيها في مخطط؛ لأن الجمل كلها ينطبق عليها صعود النغمة في نهاياتها, فالنغمة في بداية الشرط بدأت مستوية, ثم عندما جاء الجواب اتضح صعودها؛ لأن في ذلك دليل على تمام المعنى وإجابة الشرط[2], فصار التدرج في النغمات على طول النص مما أدى إلى وسق الجمل وتماسكها صوتيا ودلالياً, لذا نجده خلق تناغماً منتظماً يجعل القارئ يتلذذ به ويصبح منشدّاً نحو فقراته متابعاً القراءة , وهذا ما يبتغي إليه كل منتجٍ للنصوص .

---

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٦/ ٢٧٣ .
(2) ينظر: علم الأصوات: ٥٤١, ومبادئ اللسانيات : ١٦٩ .

ثانيا: النغمة الهابطة:

وهذه النغمة ((تعني وجود درجة عالية في مقطع, أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضاً))[١], وسبب تسميتها بهذا الاسم يعود إلى هبوطها في نهايتها[٢], ويرمز لها بالرمز (↙)[٣].

يظهر هذا النوع من النغمات في الجمل التقريرية التامة, والجمل الطلبية لاسيما الصادرة الأدنى إلى الأعلى, والاستفهام الذي لا يجاب عنه بنعم أو لا[٤], ويمكن تمثيلها في معاني التمني والتهكم وإظهار الأسف والحزن[٥].

وتظهر هذه النغمة في قول الإمام الباقر عليه السلام : **((يا دانٍ غير متوانٍ, يا ارحم الراحمين, اجعل لشيعتي من النار وقاءً لهم, ولهم عندك رضا, واغفر ذنوبهم, ويسر أمورهم, واقضِ ديونهم, واستر عوراتهم, وهب لهم الكبائر التي بينك وبينهم, يامن لا يخلف الضيم, ولا تأخذه سنة ولا نوم, اجعل لي من كل غمٍ فرجاً ومخرجاً))[٦].**

جاء النص في موضع الدعاء, فالإمام هنا يدعو لشيعته؛ لذا افتتح النص بنداء وهو يمثل النغمة المستوية في أول جملتين, ومن ثم عمد إلى استعمال الأسلوب الطلبي, والمتمثل بصيغ أمرية خارجة من دلالة الأمر إلى الدعاء؛ لأن الكلام صادر من جهة أدنى (الإمام) إلى جهة أعلى (الله تعالى), والمخطط الآتي يوضح سير التنغيم في جمل النص :

---

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية : ٢٥٨ .
(٢) ينظر: علم الأصوات : ٥٤٣ .
(٣) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية : ١٤٠ .
(٤) ينظر : مناهج البحث في اللغة : ١٦٨ .
(٥) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم : ١٥٧ .
(٦) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢ / ١٦٢.

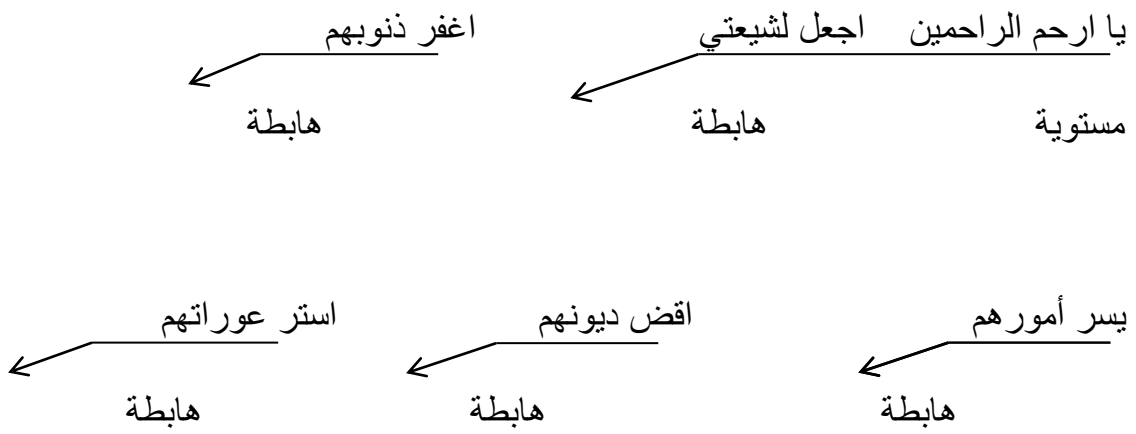

يتضح من المخطط أن الجملة الأولى والثانية تنطق بنغمة مستوية, ثم تهبط النغمة عند النطق بالجمل الطلبية, وهذا يناسب النغمة التي تؤدى بها الأدعية , فالجملة الطلبية والدعاء خاصة تستدعي عند نطقها وجود نغمة هابطة في نهايتها؛ لأن ((مناجاة الرّب تتلاءم مع النغمة الهابطة لما في هذا الأمر من الرجوع إلى الأصل, ,وأيضاً إظهار العبودية الخالصة لله ـ سبحانه وتعالى ـ والانتهاء إلى حالة الطمأنينة, والاستقرار النفسي))[1], ومجيء جمل النص على نغمة واحدة في فقراته يسهم في وسقه وترابطه, فيخلق هذا التلاؤم التنغيمي جواً من المتتابعات النصية المنسوقة والتي تجعل القارئ لا يمل من القراءة ومتلذذا بما يقرأ.

ومما جاء في هذا النوع من النغمات حديثه عليه السلام مع أحد تلاميذه حين سأله عمّن يدعي إتباعهم, فقال عليه السلام **: ((ما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع, وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة, والتعهد للجيران من الفقراء وأهل**

(1) آيات القول في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص : ١٥٣ . (أطروحة)

المسكنة والغارمين والأيتام, وصدق الحديث, وتلاوة القرآن, وكف الألسن عن الناس ألا من خير, فكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء))[1].

في هذا النص نغمة هابطة؛ لأن النص جاء بعد قسم الإمام عليه السلام (فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله), وجمل النص كلها منسوقة على جملة جواب هذا القسم, وإن التقرير الحاصل في جمل هذا النص في أنها جاءت تامة المعنى مجتمعة, فهو قد قام بإيصال الفكرة الرئيسة من النص وهي صفات المتبع الحق لهم وخصاله, وهذا الوصف على تعدد جمله يؤدي إلى تمام المعنى في التراكيب, وهذا التمام في المعنى يتطلب أن تكون جمل النص منتهية بنغمة هابطة[2], كما في المخطط:

ما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع

هابطة

فكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء

هابطة

ثالثاً: النغمة المستوية:

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ١٧٠ .
(2) ينظر : مناهج البحث في اللغة : ١٦٨ .

ويمكن أن تحصل هذه النغمة عندما يكون التلوين الصوتي بمستوى واحد من الارتفاع والانخفاض[1], أي أن هذا الاستواء في التلوين الصوتي يعطي هذه النغمة الثبات , ويرمز لها بالرمز (←)[2].

تتمثل هذه النغمة في جمل ((التقرير, والخبرية, والتذكير, والنصح, والإرشاد, والنداء المحض, وطلب الانتباه))[3].

ومن الأمثلة التي حصلت فيها النغمة المستوية في النصوص الباقرية, قوله عليه السلام : **((إنّ الله عز وجل خلق الجنة قبل أن يخلق النار, وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية, وخلق الرحمة قبل الغضب, وخلق الخير قبل الشر, وخلق الأرض قبل السماء, وخلق الحياة قبل الموت, وخلق الشمس قبل القمر, وخلق النور قبل الظلمة))[4].**

جاء النص هنا مبيناً بدء خلق الأشياء, فالجمل جاءت إخبارية وهذا ما يتلاءم مع ما للنغمة المستوية من ثبات في الأداء الكلامي, فالنسق الصوتي لفقرات النص جاء منسوقاً على وتيرة واحد من التلوين الصوتي فلم يعترضه أي صعود أو هبوط في الصوت؛ لذا فالنص قد اتشح بوشاح الثبات التنغيمي, والنص في استمرار فليس هناك عارض يدعو القارئ إلى الوقف على أحد فقراته, وإنما يواصل قراءة النص بمستوى صوتي واحد.

خلق الجنة قبل أن يخلق النار ←

خلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية ←

خلق الرحمة قبل الغضب ←

خلق الخير قبل الشر ←

---

(1) ينظر: علم الأصوات : ٥٤٣ .
(2) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية: ١٤٠ .
(3) التنغيم اللغوي في القرآن الكريم : ١٥٧ .
(4) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٥/ ٤٤٨ .

يلحظ من المخطط الآنف الذكر أن النص وسق صوتياً بفضل التلوين الصوتي المستوي, فضلاً عمّا جاء في النص من وحدات معجمية كثيرة قد ساهمت وبشكل كبير في اتساقه وتمثل ذلك في العلاقات المعجمية من تلازم ذكي وتقابلات دلالية والتي ستدرس في حقلها الخاص من البحث بشكل مفصل.

ومن الأمثلة على هذه النغمة قوله عليه السلام ناصحاً وراشداً لشيعته واتباعه, فقال: **((يا معشر شيعتنا, اسمعوا وافهموا وصايانا وعهدنا إلى أوليائنا, اصدقوا في قولكم وبرّوا في إيمانكم لأولياكم وأعدائكم, وتواسوا بأموالكم وتحابوا بقلوبكم, وتصدقوا على فقرائكم واجتمعوا على أمركم, ولا تدخلوا غشاً ولا خيانة على أحد))**[1].

قد استعمل الإمام هذا الأسلوب كثيرا مع الناس وأصحابه وولده, فجاءت جمل النص وفقراته مستهلة بالنداء وطلب انتباه السامعين وهذا ما يصبو إليه أي خطيب وواعظ؛ لكي يسترعي انتباه السامع والقارئ للنص الذي يريد قوله, ثم عمد الإمام عليه السلام إلى استعمال الجمل الأمرية على غير الأصل, أي أن المعنى هنا هو النصح والأرشاد؛ لذا فقد جاءت النغمات مستوية على طول فقرات النص؛ لأن النصح النص من المعاني التي تُوجب أن يأتي التنغيم مستوياً وعلى وتيرة واحدة [2], وهذا بدوره قد ساهم في ترابط النص وجعل المتلقي منتبهاً للنص وهو المراد منه.

ويخلص إلى أن التنغيم سمة صوتية بارزة في النصوص اللغوية عامة, وتناوله في الدراسة ضمن وسائل اتساق النصوص شكلياً ودلالياً من خلال جذب

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٦/ ١٧ .
(2) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم : ١٥١ .

المتلقـي والسِـامع للـنص وتثبيـت المعـاني فـي ذهنـه؛ لأنـه كمـا رأينـا أن لكـل تنغـيم دلالة خاصة به .

الفصل الثاني

الاتساق النحوي

المبحث الأول : الإحالة .

المبحث الثاني : الحذف .

المبحث الثالث : الربط .

توطئة :

بعد أن تمَّ الحديث في الفصل الأول عن الاتساق الصوتي , وأثره في وسق النصوص الباقرية الواردة في المسند , جاء الحديث هنا في القابل من الصفحات لدراسة الروابط والوسائل النحوية التي تُسهم في اتساق النص وترابطه , وما تحدثه هذه الوسائل من تلاحم وتماسك .

ويشتمل هذا الفصل على دراسة الأدوات اللغوية الظاهرة , وهي أجزاء سطحية تربط بين الوحدات الصغرى , والتي تتشكّل منها الوحدى الكبرى (النص) [١] , والأدوات النحوية المستعملة في ربط النصوص فهي لا تعني تلك القواعد النحوية القديمة , بل هي مجموعة من المخزونات الاختيارية القواعدية المتاحة لمنتج النص كي يبثها في نصوصه ؛ ليخلق بذلك دلالة كلية للنص بتكامل أعضائه الجزئية , فتنجم عنها البنية الكلية الشاملة[٢] , أما في الحديث عن وسائل الاتساق النحوي فاللباحثين أقوال عدة في هذا الأمر[٣] , والتفاوت الحاصل بين الباحثين في هذه الوسائل عائد إلى ((كيفية تحليل النص , وإلى تعدد المصطلحات التي يمكن إطلاقها على كل وسيلة من وسائل التماسك , ولكن المتأمل في تعدد هذه الوسائل عند الباحثين يجد منها قدراً مشتركاً بينهم لا بد من توافره في تحقيق التماسك))[٤] , ووسائل الاتساق النحوي عند أغلب الدارسين هي[٥] :

ـ الإحالة

ـ الحذف

ـ الوصل (الربط)

ـ الاستبدال

---

(١) ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١١٩ .
(٢) ينظر : تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي : ٦٥ .
(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ ـ ٣٠٢ , و نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٢٤ ـ ٢٣٢ .
(٤) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٥) ينظر : النص والخطاب والإجراء:٣٠١ , ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٦ ـ ٢٤ , وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ٢٥٧ .

المبحث الأول : الإحالة

مفهومها:

وتُعرّف بأنها ((علاقة بين عنصر لغوي, أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني, ولذا فإن فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص ما يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان ما داخل النص, أو خارجه))[١], وهي من أهم وسائل الاتساق النحوي؛ وذلك لأن النظام اللغوي هو نظام إحالي بطبيعته بالكاد نجد نصاً ما يخلو من ضمير عائد, أو اسم إشارة, أو اسم موصول أو غيرها من المعوّضات [٢], ولهذه الوسيلة النحوية تسميات أُخر منها : المرجعية[٣], والإضمار[٤], لكن تسميتها بالإحالة هو الأكثر استعمالاً وشيوعاً في الدرس اللساني, والدراسات النصية .

ويجدر بالبحث أن يذكر أن هذا المصطلح النصي لم يرد في كتب علماء العربية القدامى إلا أنهم تناولوا بعض أغراضه واستعمالاته, فتكون الإحالة موروث عربي جاءنا في طيات كتب علمائنا, كما في حديثهم عن الألفاظ المبهمة وغير المبهمة, فالمبهمة لا تعرف دلالتها ألا بوجود المفسر لها, وهذا المفسر يكون مقالياً, وقد يكون مقامياً, أما غير المبهمة فهي التي تعرف دلالتها بمفردها[٥], وكذلك حديثهم عن الضمائر وأنها يؤتى بها للإيجاز, والاحتراز من حدوث لبس في المعنى[٦], وعدّها من الكنايات وأنها بها حاجة إلى مفسر يزيل عنها الإبهام[٧], لكن اللسانيين المحدثين, وباحثي علم لغة النص أقبلوا على هذه الوسيلة الاتساقية بالدراسة في إطار أوسع من القدامى؛ وذلك لأن دراسة القدامى كانت مقصورة على الجملة الواحدة ولم يتجاوزها إلى النص بكامله, ولا في

---

(١) قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب, د. محمد محمد يونس : ٥٨ .
(٢) ينظر: نسيج النص , الأزهر زناد : ١١٥- ١٢١ .
(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ١١٦ .
(٤) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي : ٢٧ .
(٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب : ١/ ١٢٥ .
(٦) ينظر: شرح المفصل, ابن يعيش : ٢/ ٢٩٢ .
(٧) ينظر الخصائص : ١/ ١٠٥ .

خارج مقامها, في حين درس المحدثون عناصر الإحالة وما لها من أثر في اللغة وربط أواصر النصوص [١].

فالإحالة هي الوسيلة الأكثر تداولاً في ربيط جمل النص وفقراته, مما لها قيمة نصية في ربط النصوص شكلياً ودلالياً؛ لأنها أداة ذات أثر بالغ في ربط أجزاء النص واتساقه[٢].

وقد عرّفها دي بوجراند بأنها: ((العلاقة بين العبارات من جهة والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))[٣], ويتضح من تعريفه هذا أن الإحالة تسهم في ربط جمل النص وعباراته داخل النص أو خارجه, ولكن بشرط وجود علاقة بين عناصر الإحالة, وما يؤيد هذا القول ((وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المُحال إليه))[٤], في حين يعرّفها جون لاينز بأنها: ((العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة : فالأسماء تحيل إلى المسميات))[٥], وعرّفها آخر بأنها: ((علاقة معنوية معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق, أو يدل عليها المقام, وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم, مثل الضمير, واسم الإشارة, والاسم الموصول))[٦].

أنواع الإحالة :

تنقسم الإحالة بحسب ما قرَّه الباحثون على قسمين[٧], هما :

---

(١) ينظر : نسيج النص : ١١٥ .
(٢) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ٧١ .
(٣) النص والخطاب والإجراء : ١٧٢ .
(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٧ .
(٥) تحليل الخطاب , براون, ويول : ٣٦ .
(٦) الإحالة في نحو النص : ١٢ ـ ١٣ . (بحث)
(٧) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٧ , ونسيج النص : ١١٨, وأصول تحليل الخطاب : ١/ ١٢٥ , و الترابط النصي في ضوء تحليل اللساني للخطاب : ١٦٥ ـ ١٦٦ .

١ــ إحالــة نصــية (endophoa) : وتعـرّف بأنهـا علاقـة بـين عنصـرين لغـويين يجمعهمـا نـصٌ واحـد, وتسـمى بــ (الإحالـة العائديـة)؛ لأن اللفـظ المُحيـل يعـود علـى سـابق لـه أو لاحـق[١], ويستشـف مـن التعريـف السـابق للإحالـة أنهـا تعتمـد بشـكل رئـيس علـى العنصـر العائـد فـي الكـلام, فهـذا العائـد هـو مـا يحـدد لنـا نـوع الإحالـة النصـية الموجـودة فـي الـنص, لـذا تفـرّع فرعـان مـن الإحالـة النصـية, إمـا أن تكـون الإحالـة علـى سـابق فتسـمى حينئـذٍ بــ (قبليـة)؛ لأنهـا تعـود علـى مفسـر قـد سـبق ذكـره فـي الـنص, وهـذا أصـل فـي العربيـة[٢], وهـذا النـوع مـن الإحالـة النصـية هـو الأكثـر دوارنــاً فــي الكــلام[٣], وأمــا إذا كــان العائــد يُحيــل علــى عنصــر لغــوي فــي الــنص مـذكور بعـده, فتسـمى حينئـذٍ بــ (بعديـة) أي الإحالـة علـى لاحـق فـي الكـلام وهـذه الإحالــة لا تــأتي فــي مــوارد كثيــرة وإنمــا يكــون ورودهــا قليــل فــي بضــعة مواضــع معينة.

٢ــ إحالــة مقاميــة (exophora) : وهــي إحالــة عنصــر لغــوي علــى عنصــر غيــر لغـوي موجـود فـي خـارج الـنص, أي هـي علاقـة رابطـة للـنص بمـا هـو موجـود خارجه [٤], ويمكن توضيح أنواع الإحالة بالاستعانة بالمخطط الآتي[٥] :

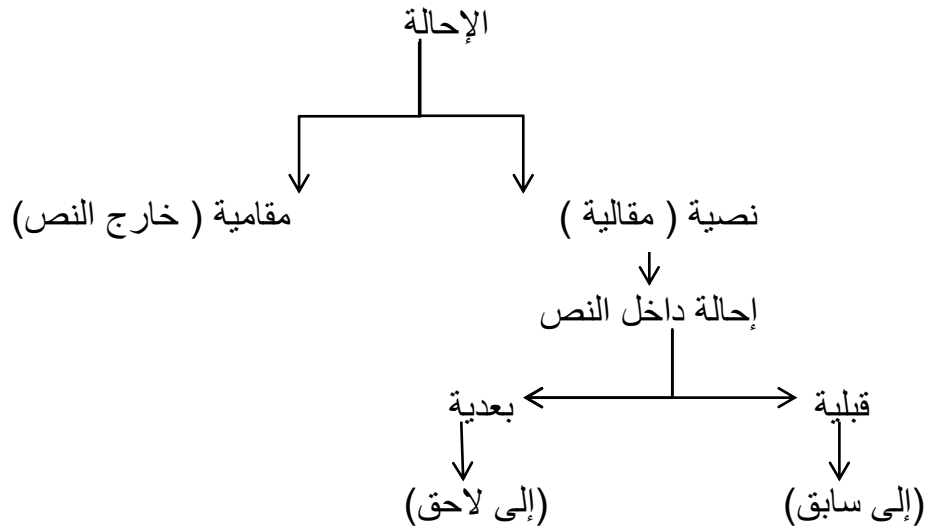

(١) ينظر: الإحالة دراسة نظرية : ٢٤ .
(٢) ينظر : قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٦٠ .
(٣) ينظر : نسيج النص : ١١٩ .
(٤)ينظر: الإحالة دراسة نظرية : ٢٥ , نقلاً عن كتاب idid لكارل بالر .
(٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٦٧ , ولسانيات النص بين النظرية والتطبيق : ٢٨ .

وهناك من الباحثين من قسّمها - أي الإحالة - غير التقسيم المشهور والشائع, ومردُّ ذلك يكون لرؤيتهم وطبيعة تعاملهم مع المعطيات, فجعلها د. صبحي الفقي على ثلاثة أقسام : خارجية وداخلية ونصية[١], وعدّها د. الأزهر الزناد : معجمية ونصية أو مقطعية[٢].

أثر الإحالة في اتساق النص :

للإحالة وظيفة نصية تعمل من خلالها على وسق النصوص وترابطها؛ لأنها تمتلك القدرة على إرجاع المتلقي للبحث عمَّا تُحيل إليه [٣], لذا فقد عدَّها معظم الباحثين في علم لغة النص واللسانيات من أهم الوسائل التي تسهم في اتساق النص شكلياً وترابطها دلالياً, وذلك لأنها ((رابط دلالي إضافي لا يطابقه أي رابط بنيوي))[٤].

النصوص بطبيعتها تتكون من عناصر متضافرة ومتواشجة فيما بينها لخلق نص مترابط يحيل بها بعضها إلى بعض, ونحن نعلم أنه لا يكاد يوجد نص خالٍ من الضمائر أو أسماء الإشارة أو الأسماء الموصولة التي تتواجد في النص لغرض الاقتصاد اللغوي والإيجاز, وبهذا تتكون العلاقات المتشابكة بين عناصر النص لتجعله متكاملاً [٥], وعليه تتكون لدينا ((فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض, وعدم استغناء أحدها عن الآخر))[٦].

وجدير بالذكر أنه كلما كثرت الإحالات بين عبارات وجمل النص تزداد قوة تماسكه وترابطه, أي أنه ((كلما زادت الإحالات في الجملة, زاد اعتمادها على غيرها في فهمها, واضمحل استقلالها بنفسها, فتزايدت قوتها الربطية, والتعلقية, وقدراتها التماسكية, وكل ذلك يدعم سمة النصية في الكلام المؤلف))[٧].

---

(١) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ٧٠ .
(٢) ينظر : نسيج النص : ١١٩ .
(٣) ينظر : أصول تحليل الخطاب : ٢/ ٩٥٩ .
(٤) نسيج النص : ١٢١ , وينظر : قضايا اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٥٨ , وفي اللسانيات ونحو النص : ٢٢٧ .
(٥) ينظر : نسيج النص : ١٢١ .
(٦) قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٥٩ .
(٧) المصدر نفسه : ٦٠ .

وللإحالة وظيفة بإنتاج قدر كبير من المعلومات, بأقل قدر ممكن من العناصر اللفظية, وهذا ما يُدعى بالاقتصاد اللغوي وهو مستحسن في الكلام, وتسهم في الاتساق اللفظي دون أن تغفل الرابط الدلالي الذي يكمن تحت الألفاظ في جمل النص وعباراته [1].

وبهذا فتكون الإحالة تقنية من التقنيات التي تسهم في حفظ المعلومات واسترجاعها من المخزون من دون الحاجة إلى العودة بالتصريح بها تارة أخرى, وهذا يساعد في استمرارية النص [2].

كل ما ذُ كر من وظائف نصية للإحالة وأثرها في ربط النص ووسقه يتحقق من خلال روابط الإحالة وعناصرها التي قرَّها الباحثون في علم لغة النص والتحليل اللساني , وسيعتمد الباحث على المشهور من العناصر الإحالية وهي : الضمائر, واسم الإشارة, والاسم الموصول وصيغ المقارنة.

أولاً: الإحالة بالضمائر :

عند الحديث عن الضمائر وما لها من وظيفة إحالية يجب تجاوز النظرة القديمة لهذه الوظيفة, فقد قام علماء العربية قديماً بدراسة الضمائر وما تحققه من مرجعية في الجملة وتفسير ما قبلها غالباً, وجاء المحدثون فتوسعوا بدراستها ضمن الأدوات الإحالية التي تحيل إلى سابق أو لاحق, فهذه الوظيفة تعطي للضمائر قيمتها الكبيرة ودورها الفعَّال في الربط بين عناصر الجملة, وبين الجمل في عالم النص, والضمائر تكون ((نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية, فقد يحلُّ ضمير محل كلمة, أو عبارة, أو عدة جمل, ولا تقف أهميتها عند هذا الحد, بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلاً ودلالةً, داخلياً وخارجياً, سابقة ولاحقة))[3], والدراسة اللسانية الحديثة تتعاطى مع الضمائر على مبدأ استعمالها في ربط النصوص وتماسكها, لذا فقد ((عُدت

---

(1) ينظر : الإحالة في نحو النص : ٧ .
(2) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٢٠ .
(3) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ١٣٧ .

الضمائر الأصل في الربط))[1], حصلت الضمائر على الحظ الوافر من الدراسة في مباحث لسانيات النص ومؤلفات النصيين؛ لأهميتها في خلق تماسك شكلي على طول النصوص, فهي الأكثر شيوعاً في اتساق النص وترابطه[2].

قام علماء لغة النص في تقسيم الضمائر وفقاً للدور الذي تلعبه الضمائر في عملية إنتاج النصوص, ويتبنى الباحث التقسيم الذي وضعه د. محمد خطابي في لسانياته فقد قسمَّها على[3] :

١ـالضمائر الوجودية : وتشتمل على ضمير المتكلم (أنا), والمتكلمين (نحن), وضمائر الغياب (هو, هي, هما , هم, هن .....إلخ).

٢ـ الضمائر المتصلة (ضمائر الملكية): وتشتمل على الضمائر المتصلة والتي تدل على الملكية, على نحو : كتابي, كتابك, كتابه, كتابهم .....إلخ .

وقد ميَّز الباحثان (هالداي ورقية) بين نوعي الضمائر, فالأول سمَّياه بـ (أدوار الكلام), وتندرج تحت هذا النوع ضمائر المتكلم والمخاطب كلها, وتكون الإحالة ههنا خارجية (مقامية), وأطلقا على النوع الثاني اسم (أدوار أخرى), ويترك النوع الأخير أثراً بالغاً في اتساق النص, فهي تربط أجزاءه وتصل بين أقسامه, وتندرج تحت هذا النوع كل ضمائر الغيبة مفردها ومثناها ومجموعها[4].

ولما كانت الإحالة تسهم في الاقتصاد اللغوي, فتكرار الضمائر بين عبارات جمل النص وتُحيل إلى مرجع واحد أو أكثر يخلق شبكة رابطة للنص, وتغني منتج النص من إعادة اللفظ, لذا فقد حققت الاتساق في نصوص الإمام الباقر عليه السلام في المسند.

ومن الأمثلة على ذلك في النصوص الباقرية قوله عليه السلام **: ((اللّهم إني أسألك مفاتيح الخير وخواتيمه, وشرائعه وسوابقه وفوائده, وبركاته, وما**

---

(١) آيات القول في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص : ٣١ .
(٢) ينظر : قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٥٦ .
(٣) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٨ .
(٤) ينظر : المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

بلـغ علمـه علمـي, ومـا قصـر عـن إحصـائه حفظـي, اللّهـم انهـج لـي أسـباب معرفتـك وافـتح لـي أبوابـه, وغشـني بركـات رحمتـك ومـنَّ علـيَّ بعصـمة عـن الازالـة عـن دينـك, وطهّـر قلبـي مـن الشـك ولا تشـغل قلبـي بـدنياي وعاجـل معاشـي عـن آجـل ثـواب آخرتـي, واشـغل قلبـي بحفـظ مـا لا تقبـل منـي جهلـه, وذلـل لكـل خيـر لسـاني, طهّر قلبي من الرياء, ولا تجره في مفاصلي واجعل عملي خالصاً لك))[1].

المُحال إليه	الإحالة	العنصر المُحيل	نوع الإحالة
الخير	مفاتيح	الضمير المتصل الهاء	نصية قبلية
=	خواتيمه	=	=
=	شرائعه	=	=
=	سوابقه	=	=
=	فوائده	=	=
=	بركاته	=	=
=	علمه	=	=
الله عزّ وجلّ	أسألك	الضمير المتصل الكاف	=
=	انهج	الضمير المستتر أنت	=
=	معرفتك	الضمير المتصل الكاف	=
=	رحمتك	=	=
=	دينك	=	=
=	اشغل	الضمير المستتر أنت	=
=	ذلل	=	=
=	طهّر	=	=
=	خالصاً لك	الضمير المتصل الكاف	=
الإمام , والمتكلم	علمي	الضمير المتصل الياء	=

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٣٧٨ .

=	حفظي	=	=
=	لي	=	=
=	غشَّني	=	=
=	عَليَّ	=	=
=	قلبي	=	=
=	دنياي	=	=
=	معاشي	=	=
=	آخرتي	=	=
=	منّي	=	=
=	لساني	=	=
=	قلبي	=	=
=	مفاصلي	=	=
=	عملي	=	=

من الجدول السابق يتضح لنا ما يلي :

١ــ تعددت النواة المُحال إليها, فتنوعت بين لفظ الجلالة, الإمام (المتكلم), والخير, وهذا التعدد يسهم في جعل المتلقي يبحث عن المُحال إليه, ويفتش عن الدلالة الكامنة وراء الضمائر .

٢ــ مزية هذا النص في أن معظم الضمائر جاءت متصلة, وغلبتها على سائر جمل النص, وأسهمت في ربط النص واتساقه فقد بلغ عدد الضمائر المتصلة الواردة في النص السابق (٢٦) , والضمائر المستترة (٥), وهذا يعد مصداقاً لما أقره أسالفنا من علماء اللغة والنحو من أن الغلبة للضمائر المتصلة في الكلام؛ ((لأنه أكثر وأيسر في الاستعمال))[١], فضلاً عن ذلك أن ((الضمير إذا اتصل

(١) الخصائص : ٢/ ١٩٤ .

فلربَّما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصر ثالثاً هو الاقتصار, وهذه العناصر الثلاثة هي من مطالب الاستعمال اللغوي))[1].

٣ـ كل الإحالات الواردة في النص هي تمثل إحالة نصية قبلية, فالعنصر المُحيل يُشير إلى سابق قد ذُكر قبل وجود الإحالة, وهذا تأكيداً لما قال به اللسانيون من أن هذا النوع من الإحالات هو الأكثر دوراناً في الكلام وهو الشائع[2].

ويستشف من الجدول السابق ومما ذُكر أن الإحالة بالضمائر, قد كشفت عن الضمائر التي أسهمت بشكل كبير في وسق النص من أوله إلى آخره, وحققت التماسك اللفظي الذي يجعل القارئ يعود إلى ما أُحيل إليه, وهذا بدوره ساعد في المحافظة على النواة المركزية للنص والدلالة العامة له .

وفي قوله عليه السلام واعظاً : **((أيها الناس إنكم في هذه الدار أغراض تنتضل فيكم المنايا, لن يستقبل أحد منكم يوماً جديداً من عمره إلا بانقضاء آخر من أجله, فأية أكلة ليس فيها غصص؟ أم أي شربة ليس فيها شرق؟ استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه, فأن اليوم غنيمة, وغداً لا تدري لمن هو, أهل الدنيا في سفر يحلون عقد رحالهم في غيرها, قد خلت منا أصول نحن فروعها, فما بقاء الفرع بعد الأصل))[3].**

جاءت الإحالات في هذا النص نصية داخلية, تُحيل فيها الضمائر إلى عناصر لغوية موجودة في عالم النص, فالضمائر المتصلة في الكلمات (أنكم, فيكم, منكم, استصلحوا, تقدمون, تظعنون,) تعود على الناس (المُخاطَبين), أما الضمير الهاء في (عمره, أجله) يحيل إلى لفظ أحد , والهاء في (فيها) فتارة يحيل إلى لفظ أكلة, وتارة أخرى إلى شربة, وفي الكلمتين (يحلون, رحالهم) فالضميران المتصلان يحيلان إلى أهل الدنيا, بينما الضمير في (غيرها) فيحيل إلى الدنيا وحدها, وهذه الإحالات على اختلاف الضمائر في هيأتها, لكنها تتحد في نوعها, قد أسهمت في واتساق النص وسبكه بشبكة علائقية ساعدت على

---

(1) البيان في روائع القرآن , د. تمام حسان : ١/ ١٣٧ .
(2) ينظر : نسيج النص : ١١٩ , والمعايير النصية في القرآن الكريم : ١٠٣ .
(3) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢٨٩ .

خلق ترابط أفقي على طول فقرات النص, ولما كان من اختلاف النواة المركزية في النص مما أدى إلى فهمه الإحالات المتعددة التي ساعدت في الربط الشكلي عن طريق الإحالة الضميرية, والتي حققت عملية التواصل والإفهام, فلولا الربط الحاصل من خلال الربط بالضمائر, لحصل اللبس وتفككت العلاقات الرابطة بين الفقرات وازداد الغموض, ونصبح لا نعلم ما الذي يعود إلى هذا, وما الذي يعود إلى ذاك[1].

ومما تجدر الإشارة إليه, ومما اتضح للباحث من أن في هذا النص قد ورد نوعا الإحالة فالنصية (الداخلية) قد مضي الحديث عنها في سابق السطور, والنوع الثاني وهو المقامية (الخارجية) والتي تكون خارج النص ولا يوجد عنصر لغوي مُحال إليه كما في النصية, لكنها فهمت من سياق النص والمقام الذي جاء فيه؛ لأن الإمام الباقر عليه السلام هنا أراد الوعظ والنصح للناس, فاستعرض لهم حالهم في الدنيا, وكيف أنها دار زوال والآخرة دار قرار وخلود, وذكرهم بمصير من كانوا قبلهم, هذا الأسلوب في الوعظ منسجماً مع أسلوب القرآن الكريم, فهو لم يذكر الموعظة بلفظها الصريح وإنما تُفهم من المقام السياقي الذي قيل فيه النص, وقد سبق ذكر قول هاليداي ورقية حسن من أن الإحالة المقامية لا تساهم في سبك النص مباشرةً, وحسب ما يتضح للباحث أن المتلقي أو القارئ المتمعن النظر يستطيع فهم قصد منتج النص والدلالة التي يريد إيصالها للمتلقين, وفي النص السابق قلنا أن المقام هو مقام وعظ, والموعظة تبدو من الموضوعات التي يسهل التعرف عليها من خلال قراءة النص وربطه بما يريده قائله, فيبدو لي أن الإحالة المقامية قد أسهمت في تقوية دلالة النص ووحدته, واكتسب النص الاستمرارية بفضلها؛ لأن استحضار الدلالة المُراد إيصالها لجمهور المتلقين يساعد في وسق النص وترابطها دلالياً, أما شكلياً فهذه المهمة المناطة إلى النوع الأول من الإحالة وقد استوفت عملها في ربط النص باتصال فقراته بعناصر لغوية تُحيل إلى عنصر لغوي موجود في النص نفسه, على قرب الإحالات من المُحال عليه إلا أنها أضفت سمة

([1]) ينظر : البيان في روائع القرآن : ١٠٧ .

الاستمرارية والاتساق الشكلي على النص كله وهذا ما يُستفاد من وجود الإحالة الضميرية في النص .

ثانياً: الإحالة بالإشارة :

إنَّ المتأمل في أسماء الإشارة ومرجعيتها يلاحظ ما لهذه الأسماء من دور بارز في ربط الكلام, وقد تناولها علماء النحو بالدراسة وعدَّها سيبويه من المبهمات؛ فهي تقع على كل شيء[١], ونصَّ على ذلك النحويون من بعده[٢], وأسماء الإشارة من الألفاظ التي لا تُفهم معانيها بذاتها, أي أنها لا بد لها من الارتباط بما تُشير إليه لكي يُفهم معناها[٣], وبهذا يمكن القول أن أسماء الإشارة من المعارف الاستعمالية وليست الوضعية كأسماء الأعلام, وإنما تُفهم من حلال السياق التركيبي الذي ترد فيه أطراف الخطاب حضوراً ذهنياً, أو عينياً, من أجل إدراك مرجعيتها[٤].

وبلحاظ العمل الاتساقي الذي تؤديه أسماء الإشارة في ربطها للنصوص, وخلق تماسك شكلي من جانب الإيجاز وعدم التكرار غير المرغوب به, ومن الجانب المعنوي في ربط النص دلالياً, فهي لا تقل أهمية من الضمائر في الربط؛ لأنها تربط بين المبنى والمعنى, حتى أن هناك من الباحثين من يسميها بـ (ضمير الإشارة), فيقول أحد الباحثين إنه : ((ضمير قوي وعنصر فاعل إذ يمكن استخدامه مكثفاً, أي مشيراً إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له رغبةً في الاختصار أو اجتناباً للتكرار))[٥], وهذه المزية قد أشار إليها الباحثان (هالداي ورقية حسن) في معرض حديثهما عن ذلك, وقد سميَّاها بـ (الإحالة الموسعة), أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو جمل متتالية [٦].

---

(١) ينظر : الكتاب , سيبويه : ١/ ١٢٥ .
(٢) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٢/ ٤٧٩ , والنحو الوافي , د. عباس حسن : ١/ ٣٠٥ .
(٣) ينظر : نسيج النص : ١١٨ .
(٤) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٨٠ .
(٥) دراسات لغوية تطبيقية , د. سعيد بحيري : ١٤٣ .
(٦) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩ .

وقد قام النحويون القدامى بتقسيم أسماء الإشارة على عدة أقسام[١] : أسماء إشارة للزمان والمكان, وأسماء إشارة للقريب والبعيد, وهناك أسماء إشارة مذكرة وأخرى مؤنثة للمفرد والمثنى والجمع, وأجمع النحويون في تصنيف أسماء الإشارة إلى مراتب ثلاث هي : قربى ووسطى وبعدى [٢], في حين ذهب اللسانيون وعلماء لغة النص في تصنيف هذه الأسماء إلى إمكانية تصنيفها[٣] :

١ــ حسب الظرفية : (الآن و غدا....إلخ) للزمان, و(هنا, وهناك ....إلخ) للمكان .

٢ـ حسب الحياد والانتقاء : (هذا , هؤلاء, أولئك....إلخ) .

٣ـ حسب البعد والقرب: (هذا, هذه ...) للقريب, (ذلك, وتلك, ...إلخ) للبعيد .

ولما كان عمل أسماء الإشارة هو الإحالة إلى مرجع قد سبق ذكره أو سيُذكر بعدها, فتبرز أهميتها الكبيرة في سبك النصوص واتساقها [٤], فيمكنها أن تُحيل إحالة قبلية, أو بعدية, وجدير بالذكر أن هنالك أركاناً للإحالة بهذه الأسماء, وهي[٥] :

المُشير : وهو المتكلم .

المُشار إليه : الشيء في الخارج .

المُشار له بالمُشار إليه : وهو المخاطَب .

المُشار به : عبارة الإشارة .

عمل الإشارة : المعنى الحاصل خارجاً .

---

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك, ابن هشام : ١/ ١٣٩ـ ١٤٢ .
(٢) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٢/ ٤٧١ـ ٤٨٤ , وشرح ابن عقيل : ١/ ١٣٥ـ ١٣٦ , وهمع الهوامع , السيوطي : ١/ ٢٤٧ .
(٣) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩ , وأصول تحليل الخطاب : ١/ ١٢٨ .
(٤) ينظر: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية : ١١٩ .
(٥) ينظر: المصدر نفسه : ١١٩, و أصول تحليل الخطاب : ٢/ ١٠٦٢ .

وقد كان لأسماء الإشارة في النصوص الباقرية حضوراً لا بأس به, وخاصة اسم الإشارة (ذلك), فهو أكثر أسماء الإشارة وروداً في النصوص, ومن الأمثلة على ذلك, قول الإمام الباقر عليه السلام : **((ما أكثر الوصف, وأقل الفعل, إنَّ أهل الفعل قليل, ألا وإنّا لنعرف أهل الفعل, والوصف معاً, وما كان هذا منّا تعامياً عليكم, بل لنبلو أخباركم, ونكتب آثاركم,. . . , رحمكم الله فما أردت إلَّا خيراً إن الجنة درجات, فدرجة أهل الفعل لا يدركها أحد من أهل القول, ودرجة أهل القول لا يدركها غيرهم))**[1] .

الشاهد في هذا النص هو اسم الإشارة (هذا), فقد جاءت أركان الإحالة في النص السابق كالآتي :

المشير ⟵ المتكلم (الإمام الباقر) .

المشار إليه ⟵ المعرفة بأهل الفعل والوصف .

المشار له بالمشار إليه ⟵ المخاطَبين من الشيعة .

المشار به ⟵ اسم الإشارة (هذا) .

وعمل الإشارة هنا هو الإحالة إلى المشار إليه وربطه مع ما يُراد بالنص من قيمة إبلاغية وإفهامية, وقد ورد هنا أحد أسماء الإشارة التي تكون بحسب الانتقاء والحياد, وفقاً للتصنيف الذي سبق ذكره, وقد أسهمت الإحالية الإشارية ههنا في وسق النص وربطه شكلياً, بلاحظ أن اسم الإشارة قد أغنى منتج النص من إعادة تكرار الملفوظات السابقة ذكرها في النص, وهذا يدل على العمل الذي تؤديه هذه الإحالة فضلاً عن وظيفتها الاتساقية والربطية لأجزاء النص, فقد أحال اسم الإشارة إحالة على المدى القريب وهي إحالة قبلية, لأن المحال إليه سبق ذكره قبل العنصر الإشاري الذي أحال عليه.

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧ .

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من الإحالات, ما جاء في دعاء للإمام عليه السلام يقول فيه : **((اللَّهم هب لي حقك, وارضِ عني خلقك, واغفر لي ما لا يضرّك, وعافني ما لا ينفعك, فإنَّ شقائي لا يضرك وعذابي لا ينفعك, فإنك تعطي من سألك, وتغضب على من لا يسألك, ولن يفعل ذلك أحد غيرك سبحانك وبحمدك))**[1] .

ورد في النص السابق عنصر إشاري وهو لفظ (ذلك), وقد أحال على متتاليات جملية قد سبقته بالذكر في النص, وهي إحالة نصية قبلية, فقد أحال اسم الإشارة إلى أكثر من جملة, وهي ما يسميها هاليداي ورقية حسن بـ (الإحالة الموسعة)[2], أي أن اسم الإشارة قد مكَّن من الإحالة إلى أكثر من جملة وأغني منتج النص (الإمام) من تكرار الجمل والملفوظات, والتي من شأنها أن تجعل النص ركيكاً وضعيفاً[3], وهذه هي القيمة النصية التي يجيء بالعناصر الإشارية المحيلة إلى أحداث لغوية سابقة في عالم النص لتحافظ على استمرارية النص وترابطه دون تكرار غير مرغوب به, وهذا بدوره يُسهم في تماسك الجمل داخل فضاء النص واتساقه نحوياً, مما يجعل القارئ يبحث ويفتش عن الدلالة الكامنة وراء هذه الإحالة, فاتساق النص يأتي من جانب شكلي وهو ما سبغته الإحالة الإشارية الواردة, وجانب دلالي يحمله العنصر الإشاري .

وفي قول آخر للإمام الباقر عليه السلام حينما سأله بعضهم عن أحداث الخلافة , فقال عليه السلام : **((إنَّ الناس لمّا صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكرٍ لم يمنع أمير المؤمنين من أن يدعو إلى نفسه إلَّا نظراً للناس, وتخوفاً عليهم أن يرتدوا عن الإسلام فيعبدوا الأوثان, ولا يشهدوا أن لا إله إلَّا الله, وأن محمداً رسول الله (ﷺ), وكان الأحب إليه أن يقرَّهم على ما صنعوا من أن يرتدوا عن جميع الإسلام, وإنما هلك الذين ركبوا ما ركبوا فأما من لم يصنع ذلك,**

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٣٩٨ .
([2]) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩ .
([3]) ينظر : نحو النص إطار نظري ودراسة تطبيقية : ٢٨٢ .

ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين, فإن ذلك لا يكفرّه, ولا يخرجه من الإسلام, ولذلك كتم عليٌّ أمره وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً))[1] .

وردت في النص إحالات داخلية إشارية بواسطة اسم الإشارة (ذلك) في أكثر من موضع, فالموضع الأول قد أحال العنصر الإشاري إلى الفعل الذي قام به الناس, فقد أشار إلى صنيعهم, في تركهم الإمام عليه عليه السلام, والحادثة مشهورة ومعلومة, وما يهمُّ البحث هو الترابط الشكلي الذي أحدثته الإحالة الإشارية التي أسهمت بها أسماء الإشارة الواردة في النص, فالأول أشار إلى الذي لم يفعل ذلك الفعل وهو فعل العامة في المبايعة التي يقصدها الإمام عليه السلام, وأما العنصر الإشاري الثاني, فقد أحال على المقصود ذاته لكن بغير فعل , فـ (ذلك) الثانية أشارت إلى الذي دخل مع الناس على غير علم منه ما هو صانع ولا عداوة, أما الثالثة فقد أحالت إلى النص برمته من أوله إلى آخره من فعل حدث مقصود أو غير مقصود, فجاءت الإحالة الإشارية هنا وكأنها نتيجة وبيان حال الموقف الذي حدث , لذا فتعددت الإحالة وتكرار اسم الإشارة ثلاث مرات في النص, خلق التماسك ووسق عباراته, شكلياً ودلالياً, فشكّلت الإحالات مفصلاً رئيساً في ربط الجمل, فتجاوزت الجمل, ووسقت النص بالكامل مع المحافظة والاستمرارية على نواة النص المركزية, وكانت الإحالة بعيدة المدى؛ لذا فقد جعلت الجمل متصلة أشد اتصالاً من حيث المعنى والدلالة, وإذا ترابطت الملفوظات, فإنه سيكتمل النص[2] .

ثالثاً : الإحالة بالمقارنة :

ويُراد بالمقارنة هي الموازنة بين شيئين أو أكثر, يرتبطان بشيء يجمعهما بالمشابهة, أو الاختلاف, أو المطابقة, أو مقارنةً, أو إضافة أحدهما إلى الآخر

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٥/ ٤٦٠ ـ ٤٦١ .
([2]) ينظر : نسيج النص : ١٢٤ .

كماً وكيفاً[١], وقد تناولها معظم علماء لغة النص في الدراسة؛ لما لها من أثر في ربط النص, فمن منظور اتساق النص فهي لا تختلف عن الإحالة بالضمائر وأسماء الإشارة, فقد تُسهم ألفاظ المقارنة بوسق النص, وتكون الإحالة بالمقارنة نصية داخلية [٢], لكن الاختلاف بين هذه الإحالة وسابقتيها يكون في تحديد العنصر المُحيل والعنصر الذي يحيل عليه, وهذا ما تقوم به الإحالات الضميرية والإشارية, في حين تقوم الإحالة بالمقارنة بعمل مقارنة صريحة مع العنصر المُحيل عليه [٣].

والمزية للألفاظ التي تدل على المقارنة هي في كونها غير مستقلة بنفسها, فهي بهذا تشبه الضمائر والمبهمات, لذا فتحتاج إلى ما ترتبط به وتُحيل عليه ليُفهم معناها, وهذا ما ذهب إليه الباحثان (هالداي ورقية حسن) من القول أن هذه الألفاظ تنماز ((بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها, وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك, ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثاً عمَّا يُحيل عليه المتكلم, وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة, يحتمل أن يكون المرجع خارجياً, ويحتمل أن يكون داخلياً, فإذا كان داخلياً فإمّا أن يكون المرجع متقدماً أو متأخراً))[٤].

وقد قُسمت هذه الإحالة على قسمين[٥] :

١ـ عامة : وتكون هذه المقارنة متفرعة إلى ألفاظ تدل على التشابه مثل (يشبه, مشابه... إلخ) , أو تدل على التطابق مثل (نفس, عين, مماثل... إلخ), والتي تدل على الاختلاف مثل (مخالف... إلخ).

٢ـ خاصة : وتكون هذه غالباً في اسم التفضيل؛ لأنها يؤتى بها لتوازن بين شيئين من حيث الكم والكيف .

---

(١) ينظر : الإحالة في نحو النص : ٢٥ .
(٢) ينظر : نسيج النص : ١١٨ , و علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية إنموذجاً) : ١٨ .
(٣) ينظر : الاتساق والانسجام في القرآن, مفتاح عروس : ٢٢٦ . (أطروحة)
(٤) الإحالة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني : ٩٥ (بحث), وقضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٨٢ .
(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٨١ ـ ٨٦ , و أصول تحليل الخطاب ١/ ١٢٩ , والإحالة في نهج البلاغة, رائدة العكيلي : ١٩٢ . (بحث)

وهنالك رأي للدكتور محمد الشاوش فهو يرى : ((أن وجوه المقارنة هي أقرب إلى السمات الدلالية منها إلى المبهمات أو العناصر الإحالية))[1] , وهو بهذا مستند إلى دراسة القدماء لباب التفضيل وألفاظه فيقول : ((ويبدو لنا أن الجهاز الذي وضعوا به هذه العملية يكشف عمَّا تقوم عليه من قابلية التعميم, وبالتالي فهو جهاز أقوى من ذلك الذي اقترحه هالداي ورقية حسن))[2].

وفي رأيه مجانبة للصواب؛ لأنه يدرس المقارنة في الاتساق من باب الحذف وليست قائمة بذاتها باتساق النص, فيقول : ((إن الإطار الأنسب لتناول مظاهر الربط هذه ليس عملية مقارنة في حدِّ ذاتها, وإنما ما يصحبها من عمليات أخرى تعود أساساً إلى الإضمار والحذف [3], ولا غرو لو قلنا أن المقارنة تعمل على ربط النص واتساقه كما تفعله الضمائر وأسماء الإشارة, بشرط الحضور للعناصر الإحالية؛ لأنها ((لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية, وبناءً عليه فهي تقوم مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة اتساقية))[4].

ومن الأمثلة الواردة على الإحالة بالمقارنة ما ورد في مسند الإمام الباقر رواية عن جده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم), قوله **: ((أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب, أن الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية والتفاخر بآبائها وعشائرها, أيها الناس إنَّكم من آدم وآدم من طين, ألا وإن خيركم عند الله, وأكرمكم عليه اليوم, أتقاكم وأطوعكم له))[5] .**

وردت الإحالة باسم التفضيل في النص السابق, وهي إحالة قبلية تُحيل إلى متقدم ذكره وهو لفظ (أيها الناس), وجاءت ألفاظ المقارنة هنا من باب النعوت وهي (خيركم, أكرمكم, أتقاكم, أطوعكم) الدالة على الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلمون, ومما قوَّى الإحالة هنا هو تضافر ألفاظ المقارنة مع

---

(1) أصول تحليل الخطاب : ١ / ١٣٠ .
(2) المصدر نفسه : ١/ ١٣٠ .
(3) المصدر نفسه : ١/ ١٣٠ .
(4) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩ .
(5) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٥/ ٤٩٤ .

الضمائر المضافة إليها مما أكسبها قوة المقارنة بين أصناف جمهور المخاطَبين, فالمقام السياقي الذي قيل فيه النص هو سياق تبيان حال وتفضيل مَن مِن المسلمين أقرب إلى الله تعالى .

ومن الأمثلة الأخرى على هذه الإحالة ما جاء في حديثه عن فضل العلم والعالم, فقال عليه السلام : **((العالم كمن معه شمعة تضيء للناس, فكل من أبصر بشمعته دعا بخير, كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة, فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل, فهو من عتقائه من النار, والله يعوضه عن ذلك بكل شعرة لمن اعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على الوجه الذي أمر الله عز وجل به, بل تلك الصدقة وبال على صاحبها, لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة يصليها من بين يدي الكعبة))**[1] .

في هذا المثال يُلحظ اسم التفضيل الذي جاء به الإمام عليه السلام لعقد الموازنة بين العالم والمتصدق, ومقارنة أخرى بين العالم والعابد , وهذه الإحالة الداخلية النصية التي أحدثها اسم التفضيل الوارد في موضعين في النص السابق, وهي مقارنة خاصة أسهمت في ربط النص من خلال ربط عناصر النص بواسطة العناصر الإحالية المتمثلة باسم التفضيل , وقد تضافرت عدة عناصر إحالية في النص فضلاً عن ألفاظ المقارنة , فمنها ما جاء باسم الإشارة (ذلك), مما أدى إلى وسق النص وترابطه.

ومما يكشف عن الأثر الذي تتركه ألفاظ المقارنة في اتساق النصوص, هو أنك لا تستطيع أن تفصل جزأي المقارنة, ويكون كلامك مستقيماً, لأن الجزء المذكور بحاجة إلى الجزء الآخر فلا يفهم المعنى إلا بوجود طرفي المقارنة[2], وهذا ما ينطبق على المثال الذي لدينا, فلو كان هناك فصل بين طرفي المقارنة, لما عرفنا تفضيل العالم على مَن, ولهذا فقد يتضح مدى أهمية المقارنة وألفاظها

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ١/ ١٦٨ .
([2]) ينظر : قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب : ٨٦ .

فـــي خلـــق الاتســـاق الشـــكلي, والـــربط بـــين عناصـــر الـــنص, والمحافظـــة علـــى استمراريته, وربط الدلالة والمعنى .

ممـــا ســـبق يستشـــف أن الإحالـــة أبـــرز وســـيلة مـــن وســـائل الاتســـاق النصـــي وأكثرهـــا حضـــورها فـــي النصـــوص, وهـــي أهـــم عنصـــر اتســـاقي لـــه أثـــر فـــي ربـــط النصوص وخلق النصية .

المبحث الثاني: الحذف

مفهومه :

وظاهرة الحذف لا تكاد لغة من اللغات الإنسانية تخلو منها, فمن طباع الإنسان عند التعبير عمّا يدور في ذهنه يكون ميَّال إلى الإيجاز في تعبيراته ويحذف عناصر من الكلام خاصة تلك التي تَعد حشواً في الكلام ويمكن الاستغناء عنها وحذفها, لأن ذكرها يحتاج إلى زمان أطول لكل من المنتج والمخاطَب, ويفضي بذلك إلى التفصيل الممل بالحشو الزائد[١] .

وتكمن أهمية الحذف في إيجاز الكلام والاقتصاد[٢]؛ لأن اللغات عامة والعربية على وجه الخصوص تميل إلى جانب الاقتصاد اللغوي في أغلب الأحيان, فمنتج النص قد لا سينطق بكل ما يريد أثناء مرحلة إنتاج الكلام وهذا السقط في الكلام يتطلب من المتلقي تقديره للوصول إلى ما يريده المرسل من مقاصد ودلالات, وهذا كله يحصل عندما يكون المذكور مستوفياً للدلالة, وله القدرة على إيصال المعنى إلى المتلقي من دون نقص أو خلل [٣].

والحذف ظاهرة ليست بجديدة على الدراسات العربية, وإنما قد عرفها الدرس اللغوي قديماً فقد قال سيبويه(١٨٠ هـ) : ((اعلم أنهم ما يحذفون من الكلم, وإن كان أصله في الكلام غير ذلك, ويحذفون ويعرضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً))[٤], ومفاد قوله هذا أن الحذف هو فرع والذكر أصل في الكلام والجنوح إلى الحذف يعد خروجاً وانزياحاً عن الأصل, وقد جعله ابن جني (٣٩٢ هـ) في باب شجاعة العربية في

---

(١) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ١٩١ .
(٢) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي , طاهر سليمان حمودة : ٩ .
(٣) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١٢٥ .
(٤) الكتاب : ٢/ ٢٤ .

خصائصه حيث قال : ((قد حذفت العرب الجملة, والمفرد, والحرف, والحركة, وليس لشيء من ذلك إلا عن دليل عليه))[1], في قوله هذا فصَّل ما حذف من الكلام استناداً للدليل الذي يدل على ما هو محذوف, وجدير بالبحث الوقوف عند قول الجرجاني (٤٧١ هـ), حيث وصف الحذف وصفاً بليغاً , فقال : ((هو باب دقيق المسلك, لطيف المأخذ, عجيب الأمر, شبيه بالسحر, فإنك ترى به ترك الذكر, أفصح من الذكر, والصمت عن الإفادة, أزيد للإفادة, وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق, وأتمّ بياناً إذا لم تبن))[2], ومراد القول هنا هو الحذف المؤدي إلى المعنى لا الحذف الذي فيه قصور في إيصال المقاصد وإلا لكان الحذف يُحدث اللبس في النصوص ويوهم المتلقي فيقع في الخطأ من فهم القصد الذي يريده الملقي أو منتج النص, وهذا لا يتلاءم وما للحذف من غاية قصدية تُشرك المتلقي مع الملقي في عملية الفهم داخل عالم النص .

وقد وضع اللغويون شروطاً للحذف, منها وجود دليل على المحذوف, ولا يكون المحذوف كالجزء, ولا يؤدي إلى اللبس, ولا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر ... إلخ[3] .

أما الحذف في الدرس اللساني الحديث, فاللسانيون لم يبتعدوا كثيراً في نظرتهم للحذف عن الدرس اللغوي القديم, إلا في الشيء القليل, وهو في أن النحاة القدامى والبلاغيين قد أغفلوا أو لم يلتفتوا - إن صح التعبير - إلى دور الحذف في خلق الاتساق والتماسك النصي[4], إلا أنهم في تعريفهم للحذف فقد قال عنه دي بو جراند بأنه : ((وسيلة لاستبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة))[5], وأشار هاليداي ورقية حسن إلى الحذف بأنه ((علاقة داخل

---

(1) الخصائص : ٢/ ٣٦٠ .
(2) دلائل الإعجاز : ١٤٦ .
(3) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري : ٦/ ٣١٧ وما بعدها , وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ١٠٩ .
(4) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٦٩ .
(5) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

الـنص, وفـي معظـم الأمثلـة يوجـد العنصـر المفتـرض فـي الـنص السـابق))[1], ويُعـرَّف أيضـاً أنـه : ((الاسـتغناء عـن عنصـر لغـوي فـي التركيـب بالمـذكور, لوجـود قرائن لفظية أو معنوية, أو سياقية تدل على هذا المحذوف))[2].

وقـد عنـت الدراسـات النصـية بدراسـة ظـاهرة الحـذف كونـه يمثـل وسـيلة مهمـة فـي تماسـك الـنص, فضـلاً عمَّـا يقدمـه مـن وظيفـة تخاطبيـة؛ لأن المخاطَـب يعلـم العنصر المحذوف في معلوماته ويستحضره لإكمال المعنى الناقص وفهمه[3] .

علاقة الحذف بالمرجعية والاستبدال :

هنـاك علاقـة شـديدة بـين الحـذف والمرجعيـة, ومما يزيـد هـذه العلاقـة أنـه لابـد مـن تـوفر القرينـة والـدليل علـى المحـذوف ليتسـنى تقـديره فـي الـنص, وغالبـاً مـا يكـون تقـدير المحـذوف علـى وفـق مرجعيـة علـى عنصـر سـابق, وأكثـر الأمثلـة التـي تظهـر فيهـا أهميـة المرجعيـة فـي خلـق التماسـك النصـي مـن خـلال الحـذف تكـون فـي الجمل الاستفهامية وجوابها[4].

أمـا الـذي بـين الحـذف والاسـتبدال, فالحـذف لا يختلـف عنـه إلا فـي أنـه اسـتبدال بالصـفر, أي أن الاسـتبدال علاقـة اتسـاقية تتـرك أثـراً فـي الـنص يبقـى علامـة وأمـارة تُرشـد المتلقـي للبحـث عـن العنصـر المُسـتبدَل, فـي حـين أن الأمـر مختلـف فـي الحـذف فـلا يبقـى أثـر لفظـي للمحـذوف[5], أي أن الحـذف يتـرك فراغـاً فـي بنيـة الـنص لا يملئـه عنصـر شـيء, ويجـده المتلقـي اعتمـاداً علـى مـا ورد فـي الـنص السـابق أو اللاحـق, وهـذه مزيـة الحـذف التـي يختلـف بهـا عـن الاسـتبدال والإحالـة [6].

أثر الحذف في اتساق النص:

---

(1) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢١ .
(2) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٣٠ .
(3) ينظر: أصول تحليل الخطاب : ٢/ ١١٦٥ .
(4) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٠١ , ٢٠٢ .
(5) ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص : ١٠٦ .
(6) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢١ .

ممَّا لا شك فيه أن للحذف أُثراً في وسق النصوص وسبكها؛ وذلك بفضل جوانب مرتبطة بالحذف وتقدير المحذوف وهي وجود دليل على المحذوف, والمرجعية وعلاقاته بالحذف, والعدول عن التكرار المسهب للكلام, وعملية إشراك المتلقي في إنتاج النص, فالمتلقي بدوره يحاول ربط أجزاء النص من خلال تقديره للمحذوف.

وهناك من يتبنى الفكرة التي تقول أن السياق هو الذي يحدث الأثر في اتساق النصوص, وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين[١] , وهذا الرأي يشير إلى فكرة التعالق بين أزمنة وأمكنة الوقائع لتحقيق الترابط النصي وليس الاعتماد فقط على العناصر اللغوية السطحية [٢]: فوجود المرجعية تسهم في جعل الحذف وسيلة نصية تخلق الترابط والتماسك, وكذلك وجود الدليل على المحذوف , كما أقره ابن جني في قوله : ((قد حذفت العرب الجملة, والمفرد, والحرف, والحركة, وليس لشيء من ذلك إلا عن دليل عليه, وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))[٣], فالقول السابق يدل على استحسان الحذف بوجود الدليل عليه.

أما الحذف لا يكون له أثر في ربط النص إلا أن يكون كل عنصر من عناصر النص يحتمل الحذف بشرط توفر العنصر الصالح للتقدير, وبهذا يكون المحذوف كالمذكور في النص, فعندما يدرك المتلقي جواب الجملة الاستفهامية بـ (نعم) لمن يقول له : هل فهم محمد الدرس؟ وتقدير الجملة الثانية هو : نعم فهم محمد الدرس, ويكون ذلك بلحاظ أن العناصر المحذوفة تغدو كأنها مذكورة, وبهذا يكون مطبقا على النص الذي عناصره كاملة[٤] .

---

(١) ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للنصوص : ١٩٣
(٢) ينظر: النص والسياق : فان دايك : ٢٠ .
(٣) الخصائص : ٢/ ٣٦٠ .
(٤) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٢١ .

وتبدو أهمية الحذف بارزة في كونه يحقق المرجعية بين المحذوف والمذكور, ولا سيما عندما يكون الدليل على المحذوف بعيدا عن مكان الحذف, كي يجعل المتلقي مهتدياً إلى التقدير, ويختار مكان التقدير, مما يثير في نفس القارئ الرغبة في إتمام النص؛ وذلك من خلال الحصول على العناصر المحذوفة [1] .

والحذف وسيلة من وسائل الاتساق النصي التي تفعل دور المتلقي في الاشتراك في إنتاج النص, وإكماله وملء فراغاته[2] , وإذا كان واضح مدى فاعلية الحذف في إبراز دور المتلقي, فلا بد هنا من التنبّه إلى أن المتلقين يختلفون باختلاف ثقافاتهم وقراءاتهم وكذلك قدر كل متلقٍ على تحديد مكان الحذف, وتعيين المحذوف, وهذا كله ينتج لدى المتلقي نشاطاً ذهنياً يعمل على بعث الخيال والإيحاء, فالحذف يترك فراغا وفجوة في النص فيحث المتلقي على البحث عن العناصر التي تشغل الفراغ؛ مما ينتج عنه استمرارية في التلقي [3], وهنا تبرز وظيفة المتلقي والمستقبل في تحليل الخطاب المؤدي إلى اتساقه, وذلك يكون عندما يمتلك المتلقي أدوات القراءة [4] .

وبهذا يكون الحذف من وسائل اتساق النصوص وربطها وقد أخذت حيزا كبيرا في الدراسات النصية ؛ لما لهذا العنصر الاتساقي من أهمية بالغة في تحقيق التماسك والترابط الذي يصبو إليه منتج النص ومن يتلقاه شفاهيا أو كتابيا , وسيدرس هذا المبحث أنواع الحذف الواردة في كلام الإمام الباقر (عليه السلام) في قابل الصفحات .

---

(1) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٠٨ـ ٢٠٩ .
(2) ينظر: المصدر نفسه : ٢١٥ .
(3) ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب : ١٩٢ , و علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١٦ .
(4) ينظر : الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب : ١٩٤ .

حذف أكثر من جملة :

ومما جاء في مسند الإمام الباقر (عليه السلام) عندما سأله أحد أصحابه عن علم العالم, فقال الإمام (عليه السلام) : **((يا جابر إنَّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس , وروح الإيمان, وروح الحياة, وروح القوة, وروح الشهوة, فبروح القدس يا جابر علمنا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى, . . . ثم قال : يا جابر إنَّ هذه الأرواح يصيبها الحدثان, إلَّا أنَّ روح القدس لا يلهو ولا يلعب** [1] .

يلاحظ على النص المذكور أن الإمام عليه السلام بدأ كلامه مع صاحبه جابر في تبيان الأرواح التي تكون في الأنبياء والأوصياء وعددها واحدة تلو الأخرى, إلا أن الإمام عليه السلام في معرض حديثه عن توضيح ما الذي يمكنه معرفته عند امتلاكه لروح القدس وقد صرح بذلك عندما قال (علمنا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى) لكنه بعد ذلك سكت عن تبيان ما يمكنه فعله عند امتلاك باقي الأصناف التي ذكرها في قوله, فيبدو للباحث أن الإمام هنا قد ترك توضيح باقي الأرواح؛ للإكتفاء بعقلية المتلقي وفهمه لما تفعله هذه الأرواح, فجعل الكلام حاملاً لدلالتين ظاهرة ومسكوت عنها, فالظاهرة هي إبراز ما لروح القدس من قيمة سامية وعظمة, وسكت عن الباقي من أنواع لفهم المتلقي, وخاصة أن السائل له كان على دراية من ذلك, فيكون المستقبل باحثا عمَّا تعطي باقي الأرواح من أفعال وأعمال للنبي والوصي وسائر الناس, وهذا الحذف أعطى قيمة نصية للكلام ؛ لتوافر التراكيب والسياق, فيكون بذلك للمتلقي حضور قائم على التفاعل مع النص ومنتجه؛ وذلك بالاجتهاد في تأويل المعنى للوصول للمعنى المسكوت عنه والتمكن من الغاية المرجوة من النص, والتوصل إلى المعنى, وذلك من خلال الإكتفاء بدلالة القرائن الحالية واللفظية والعقلية على المحذوف [2] لدى المستقبل للنص , وعلى ما يبدو فيكون تقدير الكلام, بروح الإيمان آمن , وبروح الحياة عاش ودّب , وبروح القوة جاهد وقام, وبروح

([1]) مسند الإمام الباقر (عليه السلام) : ١/ ٤٧٤ .
([2]) ينظر: علم لغة النص والأسلوب : ٤٥ .

الشهوة أكل وشرب وأتى النساء من حلال , بلحاظ ذلك يكون حذف أكثر من جملة قد ساعد على الاتساع في المعنى وجعل القارئ يفتش عن المعاني المحذوفة مستندا بذلك على ما يملكه من قدرة على تحديد المحذوف وتقديره من خلال القرائن المتوفرة لديه .

حذف الجملة :

والكلام هنا عن حذف جملة , وهذا الحذف مطرد في الدرس النحوي القديم , وكذلك في الدرس اللساني الحديث, ويكثر هذا النوع من الحذف في ((جملة القسم, وجملة جواب القسم, وجملة الشرط, وجملة جواب الشرط))[1] , وهذا لا يعني أنه لا يوجد في الجمل الأخرى, بل قد تحذف الجملة وهي ليست من الأنواع المذكورة , وقد وردت أمثلة على حذف الجملة في كلام الإمام الباقر عليه السلام في معرض حديثه يحث أصحابه على التفقه , فقال عليه السلام : **((تفقهوا في الحلال والحرام , وإلا فأنتم أعراب))[2] .**

جاء الحذف هنا في الجملة الثانية , ويكون تقدير الكلام قبل الحذف (تفقهوا في الحلال والحرام , وإن لم تتفقهوا , فأنتم أعراب) , فحذف جملة الشرط مع الإبقاء على أداة الشرط إن المدغمة في (لا) , والذي سوغ لحذف هذه الجملة هو الدليل السابق عليها , ووجود المرجعية التي تحيل القارئ إلى ما مذكور سابق للمحذوف وإن كان مكان الحذف ليس ببعيد عن المحذوف , لكنه قد حقق المرجو منه وهو وسق النص بحذف الجملة وعدم تكرار الكلام ترفعا عن الاسهاب .

([1]) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ١٩٤ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ١/ ١٧٥ .

ومما ورد في هذا النوع من الحذف , قول الإمام عليه السلام عندما كان يتحدث مع رجال من بني العباس , فقال : **((يا سلمان بن خالد لا يزال القوم في فسحة من ملكهم ما لم يصيبوا منّا دما حراما - وأومأ بيده إلى صدره - فإذا صابوا ذلك الدم , فبطن الأرض خير لهم من ظهرها , فيومئذٍ لا يكون لهم في الأرض ناصر , ولا في السماء عاذر))**[1] .

الشاهد في هذا المثال هو قوله عليه السلام (يومئذٍ) , فالمتعارف عليه لدى النحويين أن هذا الظرف يلازم الإضافة إلى الجمل, الاسمية منها والفعلية , ويحذف ما بعد هذا الظرف لعلم المخاطب به , ويجاء بتنوين العوض ليعوض الجملة المحذوفة [2] , ويكون إعراب الجملة المحذوف والمعوض عنها بالتنوين في محل جر مضاف إليه , فتقدير الكلام قبل الحذف (فيومئذٌ يصيب دما منا حراما) .

من تقدير الكلام السابق يتضح لنا أن الدليل سابق , ومرجعية الحذف داخلية سابقة تحيل بنا إلى عنصر مذكور سابقا في النص , والحذف قد أغنى من إعادة الذكر , مما يؤدي إلى عدم تكرار جملة الشرط الذي لو ذكر لاختل نظام النص الداخلي , فيبقى النص محتمل الفجوة التي أحدثها الحذف كي يأتي التقدير ويملئ الفراغ بما يناسبه , وبهذا تتضح الوظيفة النصية للحذف في ربط الكلام ووسقه , فضلا عن ما يحدثه التنوين الذي حلَّ محل علامة بناء الظرف (السكون) من تنغيم صوتي يجعل القارئ يبحث عن التقدير الملائم بفضل إدراك المرجعية , ثم يحدث الاتساق بعد إكمال النص بملء فجواته .

ومما جاء أيضا في الحذف الجملي , ما ورد في دعاء الإمام عليه السلام , في تعقيبه بعد الصلاة , فيقول داعيا : **((لا إله إلاَّ الله الحليم**

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٥/ ٤٧٤ .
([2]) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٣/ ١٢٤ـ ١٢٥ , ومعاني النحو : ٢/ ٢٠٥ .

الكـريم , لا إلــه إلَّا الله العلــي العظـيم, سـبحان الله ربِّ السـموات السـبع , وربِّ الأرضـين السـبع , وربِّ العـرش العظـيم , والحمـد لله ربّ العـالمين , اللهـم إنـي أسـألك بـدرعك الحصـينة , وبقوتـك , وبعظمتـك , وبسـلطانك , أ، تجيرني من الشيطان الرجيم , ومن شرّ كل جبار عنيد))[1] .

جـاء الحـذف هنـا فـي الجملـة الاسـمية المتكونـة مـن إن واسـمها وخبرهـا , فعدم حـذف الجملـة هنـا يتعـارض ومبـدأ الاقتصـاد اللغـوي والإيجـاز الـذي هـو سـمة للـنص البليـغ , كـي لا يصـيب المتلقـي نـوع مـن الملـل الـذي يسـببه التكـرار [2] , فحـذف الجملـة لوجـود دليـل مقـالي سـابق , ومرجعيـة تحيـل القـارئ إلـى تقـدير المحـذوف وإعمـال عقلـه للبحـث عـن الفراغـات وسـد فجـوات الـنص كـي يسـتكمل عناصـر الـنص المحذوفـة , ومحاولـة الوصـول إلـى أعلـى مسـتوى مـن الفهـم لـنص الإمـام عليـه السـلام , وهـذا لا يتحقـق إلّا عـن طريـق الحـذف , مـن خـلال معاملـة المحـذوف مـن جهـة الدلالـة معاملـة المذكور , فيتحقق بذلك التماسك النصي [3] .

فيكـون تقـدير الكـلام قبـل حـذف الجمـل (إنـي أسـألك بـدرعك الحصـينة , وإنـي أسـألك بقوتـك , وإنـي أسـألك بعظمتـك , وإنـي أسـألك بسـلطانك أن تجيرنـي مـن الشـيطان الـرجيم , ومـن شـر كـل جبـار عنيـد) , فتتضـح قيمـة وجـود المرجعيـة المقاميـة والـدليل المقـالي علـى المحـذوف ؛ لأن ذلـك يحقـق التـرابط النصـي بـين الجمـل وخاصـة عنـدما يكـون المحـذوف مـن لفـظ المذكور أو مرادف له [4] .

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٣٩٠ .
([2]) ينظر : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء الص النثري : ٨٩ .
([3]) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٠٨ .
([4]) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٠٨ .

حذف المفرد:

يتنوع هذا النوع من الحذف بين حذف الأسماء الصريحة والضمائر النائبة عن تلك الأسماء , وبين حذف الأفعال , وهو ما سيُطرح في قابل السطور من هذا المطلب , ومن الأمثلة الواردة في النصوص الباقرية ما يكون فيها الحذف الاسمي , قوله عليه السلام : **((اللهم أنت الله , لا إله إلَّا هو الحي القيوم, لا تأخذه سنة ولا نوم, هو الله الذي لا إله إلَّا هو عالم الغيب والشهادة, هو الرحمن الرحيم, هو الأول والآخر , والظاهر والباطن, وهو بكل شيء عليم, فالق الأصباح, جاعل الليل سكناً, والشمس والقمر حسباناً, ذلك تقدير العزيز العليم, يا غالباً غير مغلوب, و يا شاهداً ولا يغيب, يا قريب , يا مجيب ذلكم الله ربي لا إله إلَّا هو عليه توكلت , وإليه أنيب , أتذلل إليك تذلل الطالبين, وأخضع إليك خضوع الراغبين))**[1] .

ورد في هذا المثال حذف المفرد بشقيه, فحذف الاسم في مواضع عدة من النص, وتنوع بين حذف الصريح من الأسماء وكذلك حذف الضمير, وفي موضع آخر عمد الإمام عليه السلام إلى حذف الفعل, فالحذف الاسمي تمثل في حذف خبر لا النافية للجنس, وهذا يكثر في نصوص الأدعية, فالتقدير يكون (لا إله موجود إلا هو الحي القيوم) وفي الثانية والثالثة يكون التقدير واحد وهو (موجود), فحذف الاسم الذي فُسر بهذا التقدير بدلالة أن لا إله غير الله موجود في هذا الكون, وبهذا الحذف يكون الإمام الباقر عليه السلام قد حافظ على تماسك النص من خلال حذفه للاسم الذي لو ذكره لاختل نظام النص الداخلي, فالحقيقة مسلم بها أنه لا يوجد إله آخر مع الله تبارك وتعالى, فالحذف هنا خير من الذكر لعلم المخاطب بالمحذوف الذي هو كالمذكور, وهذه من القضايا اللغوية العرفية؛ لذا فعلم منتج النص (الإمام الباقر عليه السلام) على دراية وفهم للأعراف اللغوية, وهذا ما يسهم في إنجاح ظاهرة الحذف في

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

تكوين ترابط وتماسك داخل النص[1], ومن ثم عمد عليه السلام إلى حذف الضمير المنفصل (هو) في قوله : (هو الأول والآخر, والظاهر والباطن), فتقدير الكلام قبل الحذف يكون (هو الأول, وهو الآخر, وهو الظاهر, وهو الباطن), فقد حذف الضمير في ثلاثة مواضع بدلالة الأول عليها, وتكون المرجعية سابقة للمكان الحذف فالإمام عليه السلام أراد هنا بيان الإشارة إلى وحدانية الله عز وجل ووجوديته من خلال سياق كلامه فهو الأول قبل كل شيء, والآخر بعد فناء كل شيء, والموجود في ظاهر الأشياء وباطنها, فصارت الصفات الثلاث المحذوف موصوفها (الضمير هو) بمثابة الواحد العائدة عليه, ولما حذف الموصوف من النص أدى بذلك إلى ما يريد من دلالة؛ لذا فيُلحظ أن الحذف يسهم في خلق تماسك وترابط النص على المستوى السطحي والدلالي[2].

لم يقتصر الحذف في المثال على حذف الاسم فقط, بل الحذف الفعلي قد كان موجودا أيضا , فقد حذف الفعل (جعل) من قوله عليه السلام: (الشمس والقمر حسباناً) أي وجعل الشمس والقمر حسباناً, وكذلك حذفه للفعلين (يبعد ويرفض) في قوله عليه السلام : (يا شاهداً ولا يغيب, يا قريب يا مجيب ..... إلخ) فحذف الفعل هنا وتقدير الكلام يكون كالآتي (يا شاهداً ولا يغيب, يا قريب ولا يبعد, يا مجيب ولا يرفض), وهذا النوع من الحذف ((يعتمد على قرينة التضاد))[3], بالعدول عن التفصيل في الذكر, منتج النص هنا أراد إيصال الفكرة من خلال ذكره للفعل الأول الذي يتضاد مع الاسم السابق له, وحذف الفعليين الأخريين, وترك للمتلقي القارئ للنص تقدير ما حُذف, وهذا الحذف ذو مرجعية قبلية المتمثلة بالفعل (يغيب)؛ لذا فقد ساعد ذكر المتضادين على تقدير المحذوف , وجعله كالمذكور مما يؤدي إلى استمرارية النص واتساقه , فدلالة التضاد هنا تسهم في جعل المتلقي قادراً على معاملة المحذوفات في باطن النص

---

(1) ينظر : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : ٨٨ .
(2) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٠٧ .
(3) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ١٠١ .

كالملفوظات الظاهرة على سطح للنص , فالمتلقي يتحرك داخل عالم النص يفتش عن المحذوف بمساعدة الدلائل والمرجعية, وبهذا يكون منشدّاً إلى عبارات النص وفقراته دوم ملل من التكرار الظاهر الذي فقد يخل في نظام النص, ويبعث السأم والضجر, وهذا لا يتلاءم وفصاحة الإمام عليه السلام خاصة وأن المعنى واضح وجلي لدى المتلقي ((وفي مثل هذا يؤدي الحذف أفضل حالات السبك))[1].

ومما ورد في متن الدراسة في هذا الصدد قوله عليه السلام : **((اللهم أنت خير مأتى, وأكرم مزورٍ, وخير من طلبت إليه الحاجات, وأجود من أعطى, وأرحم من استرحم, وأرأف من عفى, وأعز من اعتمد, اللهم وبي إليك فاقة, ولي عندك حاجات, ولك عندي طلبات من ذنوب أنا بها مرتهن قد أوقرت ظهري, وأوبقتني, وألَّا ترحمني وتغفرها لي أكن من الخاسرين))**[2] .

جاء الحذف الاسمي في هذا النص, فقد حذف الإمام عليه السلام الضمير (أنت) من الجمل التالية للجملة الأولى؛ لدلالة الضمير المذكور في بداية كلامه, وتقدير الكلام (أنت خير مأتى, وأنت أكرم مزورٍ, وأنت خير من طلبت إليه الحاجات, وأنت أجود من أعطى, وأرحم من عفى, وأنت أعز من اعتمد), فحذف الضمير الذي هو مبتدأ وبقى خبره في الذي هو جمل فعلية في محل رفع خبر للمبتدأ المحذوف, فالمرجعية السابقة والدليل المذكور في الجملة الأولى سوغ للحذف ((وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره, أو ما يرشد إليه سياق الكلام, أو دلالة الحال, وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسامع, وتعول على إثارة حسه, وبعث خياله وتنشيط نفسه, حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير

([1]) السبك النصي في القرآن : ٩٣ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٣٩٥ .

))[1] , ومن ثم نلحظ الربط الذي انتجه الحذف من خلال خلق جو من التفاعل بين منتج النص والقارئ , فأتاح للمتلقي القدرة على تقدير المحذوف وملء الفراغات في عالم النص من خلال ما يتصل بالعناصر المتعددة المحذوفة, وهنا قد برز دور القارئ في تحديد مكان الحذف مستندا في ذلك على المرجعية القبلية, ومما ساعد أيضا على حذف وجود الواو العاطفة بين الجمل على طول النص؛ فأغنى ذلك منتج النص من تكرار المبتدأ في كل جملة, الذي يؤدي إلى التكرار الممل ولا طائل منه .

وجاء في مثال آخر حذف الضمير النائب عن الاسم في قول الإمام الباقر عليه السلام, فقال : **((نحن أهل بيت الرحمة, وشجرة النبوة, ومعدن الحكمة, وموضع الملائكة, ومهبط الوحي))[2] .**

في النص السابق عمد الإمام عليه السلام في كلامه إلى حذف المبتدأ الذي هو الضمير المنفصل (نحن) من الجملة اللاحقة لجملة (نحن أهل بيت الحكمة), لدلالة الأولى على المحذوفات, وهو الذي سوغ للحذف؛ لأن وجود الدليل يتيح لمنتج النص القدرة على حذف ما يرغب في حذفه من كلامه, فتقدير الكلام (نحن أهل بيت الحكمة, ونحن شجرة النبوة, ونحن معدن الحكمة, ونحن موضع الملائكة, ونحن مهبط الوحي), فيلاحظ على النص أن الأخبار الواردة فيه ليس لها مبتدآت, وهذه هي المرجعية التي أوعزت للباحث معرفة الحذف وتقدير المحذوف؛ لأن الحقيقة النحوية القارة التي مفادها أن كل خبر لا تتم به الفائدة إلا بوجود المبتدأ[3] أي أن الخبر يحتاج إلى المبتدأ لينتج كلام يعطي فائدة, ويلبي حاجة الملقي للنص, وكذلك الذي أسهم في وسق النص بالإضافة الحذف العطف بين الجمل المحذوف في كل منها المبتدأ, فلا فائدة للعناصر المفردة بوحدها[4] , فالإمام عليه السلام هنا اختار الحذف على التكرار الذي يصيب النص بالترهل

([1]) خصائص التركيب دراسة تحليلية لعلم المعاني , محمد محمد أبو موسى : ١٥٣ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ١/ ٤٩ .
([3]) ينظر: شرح المفصل : ١/ ٩٤ .
([4]) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٢٠٠ .

ممـا يفقـده رونقـه, فهـو فـي معـرض الكـلام عـن فضـائل آل بيـت النبـوة, وتعريـف النـاس بخصـالهم بهـذا التعبيـر المـوجز الحامـل لمعـانٍ كثيـرة؛ لـذلك حـذف المبتـدآت ليبقـي علـى الـنص انسـيابيته وعـدم تفككـه إلـى جمـل مصـغرة, بـل ظهـر الـنص كلـه علـى أنـه جملـة واحـدة مترابطـة العناصـر والـذي أعطـى هـذه المزيـة لـه هـو الحـذف والـواو العاطفـة, فتحقـق الاقتصـاد اللغـوي, فضـلاً عـن التماسـك الـذي جـاء مـن وسـق النص نحوياً وهو مبتغانا .

وبهـذا القـدر مـن الأمثلـة, يستشـف أن الحـذف وسـيلة تسـهم فـي وسـق النصـوص علـى مسـتوى الـنص والجملـة والمفـردة, وتسـهم فـي إعمـال المتلقـي وإشـراكه فـي عمليـة إنتـاج الـنص, فتحقـق أعلـى درجـة مـن التفاعـل بـين منـتج الـنص ومتلقيـه, فـالمتلقي علـى اخـتلاف ثقافاتـه وقدراتـه لكنـه قـادر علـى التفاعـل مـع الـنص مـن خـلال اسـتيعاب النصـوص, والسـياق الـذي قيلـت فيـه, ممـا يجعلـه فاهمـاً لبنيـة الـنص الكبـرى, علـى المسـتويين السـطحي البنـائي, والمسـتوى الـدلالي للـنص, وبهـذا تكـون فائـدة الحـذف كبيـرة وهـو الوسـيلة الثانيـة بعـد الإحالـة مـن حيـث الأهميـة فـي اتسـاق النص شكلياً ودلالياً .

المبحث الثالث : الربط

مفهومه :

ويتحقق من خلال علاقات وأواصر تتحقق بذكر أدوات العطف, وهذا الرابط بين جمل النص هو ما أطلق عليه علماء النص مصطلح الربط, فالنص هو وحدة متماسكة, وهذا التماسك يتجلى على هيأة جمل متتالية خطياً وأفقياً[١] , وهذا يتحقق من خلال أدوات العطف التي تحيل المتلقي إلى معرفة ماذا يعود الكلام, وإلى ماذا ينتمي.

ومصطلح الربط الذي وضعه دارسو علم لغة النص, له ما يقابله في الدرس اللغوي العربي القديم, فالنحويون يطلقون عليه مصطلح العطف, والبلاغيون يطلقون عليه مصطلح الوصل, إلا أن الباحثين في لسانيات النص قد آثروا مصطلح الربط على غيره, وأضافوا إليه - فضلاً عن أدوات العطف - المبتدأ وخبره, والفعل وفاعله, والتوابع كلها مع متبوعاتها, والشرط وجزاؤه, والقسم وجوابه, ...إلخ[٢].

لم يفت علماء اللغة قديماً التنبّه إلى أهمية الربط نحويين كانوا أم بلاغيين, فعند سيبويه وظيفة الربط تكمن في ربط وإشراك الجمل بعضها ببعض, وكذلك وصل المعطوف بالمعطوف عليه[٣] , فهو قد درسه في مواضع متفرقه وتابعه بذلك النحويون, واعتنوا بموضوع الربط وارتباطه بفكرة الإتباع الإعرابي[٤] , ومن جهود النحويين في دراسة هذا الفرع النحوي ظهرت باعتنائهم به وتناولهم إياه بالدراسة كثيراً حتى أنه قد وضعوا له أكثر من مصطلح غير العطف بالاعتماد على معاني حروفه, ومن المصطلحات : الترتيب, والإشراك,

---

(١) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣ .
(٢) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ٢٥٧ وما بعدها .
(٣) ينظر : الكتاب : ١/ ٤٣٧ .
(٤) ينظر : بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية , د. عفت الشرقاوي : ٥٤ - ٥٧ .

والتخييـر, والتراخـي, والاسـتدراك, والإضـراب[١] , ومـن خـلال مطالعـة جهـود القـدامى فـي دراسـة العطـف ومـا يتركـه مـن أثـر فـي تنظـيم الكـلام مـن خـلال ربـط الجمـل, وبـذلك يعطـي فائـدة, وهـذه ((الفائـدة لا تجنـى مـن الكلمـة الواحـدة, وإنمـا تجنـى مـن الجمـل ومـدارج القـول؛ فلـذلك كانـت حـال الوصـل عنـدهم أشـرف مـن حـال الوقـف))[٢] , ومـن جهـود علمـاء البلاغـة التـي لا يمكـن إغفالهـا فهـم قـد افاضـوا فـي دراسـة هـذا الموضـوع فـي بـاب الوصـل والفصـل, فهـذا عبـد القـاهر الجرجـاني يقـول : ((اعلـم أن العلـم بمـا ينبغـي أن يصـنع فـي الجمـل مـن عطـف بعضـها علـى بعـض, أو تـرك العطـف فيهـا والمجـيء بهـا منثـورة, تُسـتأنف واحـدة منهـا بعـد أخـرى مـن أسـرار البلاغـة, وممـا لا يـأتي لتمـام الصـواب فيـه إلا الأعـراب الخلَّـص, وإلا قـوم طُبعـوا علـى البلاغـة, وأوتـوا فنَّـاً مـن المعرفـة فـي ذوق الكـلام))[٣] , ونلحـظ مـن بداية كلامه أنه قد أشار إلى الوصل في الكلام.

وقـد وضـع البلاغيـون ثلاثـة أحـوال للجمـل مـن حيـث اتصـالها وانفصـالها, وفـي كمـال الاتصـال, وكمـال الانفصـال, وآخـر يكـون متوسـط بينهمـا[٤], وهـذا يجعلنـا نوافـق الـرأي القائـل ((أن الـربط بـالعطف يعـد قرينـة علـى انعـدام الارتبـاط, وانعـدام الانفصـال بـين المتعـاطفين, فدلالتـه علـى انعـدام الارتبـاط ناشـئة مـن أدائـه معنـى المغـايرة, ودلالتـه علـى انعـدام الانفصـال ناشـئة مـن العلاقـة السـياقية التـي يُنشـئها كـل حرف, حسب معناه الوظيفي وقرائن السياق))[٥] .

ومما جـاء لنـا مـن حـديث القـدامى عـن العطـف وضـعهم لـبعض الشـروط التـي يجـب توافرهـا فـي المتعـاطفين ليتحقـق الـربط بـالعطف بينهمـا, ومـن تلـك الشـروط أنـه لا يمكـن عطـف الشـيء علـى نفسـه, وكـذلك لا يمكـن عطـف شـيئين لا جـامع

---

(١) ينظر : المقتضب , أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : ١/ ١٤٨ ـ ١٥٠ , والأصول في النحو , أبو بكر بن السراج :١/ ٥٥ـ ٥٨.
(٢) الخصائص : ٢/ ٣٣١ .
(٣) دلائل الإعجاز : ٢٢٢ .
(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٣, ومفتاح العلوم : ٣٥٧ ـ ٣٧٠ , والإيضاح في علوم البلاغة : ١٤١ .
(٥) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية , د. مصطفى حميدة : ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

بينهما, ومن الشروط التي قالوا بها إن حروف العطف تلك لا تدخل على بعضها البعض, وأيضاً لا يمكن حذف حرف العطف وإبقاء المعطوف به [١] .

بعد العرض الموجز لما وصل إلينا من جهود القدامى في تناول العطف بالدراسة والاهتمام , نأتي هنا إلى ما قدمه علماء لغة النص من طرح جديد في هذا الأمر, فالربط من وسائل الاتساق النصي التي تسبك النصوص نحوياً, وتربط أجزاء النص حتى أنها تبدو مرتبطة بعضها ببعض كالبنية الواحدة[٢] , فالربط في مفهوم علم اللغة النصي هو ((تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم))[٣] , بهذا التعريف للربط فيكون بمعنى الاشتراك بين عنصرين أو أكثر داخل النص, وبهذه المشاركة تتكون آصرة رابطة بين العناصر ليظهر النص وحدة واحدة, ولا يكون الارتباط في الجوانب الشكلية فحسب, بل يتعداها إلى الجوانب الدلالية, فيجعل النص يسير بحركة دلالية تلتقي بها عناصر النص المتباعدة, وتعود إلى دلالته المركزية الكلية[٤] , وبحسب رؤية دي بوجراند فالربط عنده هو ما يشير إلى العلاقات التي تقرب المساحات بين عناصر النص, ويعطي إشارة إلى إمكانية اجتماع العناصر وتعالق بعضها ببعض في عالم النص[٥] .

ومما يميز وسيلة الربط أنها تختلف عن أدوات الاتساق النحوي, فالربط لا يتضمن ((إشارة موجهة نحو البحث المفترض فيما تقدم, أو ما يلحق كما هو شأن الإحالة, والاستبدال, والحذف))[٦] , من ثم أن الربط كما قلنا سابقاً هو علاقة ترابط عناصر النص بشكل منظم, ومزية هذه العلاقة النصية أنها لا تعتمد على الوحدات المعجمية بشكل صريح, بل اعتمادها يكون بالأساس على أدوات العطف, كما ذكر الباحثان هاليداي ورقية حسن ((أن أدوات العطف يمكن أن تكون معلنة, أو ضمنية, ونحن غالباً ما نتهيأ للتعرف على وجود العلاقة الدلالية

---

(١) ينظر : الأصول في النحو : ٢/ ٥٩ , والخصائص : ١/ ٢٩٠ .
(٢) ينظر : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى : ١١٩ .
(٣) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣, نقلاً عن ٢٢٧ : Cohesion in English .
(٤) ينظر : النص والخطاب قراءة في علوم القرآن : ١٩٧ .
(٥) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .
(٦) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٢ .

حتى إذا لم توجد الأدوات على الإطلاق فالترابط موجود حتى لو لم توجد إشارة صريحة له))[1] .

أثر الربط في اتساق النص :

إن التعالق بين الكلمات يحدث من خلال روابط نحوية ودلالية, وخاصة عندما تكون العناصر المترابطة بين جملة وجملة أخرى, ويمثل العطف بالأدوات أكثر الروابط النصية التي تسهم في ربط النصوص, فضلاً عن فاعليته القوية في وسق النصوص [2] , فالنص عبارة عن متتاليات جملية مترابطة فيما بينها, ومتعاقبة خطياً وأفقياً, فتكون بذلك نصاً متماسكاً[3] , فالربط بين المفردات اللغوية التي تجتمع لتكون نصاً , يكون العطف هو الأساس الأهم في تكوينها , فالقيمة النصية للربط تكمن في إسهامه في ترابط عناصر النص والمحافظة على حركة الدلالة في عالم النص مما يظهره متماسكاً؛ لأن الربط يعمل على تقوية الروابط بين المتتاليات الجملية في النص الواحد, فالربط يحدد طريقة ارتباط الجمل بشكل منتظم داخل بنية النص الكبرى , ليسهم بذلك في إظهار النص كأنه وحدة واحدة متماسكة .

وللربط أهمية تبرز في وظيفته بالجمع بين علاقتي الاتساع والاقتصاد اللغويين في الوقت ذاته, فهو عنصر اتساع من جهة تكوينه العلاقات النصية الجديدة, وربط العناصر بعضها ببعض, وذلك من خلال ربط الجمل والفقرات ببعضها مما ينتج عن ذلك اتساع في المعنى, أما من جهة كونه عنصر اقتصاد فهو يربط بين التراكيب السابق منها باللاحق وإشراكهم بالحكم بواسطة حرف,

---

([1]) نظرية علم النص رؤية منهجية لبناء النص النثري : ٩٤ ـ ٩٥ .
([2]) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ٢٤٧ , والترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب : ١٨٣ .
([3]) ينظر : التماسك النحوي وآلياته دراسة تطبيقية لنماذج من ديوان مفدي زكرياء, آسيا بن بريكة : ١٩ . (رسالة ماجستير)

فعلى سبيل المثال الواو في اللغة العربية, فيسهم بالاقتصاد على المستوى الشكلي, ويعطي معنى الإشراك في الحكم للعنصرين المترابطين[١] .

أنواع الربط في مسند الإمام الباقر :

قدّم علماء اللغة والنحو في العربية أنواعاً وأصنافاً للربط, وأول من تناول الربط بشكل مفصل وجعل أنواعه في أحد عشر نوعاً, هو ابن هشام الأنصاري في مغنيه[٢] , وهذه الأنواع تضمنت العطف الذي ينقسم على قسمين كما جعله النحاة, وهما : عطف النسق وعطف البيان .

أما عند النصيين فالواضح أنهم جعلوا للربط أربعة أنواع[٣] وهي :

أولاً : الربط الإضافي :

يسهم الربط الإضافي في اتساق النص, وربط عناصره اللاحق منها بالسابق, وذلك من خلال أدواته (الواو, أو , أم , كذلك) وغيرها[٤] , ويندرج تحت هذا النوع من الربط كلمات وعلاقات دلالية أخرى تحمل ما يدل على التشابه الدلالي, ومنها : مثل هذا, ومتشابه, وبالطريقة نفسها), ويشمل أيضاً عبارات التخصيص والتمثيل[٥] , ومنهم من أضاف مصطلح (الفصل), وهو عندما يكون أحد العنصرين صحيحاً في النص , وأدواته : أو , أما [٦] .

ويمثل حرف الواو أكثر أدوات الربط الإضافي شيوعاً في متن الدراسة, كما هي الحال في معظم النصوص العربية, فلا يكاد نص يخلو من هذه الرابطة, ومن الأمثلة الواردة في كلام الإمام الباقر عليه السلام قوله **: ((زعمت العرب**

---

(١) ينظر : نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى : ١٨٤ .
(٢) ينظر : مغني اللبيب : ٢/ ٥٠٢ ـ ٥١٥ .
(٣) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣ ـ ٢٤ , ولسانيات النص النظرية والتطبيق : ١١٠ ـ ١١٢ .
(٤) ينظر : تحليل الخطاب : ٢٢٩ , ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣ , وعلم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١١ ـ ١١٦ .
(٥) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣ .
(٦) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر : ١٠٩ .

أن لهم فضلاً على العجم, فقالت العجم : وبمَ ذاك ؟ قالوا كان محمد ﷺ منَّا قالوا لهم صدقتم, وزعمت قريش أن لها فضلاً على غيرها من العرب, فقالت لهم العرب من غيرهم وبمَ ذاك ؟ قالوا كان محمد قرشياً, قالوا لهم صدقتم, وإن كان القوم صدقوا, فلنا فضل على الناس لأنَّا ذرية محمد, وأهل بيته خاصة, وعترته لا يشركنا في ذلك غيرنا))[1] .

عند التأمل في النص السابق يتضح للمتلقي مدى تضافر أدوات الربط الإضافي , فكان حضور الواو بارزاً في حركة سير الترابط داخل بنية النص , فتنوع الربط بين ربط الكلمات مع بعضها البعض, وكذلك ربط الجمل حتى أن القارئ يشعر بأن ليس هناك فصل في الكلام, وإنما الجمل متسقة؛ بواسطة ربط اللاحق بالسابق, وهذا تمّ عن طريق الوظيفة الترابطية التي تقدمها الواو, فنتج عن هذا الترابط علاقة دلالية مركزية, فالإمام عليه السلام أراد هنا بيان فضلهم على غيرهم من الناس وهم آل بيت النبوة ونسل الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام, فالربط بالواو أسهم في تناغم وانسيابية جمل النص مع العلاقة الدلالية التي تجمعها, وهذا ما تقدمه الواو؛ لأنها من الأدوات التي تفيد في الربط الخطي على وجه من الترتيب والجمع والإشراك, وتربط الجمل السابقة منها باللاحقة على مستوى النص[2] , وفضلاً عن ورود الواو رابطة لجمل النص, فقد جاءت أداة أخرى أسهمت في الربط الإضافي وهي لا تنتمي إلى حروف العطف, وهذه الأداة هي كلمة (خاصة) والتي تفيد التخصيص, فقد عدّها بعض الباحثين من الأدوات التي تربط النص على المستوى الشكلي والدلالي[3] , يُشعر الربطُ القارئَ أن قول العرب للعجم, واستفهام العجم عليهم, وقول قريش لغيرها من العرب, وكذلك استفهام غيرهم عليهم, وقوله عليه السلام بأنه ذرية الرسول عليه الصلاة والسلام, قد حدث في وقت واحد وهذا كله متحقق بفضل الجمع بين الأقوال الثلاثة بواسطة الواو, فمطلق الجمع الذي تفيده الواو يجعل من النص

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ١٥٧ .
([2]) ينظر : نسيج النص : ٣٧ .
([3]) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١١ .

وحدة دلالية واحدة, فالربط بهذه الأداة يجري في مستويين, شكلي ودلالي, مما يوحي للمتلقي باتساق الجمل داخل عالم النص, وترابطها.

ومصداق آخر على الربط الإضافي ما جاء في النصوص الباقرية, حيث قال عليه السلام : **((يا سليمان أتدري من المسلم؟ . . . المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده, و أتدري من المؤمن ؟ . . . , إنَّ المؤمن من ائتمنه المسلمون على أموالهم, وأنفسهم, والمسلم حرام على المسلم أن يظلمه, أو يخذله, أو يدفعه دفعة تعنته))**[1] .

جاء الربط الإضافي هنا بأداتين, فالأولى كانت الواو, فربطت بين عناصر النص على المستوى الشكل للنص, ولكن الأداة الثانية وهي (أو), فقد أسهمت أو في ربط سابق النص بلاحقه, فأفادت أو تشريك الألفاظ, لكن بمعنى مقيد, فهي تفيد التخيير فالربط بالتخيير بين ((صورتين أو أكثر من المعلومات على سبيل الاختيار, إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين إذا كانت المحتويات جميعاً عن مطلق الجمع صادقة في عالم النص, فإن الصدق لا يتناول إلا محتوى واحداً في حالة التخيير))[2] , فعملت الأداة علاقة سطحية على مستوى النص, فربطت الجمل الثلاث الأخيرة, والتي اراد منها الإمام عليه السلام تبيين ما هو حرام على المسلم ما يفعله بأخيه المسلم, كما موضح أسفله :

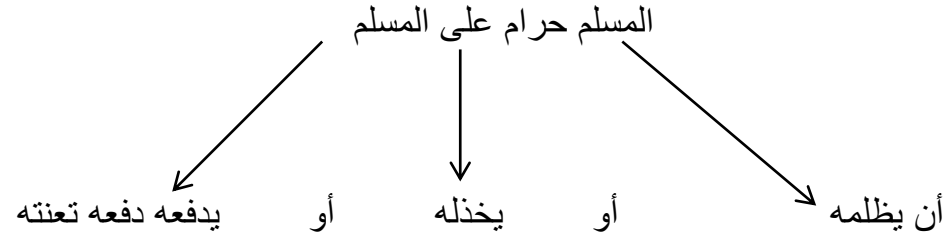

فالمخطط يوضح ارتباط ثلاث جمل سطحياً ودلالياً, والذي أعطى هذه المزية للنص هو الربط الإضافي فبدأ رابطاً الجمل بالواو, ثم عمد إلى أو, وهذا أسلوب

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ١٨٩ .
([2]) النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .

منتج النص البليغ الذي يتاح له الاختيار بين أدوات العطف ما يناسب السياق والمعنى المتضمن داخل أبنية النص؛ لذا فيظهر النص مسبوكاً ويتسم بصفة النصية بما يبدو عليه من ترابط واتساق تنصي .

ونسوق مثالاً آخر على هذا النوع من الربط, ففي قوله الإمام الباقر عليه السلام واصفاً شيعة آل محمد الخلّص فقال : **((يا جابر أيكتفي من انتحل التشيع وأحبنا أهل البيت, فوالله ما شيعتنا إلَّا من اتقى الله و أطاعه, وما كانوا يعرفون يا جابر إلَّا بالتواضع والتخشع بالإنابة, وكثرة ذكر الله, والصلاة والصوم, وبرِّ الوالدين, وتعاهد الجيران والفقراء والمساكين والغارمين والأيتام, وصدق الحديث, وتلاوة القرآن, وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير, وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء))**[1] .

في النص السابق وحدة دلالية مركزية تسير على طول جمل وفقرات النص, وهي وصف المتشيع الحقيقي, فالجمل الواردة في النص كلها ترتبط بتلك الدلالة المراد بها من النص, فكانت أجدر أدوات الربط هي الواو؛ لكي تجمع وتشرك الجمل كلها بمضمون النص وسياقه, فلعبت الواو دوراً رئيساً في ربط مكونات النص على المستوى الشكلي (السطحي), مما أضفى أثره على اقتصاد في الكلمات السطحية, واتساع بالمعنى المتضمن له هذا النص, فأفادت ربط الجمل اللاحقة من خلال إضافة معنى جديد إلى الجمل السابقة[2], بلحاظ ذلك يبدو للمتلقي عند مطالعة النص مدى تماسك الجمل, وكيف أخذت الجملة بيد الجملة الأخرى فكأنها متداخلة فيما بينها, وهذا ما يستشف من وظيفة الأداة الرابطة لها, فقد قامت بتشريك الجمل من جهة بناء النص السطحي, فضلاً عن تشريكها في المعنى والإعراب, فسياق المقام هنا هو بيان أوصاف من يتبع محمد وآله, فبدأ الإمام كلامه بالاستفهام الإنكاري على من ينتحل التشيع, ثم ما برح حتى بيَّن لأصحابه, ولمن يقرأ كلامه بعدهم أن لا يتبعهم إلا من كان يحمل تلك الصفات الحميدة, فجاء كلامه موسوقاً بالواو, مما يُفهم المتلقي أن تلك الصفات يجب أن

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ١٦٩ .
([2]) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٦٢ .

تتوافر جميعها, لا أن يكون مخيراً بين صفة وأخرى , وهذا ما ينتج عن ربطها بالواو فجمعها كلها؛ لهذا ظهر النص على قدر عالٍ من الاتساق والترابط .

ثانياً : الربط الزمني :

ويشتمل هذا النوع من الربط على حروف العطف (الفاء, ثم), فضلاً عن تعبيرات أخرى تفيد معنى الزمن بين المترابطين, لكنها ليست من أدوات العطف, فالفاء تفيد التعقيب والترتيب بمدة زمنية قليلة تفصل بين المعطوفين, أي أن اللاحق يقع بعد السابق بمدة قريبة[1] , أما (ثم) فتفيد الترتيب المتراخي زمنياً, فتكون بين اللاحق والسابق مهلة[2], فالربط الزمني هو علاقة بين متتاليات جملية بينها تتابع زمني, ويسهم في ربط الأحداث داخل النص زمنياً[3].

ومن مصاديق الربط الزمني في مسند الإمام عليه السلام, قوله : **((مَن عرف عبد من عبيد الله كذباً إذا حدَّث , وخلفاً إذا وعد , وخيانة إذا ائتمن , ثمَّ ائتمنه على أمانة كان حقاً على الله أن يبتليه فيها, ثمَّ لا يخلف عليه ولا يأجره))**[4] .

فالترابط في هذا النص جاء زمنياً بفضل ما عملته الأداة (ثمَّ) من ربط على المستويين الشكلي والداخلي للنص, فأفادت التراخي في المدة الزمنية بين أحداث النص, فالإمام عليه السلام أراد تحذير الناس من أن يأمنوا لمن هو كذاب الحديث , ومخلف الوعد, وخائن الأمانة , فالمتلقي المنعم نظره في عبارات النص يستشف له النصح والتحذير, لأن نتيجة الذي يأتمن من يحمل تلك الصفات السيئة ستكون الابتلاء من الله فيها, وعدم خلفه وتعويضه ولا أجر له على ما فعل, فأسهمت (ثمَّ) في تقارب الدلالة وسير النص على خط أفقي متسق, فالقارئ عندما يقرأ آخر النص والذي يبدو نتيجة لما سبقه, يسترجع ما مرَّ به

---

(1) ينظر : المقتضب : ١/ ١٤٩ , الأصول في النحو : ٢/ ٥٥ .
(2) ينظر : المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
(3) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/ ٢٥٩ .
(4) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢٠٥ .

منذ بداية النص؛ لأن تحقق الجملة اللحقة متوقفة على حدوث الجملة الأولى, بواسطة الترتيب الزمني للأحداث, حتى يضمن لها التماسك[1].

ومن الأمثلة الأخرى الواردة في هذا النوع من الربط, قوله عليه السلام في باب استعمال العلم, فقال عليه السلام : **((إذا سمعتم العلم فاستعملوه , ولتتسع قلوبكم , فإنَّ العلم إذا كثر في قلب رجل لا يحتمله , قدر الشيطان عليه , فإذا خاصمكم الشيطان , فأقبلوا عليه بما تعرفون , فإنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً , فخاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله عزَّ وجلَّ))[2] .**

الترابط الزمني واضح في هذا النص, فقد وظّف الإمام عليه أداة الربط الفاء ست مرات في النص (فاستعملوه, فإن, فإذا, فأقبلوا, فإن, فخاصموه), مما جعلها تسهم بشكل كبير في تماسك النص, من خلال ربطه زمنياً, فاستعمال الفاء هنا دون غيرها من أدوات العطف جاء مناسباً لمقتضى الحال, والسياق الذي ورد فيه النص, فاستعمال العلم بعد تعلمه لا يحتاج إلى تأخير وتراخي زمني, وكذلك في الجملة الثانية إن متعلم العلم الذي لا يقدر عليه قلبه أي لا يستعمل علمه في سبيل الله فيكون استحواذ الشيطان عليه سريعاً؛ لأنه متربص ببني آدم وينتظر الفرص, أما مخاصمة الشيطان بالظاهر من قدرة الله فهذه واضحة, فالمتلقي يجد أن عناصر النص مترتبة ترتيباً زمنياً لا مهلة بين الأحداث النصية, فالسرعة المتوفرة في النص جاءت ملائمة للدلالة الداخلية, فربط أزمنة الجمل المكونة للنص بأداة الربط الفاء والتي ((بدورها يترابط بعضها ببعض فتكوّن وحدات تجمع بينها وحدة زمنية))[3] , فالدلالة الزمنية التي تقدمها الفاء في وسق النص بزمن تعقيبي لا تراخي فيه, ((ثم تتولد المرحلية في الأحداث, أو التعقيب, فنجد الأداة (الفاء) حاضرة لتربط بين الأحداث لغاية المراحل الأخيرة))[4], وهذا ما يبدو جلياً من حركة حرف العطف على الخط الأفقي للنص, مما أسهم في سبك النص وتماسكه نحوياً .

---

(1) ينظر : أصول تحليل الخطاب : ٢/ ٦٣٢ .
(2) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ١/ ١٨٢ .
(3) نسيج النص : ٧٥ .
(4) النثر الصوفي دراسة في لسانيات النص : ١٠٣ .

ومن الأمثلة الأخرى على الربط الزمني بحرف العطف (ثمّ), ما جاء في مسند الإمام الباقر عليه السلام, فقال : **((يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك , أنت يوم تفارقهم كضيف بتَّ فيهم , ثمَّ غدوت عنهم إلى غيرهم , الدنيا والآخرة كمنزل تحوّلت منه إلى غيره , وما بين الموت والبعث إلَّا كنومة نمتها, ثم استيقظت منها , يا مبتغي العلم أن قلباً ليس فيه شيء من العلم كالبيت الخرب لا عامر له))**[1].

إن ما جاء في أدبيات الأئمة عليهم السلام دائماً ما يتحدثون عن الحياة الدنيا والآخرة والمقارنة بينهما, والموت والبعث, فالنص هنا يتحدث عن الانتقال من الدنيا إلى الآخرة, فجاء الربط منسجماً مع ما يدّل عليه النص من معنى فجملة (غدوت عنهم إلى غيرهم) معطوفة على جملة (أنت كضيف بتّ فيهم), بأداة العطف (ثمّ) , وبهذا العطف أسهمت الأداة في ترابط الجملتين, فظهرتا كأنهما جملة واحدة منسجمة التركيب, متسقة الشكل والمضمون, فالرحلة بين العيش مع الأهل, ومفارقتهم عند الموت تتلاءم مع ما لأداة الربط هذه من معنى زمني تفيده, والترابط الثاني الحاصل في النص بالأداة نفسها, وهو عطف جملة (استيقظت منها) , على جملة (ما بين الموت والبعث إلا كنومة نمتها), فتشبيه الانتقال إلى الموت ثم إلى البعث ب النومة التي ينامها الانسان, فهذه الحال هي رحلة إيقاظ النائم من غفلته .

ثالثاً : الربط الاستدراكي :

وهذا النوع يتم بواسطته الربط بين العناصر التي بينها تنافر وتعارض في عالم النص[2], ويسمى بالربط العكسي[3] , ويطلق عليه أيضاً مصطلح وصل النقيض[4] , وهذه التسميات جاءت وفقاً لما يقوم به من ربط بين الجمل المخالف بعضها البعض, ووقع الاختيار على تسميته بالاستدراكي لشيوعه بين الدراسات

---

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام : 1/ ١٧٤ .
(2) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .
(3) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣ .
(4) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١١١ .

النصية, ويتمثل هذا الربط بالأدوات : لكنّ , بل , من ناحية أخرى ...إلخ[1] , وعند تتبع النصوص الباقرية في المسند متن الدراسة نلحظ استعمال الإمام عليه السلام لأدوات الربط الاستدراكي في عدة مواضع من كلامه, ومن مصاديق هذا قوله عليه السلام حين سُئِل عن صلاة الجماعة أهي فريضة أم لا؟ فقال عليه السلام : **((الصلاة فريضة , وليس الاجتماع في الصلاة بمفروض , ولكنَّه سنة , ومن تركها رغبة عنها وعن الجماعة المؤمنين لغير عذر ولا علة, فلا صلاة له))**[2] .

الإمام عليه السلام محاور بليغ, فعندما يسأله شخص يجيبه بطريقة منطقية, فنلحظ في جوابه لسؤال السائل أنه بدأ بالأمر المسلم به, ثم تدرج في الإجابة في بيان ما إن كانت صلاة الجماعة فريضة, فقد نفى الوجوب في الاجتماع عند الصلاة, ثم استدرك بأداة الاستدراك (لكنّ) ليثبت شيئاً آخر غير ما سبق, فكسر التوقع عندما جاء بالأداة الرابطة, فساعدت بذلك على ربط النقيضين على مستوى سطح النص, مما أضاف به معنى عميقاً, وبعداً دلالياً, فأسهم الربط الاستدراكي على وسق النص آخره بأوله مما زاد من تفاعل النص مع السامع والمتلقي.

ومن الأمثلة الأخرى الواردة في كلامه عليه السلام ربطه لعناصر النص بواسطة أداة الاستدراك الثانية وهي (بل), فهي تعطف الكلمات والجمل بعضها ببعض, فمصداق الربط بـ (بل) ما جاء في قوله عليه السلام في باب امتحان الشيعة : **((ما أكثر الوصف , وأقلَّ الفعل إنّ أهل الفعل قليل , ألا وإنّا لنعرف أهل الفعل , والوصف معاً , وما كان هذا منَّا تعامياً عليكم , بل لنبلوا أخباركم , ونكتب آثاركم))**[3] .

جاءت أداة الربط (بل) في النص السابق عاطفة بين الجمل , وهذا خلاف رأي جمهور النحاة , وهو رأي ابن مالك فهو يعدّها عاطفة للجمل[4] , وسار

---

(1) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣ .
(2) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٦/ ٣٢ .
(3) المصدر نفسه : ٢/ ١٥٦ .
(4) ينظر : شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : ٣٨٣ .

الباحث على هذا الرأي , فالأداة قد ربطت بين جمل النص من خلال الانتقال من التعامي وعدم معرفة أهل الوصف وأهل الفعل إلى العلم بهم , فحققت (بل) الربط الاستدراكي بواسطة عكس المعنى, فقد نفى عدم معرفتهم, بإثبات المعرفة بهم ولكن ليبلونهم ويكتب آثارهم , أي أنه ألقى الحجة عليهم وجعل فعلهم شاهداً على ما يقومون به, فساعد هذا الربط بين النقيضين على سبك النص وترابطه على المستوى السطحي لبنية النص, وأسهم في توسع الدلالة وعكس توقع المتلقي, وهذا ما يقوم عليه الربط بأدوات الاستدراك .

رابعاً : الربط السببي :

ويقوم هذا النوع بربط جملتين أو أكثر, ليعبر عن علاقة تربط العناصر وهذه العلاقة تكون سببية, وأدواته : لأن , لام التعليل , حتى , لكي ...إلخ[1] , ويطلق على هذا الربط مصطلح (ربط الاتباع)[2] , وهذا الربط لا يتم بحروف العطف بل بغيرها من الأدوات والعبارات التي تحقق هذا الغرض .

ومما ورد في النص الباقري مصداقاً لهذا الربط , قوله عليه السلام في باب أن المؤمن أخو المؤمن , فقال : **((المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ خلق المؤمنين من طينة الجنان , وأجرى في صورهم ريح الجنة , فلذلك هم إخوة لأب وأمّ))[3] .**

قام الإمام عليه السلام بتوظيف أداة الربط السببي (لأن) في ربط جمل النص السابق , فبهذا الربط مثّلت الجمل علاقة السبب والنتيجة, فالمؤمنون إخوة لأب وأم , لأنهم خلقوا من طينة واحدة , فأراد الإمام عليه السلام في قوله هذا إثبات إخوة المؤمنين , وهذا القول يحقق الغاية الاجتماعية فنتيجة لفهم معنى الكلام السابق تتحقق الألفة والمحبة ومساعدة الآخرين فيما بينهم, لأنهم إخوة ومن أصل واحد , واجتمع في هذا النص أداة أخرى وهي عبارة (لذلك) فمن

---

(1) ينظر : تحليل الخطاب : ٢٢٩ , والنص والسياق : ١٠٤ .
(2) ينظر : نظرية علم النص رؤية منهجية لبناء النص النثري : ١١٢ , وما بعدها .
(3) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢١٩ .

النصيين من عدّها واحدة من أدوات الربط السببي[1] , فجاءت عبارة (فلذلك) متضافرة مع (لأن) لربط جمل النص , فكانت حركة الدلالة داخل هذا النص تنتقل بين سبب ونتيجة وسبب ونتيجة, فهم قد خُلقوا من طينة الجنة, ونتيجة لذلك الخلق أنهم أصبحوا إخوة , فيتضح أثر الأداتين في خلق التماسك الذي امتاز به النص؛ لذا فقد جاء متسق الكلمات على هيأتها السطحية, ومنسجماً من جهة الدلالة .

ومثال آخر على الربط السببي , قول الإمام عليه السلام : **((إنّ الله عزَّ وجلَّ جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبّبه إليهم المعروف , وحبّب إليهم فعاله , وأوجب على طلّاب المعروف الطلب إليهم , ويسرّ عليهم قضاءه , كما يرّ الغيث إلى الأرض المجدبة ليحييها , ويحي أهلها , وإنّ الله جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض إليهم المعروف , وبغّض إليهم فعاله , وحظر على طلّاب المعروف الطلب إليهم , وحظر عليهم قضاءه , كما يحظر الغيث على الأرض المجدبة , ليهلك به أهلها , وما يعفو الله عنه أكثر))**[2] .

وظّف الإمام الباقر عليه السلام أداة الربط السببي (لام التعليل) في موضعين من النص السابق, فربط بها بين جمل النص, وجاء هذا النص عبارة عن متتابعات جملية التي حملت معنى التضاد, وهو ما جعل قيمة أداة الربط تبرز في ترابط المتضادين, ففي الموضع الأول الذي وردت فيه لام التعليل (ليحييها) جاء يحمل دلالة النتيجة لسبب هو نزول الغيث , وهذا التركيب التشبيهي, فأهل المعروف يكون مثل الغيث لذلك حثَّ طلاب المعروف في الطلب إلى أهل المعروف, ليحققوا النتيجة المرجوة, أما في الموضع الثاني (ليهلكها) وهو تقابل دلالي (تضاد), فالنص سار على حركة التضاد الدلالي بين الجمل , وهذا التقابل في مضمون المعنى يحمل منتج النص إلى استعمال أدوات رابطة لوسق كلامه؛ لأن ((كل جملتين متقابلتين في النص ثانيهما

([1]) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ١٥٣ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢٤٢ .

تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط))[1] , لهذا فلا غنى عن أداة الربط هنا ليظهر النص بأعلى درجة من الترابط والتماسك شكلاً ومضموناً .

وفي ختام القول يتضح للباحث أن الربط وسيلة هامّة في اتساق النص, فبلحاظ الربط يحافظ النص على انسيابيته وتماسكه بجانبه الشكلي السطحي والدلالي المعنوي, فالجمل المتتابعة في عالم النص, فكل عنصر من عناصر النص متماسك مع العنصر الآخر بواسطة أدوات الربط, والتي يبدو جلياً أن أبرزها وأكثر وروداً هي أدوات الربط الإضافي , والواو بشكل خاص, وهذا نابع من طبيعة اللغة العربية, والإمام الباقر عليه السلام من العرب الأقحاح لذا فقد رأينا أنه وظّف أدوات الربط وفقاً لقواعدها, وبهذا فيكون الربط عنصرا ذا أهمية بالغة في اتساق النصوص .

([1]) نسيج النص ٢٨ .

الفصل الثالث

الاتساق المعجمي

المبحث الأول : التكرار .

المبحث الثاني : المصاحبة المعجمية (التضام) .

توطئة :

فالاتساق المعجمي هو وسيلة لربط النص عمادها المعجم, وما يقوم بين وحدات النص من علاقات[١] , وقال عنه هاليداي ورقية حسن بأنه : ((الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر))[٢] , أي أن الاتساق المعجمي هو بطبيعته نظام إحالي, لكنه مختلف عن وسائل الإحالة في كون عناصره معجمية تربطها علاقات داخل النص.

النص يكتسب صفة النصية بعلاقات الاتساق المعجمي عن طريق حركة العناصر المعجمية في النص لتنظم الفكرة, وتقدم معلومات تفسر العناصر الأخرى, والرابطة بين العناصر علاقة معجمية, مما يساعد على فهم النص عند سماعه أو قراءته, فيتصف بالتواصل[٣],والعناصر المعجمية في نظر فان دايك تحقق ضرباً من ضروب التكافؤ والتماثل, وتمهد بذلك لاتساق العناصر فيما بينها, ومن ثم تساعد في اتساق النص بتمامه[٤] , وتختلف وسائل الاتساق المعجمي عن غيرها من وسائل الاتساق النصي, فهي لا تحتاج إلى روابط تربطها فيما بينها, وإنما تتصف بالربط الذاتي, فبعضها يفسر البعض الآخر[٥].

ويقسّم هذا الفصل على مبحثين هما : التكرار, والمصاحبة المعجمية, وهو التقسيم الذي جاءت عليه جل الدراسات النصية.

---

(١) ينظر : أصول تحليل الخطاب : ١/ ١٣٨ .
(٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٠٥ .
(٣) ينظر : المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
(٤) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٠٩ .
(٥) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٠٥ .

المبحث الأول : التكرار

مفهومه :

يعد التكرار وسيلة من وسائل الاتساق المعجمي؛ وذلك بما يقدمه من إعادة عناصر معجمية, أو ورود مرادف لها, أو اسم عام[١] .

فالتكرار ظاهرة شائعة في اللغات البشرية بصورة عامة, وفي العربية على وجه الخصوص قد شكل التكرار موضوعاً مهمًّا, فقد حاز على اهتمام الدارسين قديماً وحديثاً, فعند علماء العربية القدامى تمت دراسة التكرار ضمن مباحث علم البلاغة, وكذلك في علم النحو, فالنحاة عندهم يعني أنه ((ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير))[٢], فنلحظ في المفهوم النحوي القديم أن للتكرار وظيفة ربطية, لكنهم لم يخرجوا هذا العنصر من وظيفة التوكيد, فالنحاة قد تناولوا تكرار الكلمات من جهة أنها تتكرر لتؤكد ما سبقتها, وعندما نضع التكرار في منظور الدراسات النصية الحديثة, فأنه يكون عامّاً ولا يقتصر على التوكيد اللفظي؛ لأنه ((ليس مساوياً للتوكيد اللفظي الذي قال به النحاة مساواة تامة, وإنما يعد التوكيد اللفظي صورة من صور التكرار, وعلى هذا فإن التكرار أعم وأشمل من التوكيد اللفظي؛ إذ يتخذ التكرار أنماطاً وأشكالاً أسلوبية لا يمكن تصنيفها تحت التوكيد للفظي, ولذا فكل توكيد لفظي تكرار, وليس كل تكرار توكيداً لفظياً))[٣] .

أما ما جاء في الدرس البلاغي فالقليل من علماء البلاغة قد تنبهوا إلى الوظيفة الاتساقية التي يقوم بها التكرار, فهذا الجرجاني يقول عن التكرار بأنه ((من معاني النحو التي ثبتّ في النظم الانسجام والاتساق والتناسق))[٤] , فهذا الكلام الموجز الذي قاله الجرجاني يتضح لنا إدراكه لمزية التكرار في اتساق النص والمحافظة على استمراريته, أما عالم آخر من علماء البلاغة فقد وضع

---

(١) ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب : ١٠٠ .
(٢) شرح الرضي على الكافية : ١/ ٤٩ .
(٣) المعايير النصية في القرآن الكريم : ١٧٤ .
(٤) دلائل الإعجاز : ٨٥ ـ ٨٦ .

التكرار على نوعين : لفظي ومعنوي, فاللفظي عنده هو ((إعادة اللفظ الواحد بالعدد والنوع في القول مرتين فصاعداً؛ خشية تناسي الأول لطول العهد به في القول))[١] , فمفهوم التكرار عنده مقارب لما جاء به لسانيو النص, وعلماء اللغة المتأخرين, فهذا الكلام يشعر أن في داخل عالم النص هناك كلمات ضرورية التكرار؛ لتحقق تماسك النص واتساقه .

ومن الجدير بالذكر أن للتكرار أنواعاً وأغراضاً تمت مناقشتها قديماً[٢] , وقد اكتفى الباحث في الإشارة إليها فقط دون الغور في تفاصيها؛ لأن ما يهم في دراستنا النظر للتكرار في المدى الذي يحقق من اتساق النصوص وترابطها .

أما التكرار في الدراسات النصية فقد تطورت دراسته وتوسعت الفكرة في النظر إليه بشكل أشمل وأوسع من النظرة الضيقة للنحاة القدامى, لما يقدمه من وظيفة بالغة الأهمية بما يحققه من ((إنعاش الذاكرة وتماسك النص))[٣], لأنه إعادة لعنصر معجمي, نفسه, أو مرادفه, أو عنصر مطلق أو اسم عام[٤] , وبمفهوم آخر فالتكرار هو ((عملية تقوم على تكرار لفظ أو استبداله بآخر دون تجدد في الخارج, فيكون الأمر من قبيل تجدد الدلالة على المعنى, وتعطل تجدد الإحالة على الخارج))[٥] , ويبين دي بو جراند الوظيفة النصية للتكرار بمنحه منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة[٦] , وهذه الوظيفة تساعد على تقوية وتدعيم اتساق النص بشرط أن يكون العنصر المكرر وارداً بنسبة كبيرة في النص, مما تميزه , ويسهم في فك شفرات النص, ومعرفة كيفية الأداء الدلالي, فضلاً عن الوظيفة الدلالية التي يكتسبها النص بفضل امتداد عنصر ما من أول النص إلى آخره, والعنصر المكرر إما أن يكون كلمة, أو عبارة, أو جملة, أو فقرة[٧] .

---

(١) المنزع البديع : ٤٧٦ .
(٢) ينظر : المثل السائر : ٣/٣ , وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : ٣٦٢ .
(٣) التوحد الإبداعي في نحو النص : ١١ .
(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٤ .
(٥) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية : ٢/ ١١٠٨ .
(٦) النص والخطاب والإجراء : ٣٠٦ .
(٧) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٢ .

فضلاً عن الوظيفة التي يقوم بها التكرار ألا أنه يقوم بإيصال فكرة للمتلقي مفادها أن النص بنية واحدة متكاملة الأجزاء, فسكون تتابع الجمل وفقاً لنظام معين, تسهم فيه كل جملة في فهم سابقتها, كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة[1].

ومن الباحثين في لسانيات النص من يرى أن التكرار جزء من الإحالة, وهو ما أطلقوا عليه مصطلح (الإحالة التكرارية) , فهو عملية إعادة عنصر, أو عدد من العناصر في جمل النص[2] , وبهذه النظرة لتكرار من أنه عنصر إحالي يتحتم على التكرار أن تحتوي ألفاظه على مرجعيات كما هي حال عناصر الإحالة جميعاً .

وبهذا القدر من عرض لوجهة نظر دارسي علم لغة النص للتكرار يتبين لنا الدور الكبير الذي يلعبه التكرار في الأداء اللغوي وتكثيف الدلالة مما يقدمه من تقوية ((دور اللغة في تأدية المعنى, وهذا يعني وضوحاً أكثر للدلالة, والخلاص من عناء التأويل؛ لإيجاد الانسجام في النص, وابعاد النص عن التشتت))[3] .

أثر التكرار في اتساق النص :

اتفق معظم علماء لغة النص على أن التكرار وسيلة من وسائل اتساق النص تهدف إلى تقوية التماسك, ويأتي التكرار لتكوين علاقات بين أجزاء الخطاب, فللتكرار وظيفة فضلاً عما يؤديه من وظائف دلالية فإنه يسهم في وسق النصوص عن طريق امتداد العنصر المعجمي على طول جمل النص وهذا الامتداد مع ما يساعده من وسائل أخرى ينتج عنه توحيد المعنى, وترابط مكونات النص[4] .

وبمعرفة أن التكرار يسهم في تقوية المعاني وتوحيد الدلالة الكلية للنص, فهو يساعد في تدرج المعاني بين أجزاء النص للتوصل إلى الغاية المنشودة منه, بيد

---

(1) ينظر : علم لغة النص اتجاهات ومفاهيم : ١٩٢ .
(2) ينظر : نسيج النص : ١١٩ .
(3) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص : ٩٢ .
(4) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢١ .

أن التكرار ((يفضي إلى تكامل بين قواعد الربط وقواعد التنامي, فالجملة التكرارية التي توجد في مكان يختتم به الكلام, توجد أيضا في مكان يبتدأ به الكلام, وهذا يعني أنها توجد في مكان واحد وتؤدي مهمتين : إنها في الأولى بمنزلة التعقيب, وهي في الثانية بمنزلة المضمون, وهي بحكم موقعها هذا تربط بين العناصر النصية بضم سابق إلى لاحق, ثم أنها تفتح لما سيأتي سبيل التحقق والتنامي))[١] .

ولا يفوت الباحث الإشارة إلى أن هناك من الباحثين الذين أكدوا على أن الإسراف في تكرار العناصر في النص دون اختلاف في المرجع يعد عيباً بلاغياً, ومما يؤدي إلى خفض كفاءة النص الإعلامية, ويمكن تلافي هذا العيب باستعمال أساليب تتكرر فيها الأشكال مع اختلاف في محتواها, أو العكس فيتكرر المحتوى باختلاف الشكل[٢] .

أنواع التكرار في الدرس النصي :

لم يخرج الباحثون في لسانيات النص عن التقسيم الذي جاء به هاليداي ورقية حسن في كتابهما للتكرار, فأنواع التكرار التي تحقق اتساق النص أربعة[٣] , وهي :

١ـ تكرار الكلمة نفسها (إعادة العنصر المعجمي) :

ويندرج تحته ثلاثة أقسام :

أـ التكرار المحض (التام) ويعني تكرار الوحدة المعجمية من مفردات أو جمل دون تغيّر في شكلها ووحدة معناها, ومن النصيين[٤] من ذهب إلى أن الضمير الذي يعود على اسم في النص يعد حالة من حالات التكرار, ولكن يُرد على زعمهم هذا لأن عود الضمير على اسم يفسره يدخل ضمن دراسة الإحالة

---

(١) الأسلوبية وتحليل الخطاب, د. منذر عياشي : ٨٥ .
(٢) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص : ٨١ ـ ٨٧ , وعلم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٣) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٤ ـ ٢٥ , وفي البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة : ٢٣٧ ـ ٢٤٦ , وعلم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٠٦ ـ ١٠٩ .
(٤) ينظر : نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية : ١٤١ .

بالضمائر وقد تمت دراسته في سابق صفحات البحث, وإن الضمير وإن كان يعود على اسم قد سبق ذكره في النص والمعنى يعود عليه , لكن لفظ الضمير ليس هو لفظ الاسم وبهذا لا يكون هناك تكرار للعنصر المعجمي نفسه؛ لذلك لا يدخل هذا في التكرار التام .

ب ـ التكرار الجزئي ويعني استعمال الاشتقاقات المختلفة للجذر اللغوي الواحد, وقد تمت دراسته صوتياً ضمن الجناس المشتق .

ج ـ الاشتراك اللفظي ويعني استعمال لفظين متفقين في اللفظ ومختلفين في المعنى, وهذا ما درسناه في الاتساق الصوتي في الجناس التام .

٢ــ إعادة الصياغة (الترادف) : ويقصد به التكرار بالمعنى مع تغيير الألفاظ, ويتضمن الترادف وشبهه[١] .

٣ــتكرار التوازي : ويراد به تكرار الأبنية النحوية والصرفية, مع اختلاف بالعناصر[٢] .

٤ــ تكرار الكلمة الشاملة : وقصد به ((شرح ما أجمل سابقا؛ ولذلك يحمل التفصيل مرجعية خلفية لما سبق إجماله))[٣] .

لا يخلو متن من الصفة التكرارية للكلام البليغ, فكيف بكلام الإمام الباقر عليه السلام وما يحمله من فصاحة وبلاغة, لذا فقد عمد الباحث إلى دراسة أنواع التكرار الواردة في النصوص الباقرية على وفق الأنواع التي أقرّها لسانيو النص .

أولاً : التكرار المحض (التام) :

أسلفنا أن هذا النوع من التكرار يكون في تكرير الكلمة نفسها , وبهذا القول يشابه الجناس التام من حيث أن حروف الكلمات المتكررة متشابه, لكنه

---

(١) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص : ٨٩ .
(٢) ينظر : الترابط النصي بين الشعر والنثر : ٥٧ .
(٣) علم لغة النص والأسلوب : ٥٤ .

يختلف في المضمون؛ لأن التكرار المحض يكون بتكرير المعنى نفسه أيضاً, أما الجناس التام فالمعنى مختلف بين اللفظين المتجانسين, ويكون التكرار المحض على قسمين[1] , فالأول يكون بتكرار العناصر, مع وحدة المرجع, وهذا القسم قد استغنى عنه البحث لعدم توفر الأمثلة الإجرائية عليه في كلام الإمام الباقر عليه السلام.

أما القسم الثاني والذي يكون بتكرار العناصر مع اختلاف في وحدة المرجع (التكرار المتعدد), وهذا هو المستحسن عند دارسي علم لغة النص, وعليه جاءت المصاديق في متن الدراسة .

من الامثلة الواردة في كلام الإمام الباقر عليه السلام حيث قال : **((بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمداً عبده ورسوله , آمنت بالله , وبجميع رسل الله , وبجميع ما أُرسِل به رسل الله , وإنّ وعد الله حق , ولقائه حق , وصدق الله , وبلَّغ المرسلون , والحمد لله رب العالمين وسبحان الله كلّما سبح اللهَ شيءٌ وكما يحب أن يُسبَح , والحمد لله كلَّما حمد اللهَ شيءٌ وكما يحب أن يُحمَد , ولا إله إلَّا الله كلّما هلل الله شيء وكما يحب أن يُهلَل , والله أكبر كلّما كبّر الله شيء وكما يحب أن يُكبَر))**[2] .

جاء في النص السابق تكرار لأكثر من مرة على امتداد النص, فقد كرر الإمام عليه السلام في قوله لفظ الجلالة (الله) في كل عباراته مما يدل على تعظيم الاسم وتقديسه, فقد كان لفظ الجلال حاضراً بصورة مكثفة بما يستحق هذا الاسم من الذكر الدائم , فابتدأ الإمام عليه السلام بالبسملة والتحي تحتوي اسم (الله) , جملة الوحدانية لله ونفي ما مزعوم من آلهة دونه, ثم تدرج الإمام عليه السلام في مقولته هذه, فصرّح بلفظ الجلال في الجمل (آمنت بالله , وبجميع رسل الله , وبجميع ما أرسل به رسل الله , وإن وعد الله حق , ولقائه حق , وصدق الله ... إلخ) في بعض جمل النص كان جائز للإمام عليه السلام الإضمار, لكنه اختار التصريح بالاسم الظاهر وتكريره تقوية للمعنى, وثبيتاً

([1]) ينظر : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة : ٢٤٢ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

للدلالة, مما أسهم في إظهار النص بهذا المظهر الجمالي, وساعد في وسق النص وأضفى عليه صفة الانسيابية, فجعل العنصر المكرر (الله) محور النص الذي يدور عليه وهذا مناسب لسياق الكلام, فضلاً عن أن تكرار لفظ الجلال وامتداده على طول جمل النص ينسجم مع صفة الألوهية, ,وإن كل شيء مرتبط بالله عزّ وجلّ .

ومما جاء في كلام الإمام الباقر عليه السلام في هذا النوع من التكرار, قوله عليه السلام : **((اللهم ربَّ السماوات السبع وما أظلَّت , وربَّ الأرضين السبع وما أقلّت , وربَّ الشياطين وما أضلّت , وربَّ الرياح وما ذرّت , وربَّ البحار وما جرت , إنّي أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها , وأعوذ بك من شرِّها وشرّ ما فيها))**[1] .

تكرر لفظ (ربّ) خمس مرات في قول الإمام الباقر عليه السلام, نلحظ تكرار اللفظ باختلاف المرجع وهو ما قلنا أنه المستحسن في التكرار المعجمي, فتكرار اللفظ بحروفه نفسها أضفى على النص طابع الاستمرارية, فالقارئ يلحظ وبشكل واضح مدى أثر المكررات التي تجعل جمل النص الواحدة تتلو الأخرى, لكن ما تتشاطر به الجمل هو اللفظ المكرر مما يمنحها تعالق نصي, فالامتداد للعناصر المكررة على طول النص؛ مما ينتج على أثره تتابع جمل النص وترابطها, وهذا التتابع يعد عاملاً نصياً يربط الوحدات النصية الكبرى بالوحدات النصية الصغرى, فيحكم العلاقات بين أجزاء النص[2] , ومزية التكرار في هذا المثال أدّت وظيفتها في خلق نسيج مترابط العناصر, مما جعل النص متنامي من جهة الدلالة ,فتكرار لفظ (ربّ) جاء منسجماً مع ما للفظ من دلالة الربوبية, فهو ربّ السماوات والأرضين وما بينهما ورب كل شيء, وفضلاً عن التكرار المحض للفظ (ربّ) , فقد جاء تكرار لفظ (خير) , وتكرار (شرّ) , ساعدت أيضاً في ترابط النص معجمياً, فضلاً عن وسيلة الربط الذي تحقق من خلال الواو, فتضافر الوسائل في النص يكسبه صفة النصية , فيظهر نتيجة لذلك كأنه

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٤٠٤ .
([2]) ينظر : أثر التكرار في التماسك النصي : ٢٤ . (بحث) .

وحدة بنائية متراصفة الأبنية على خط أفقي, مما يؤدي إلى استمرارية النص وجذب القارئ من دون ملل أو ضجر, وهذا ما يريده منتج النص في خطابه .

ومما جاء في النصوص الباقرية من مصاديق التكرار المحض, ما قاله عليه السلام في معرض حديثه عن الشكر, فقال : **((الطاعم الشّاكر له من الأجر مثل أجر الصائم المحتسب , والمعافى الشّاكر له من الأجر كأجر المبتلى الشّاكر , والغني الشّاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع))**[1] .

النص السابق ذكره جاء متمثلاً بكلمات متكررة , فتكررت لفظ اسم الفاعل (الشّاكر) لتضيف قيمة دلالية للنص, فقد وظّف الإمام عليه السلام العناصر المعجمية في هذا النص في خلق التماسك الذي يؤديه امتداد المكررات على طول النص, فالتكرار لهذا اللفظ جاء تأكيداً على الدلالة المركزية الكلية للنص وهي بيان قيمة الشّكر فالإمام عليه السلام يحث على الشّكر وهذا ما تعارفنا عليه في الأدبيات الإسلامية, وأدبيات أهل البيت بشكل خاص, فعمد الإمام عليه السلام مع تكرار (الشاكر) فقد كرر كلمة (أجر) في كل جملة من جمل النص وهذا التكرار الثاني أدى وظيفة معجمية أسهمت مع التكرار الأول على استمرارية النص بفضل الامتداد الحاصل على طول فقرات النص للعناصر المعجمية فنتجت عن ذلك وظيفة التكرار النصية؛ لأن التكرار ربط السابقة من الجملة بلاحقتها, فيستشف من ذلك الأثر الدلالي , فضلاً عن الربط الشكلي للنص, ومما يجدر ذكره أن أبنية النص الصغرى احتوت على عناصر معجمية مكررة, وعناصر متقابلة, فتقابلت اللفظتان (الطاعم, الصائم) , و(المعافى, المبتلى), و(الغني, المحروم), فتضافرت الوسائل المعجمية في خلق التماسك النصي , وتوحيد دلالة بنية النص الكلية .

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢٠٣ .

ثانياً : التكرار بالترادف :

والترادف هو ((الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد))[١], ولكن النظرة في هذا المطلب للترادف تكون باعتبار الفروق اللغوية للكلمات, فالكلمات المكررة في النص على اعتبار الفروق اللغوية الدقيقة بينها, تمثل التكرار بالترادف؛ لأنه يعد وسيلة من وسائل الاتساق المعجمي التي تربط النص وتحافظ على استمرارية المعاني في عالم النص[٢] , وأطلق عليه دي بو جراند ودريسلر مصطلح (إعادة الصياغة), وهذا ما يكون بتكرار المحتوى .

ومن هذا التكرار ما جاء في كلام الإمام الباقر عليه السلام حيث قال : **((اللهم هذا شهر رمضان وهذا شهر الصيام, وهذا شهر القيام, وهذا شهر الإنابة, وهذا شهر التوبة, وهذا شهر المغفرة, وهذا شهر العتق من النار, والفوز بالجنة, اللهم فصل على محمد وآل محمد وأذهب عني فيه النعاس والكسل والسامة والفترة والقسوة والغفلة والغرة, اللهم صل على محمد وآل محمد وجنبني فيه العلل والأسقام والهموم والأحزان والأعراض والأمراض والخطايا والذنوب , وأصرف عني فيه السوء والفحشاء والجهد والبلاء والتعب والعناء إنك سميع الدعاء))[٣] .**

جاء النص السابق زاخرا بالتكرار, ففضلاً عن التكرار بالترادف الذي هو مبتغانا هنا, التكرار المحض في بداية النص في لفظ (شهر) مما يعطي أهمية لشهر رمضان والتأكيد عليه, وما جاء مكرر بإعادة الصياغة ففي قوله عليه السلام (النعاس, الكسل, السامة, الفترة) فهذه الكلمات رابط دلالي معنوي فكلها تشير إلى عنصر واحد وهو التعب في هذا الشهر الذي فيه الصيام والقيام, وهذا ما يطلق عليه مصطلح (الترادف الإشاري) [٤] .

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٤٠٢ .
(٢) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٤٩ .
(٣) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٤٧٢ .
(٤) المعنى وظلال المعنى , د. محمد محمد يونس : ٤٠٤ .

وجاء من المكررات في هذا النص قوله عليه السلام (الجهد, التعب, العناء) فهذه العناصر مترادفة ترادفاً دلالياً, وهذا بدوره يحافظ على استمرارية النص وجذب المتلقي للقراءة من غير الشعور بملل القراءة, مما يخلق تماسكا شكليا على مستوي اتساق النص, فضلا عن الوظيفة الدلالية التي يقوم بها في محتوى النص , فيكون لهذا النوع من التكرار الدور البارز في ترابط النص سطحيا من جهة ومضموناً من جهة أخرى , وعمد منتج النص في ختام نصه إلى اجتلاب تركيب يتصف بصفة التلازم وهي (سميع الدعاء), وهذا التركيب يكثر استعماله في أسلوب الدعاء .

ثالثاً : التكرار البنية (التوازي) :

المقصود بالتوازي هو تكرار الأبنية نفسها, أو جزء منها مع ملء الجمل بعناصر جديدة بواسطة استعمال متواليات متعادلة نحوياً [1] , أي أنه ((في ذاته نوع من التكرار ولكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى))[2] .

وفي هذا المطلب ستُدرس التراكيب المتوازية من حيث تكرار التركيب والبنية , ومن أمثلة هذا النوع ما ورد في مسند الإمام الباقر عليه السلام , ففي قوله عليه السلام : **((يا معشر شيعتنا, اسمعوا وافهموا وصايانا , وعهدنا إلى أوليائنا , اصدقوا في قولكم , وبرّوا في أيمانكم لأولياكم, وأعدائكم , وتواسوا بأموالكم , وتحابوا بقلوبكم , وتصدقوا على فقرائكم واجتمعوا على أمركم , ولا تدخلوا غشاً ولا خيانة على أحد , ولا تشكوا بعد اليقين , ولا ترجعوا بعد الإقدام جبناء , ولا يولِّ أحد منكم أهل مودته , ولا تكونن شهوتكم في غير مودتكم , ولا مودتكم فما سواكم , ولا عملكم لغير ربكم , ولا إيمانكم وقصدكم لغير نبيكم))**[3] .

([1]) ينظر : مدخل إلى علم النص : ٧٢ .
([2]) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : ٢٤٥ .
([3]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٦/ ١٧ .

جاء نص الوصية السابق متضمناً لجمل متوازية تركيبياً, فالأبنية التركيبة التي تكونت منها جمل النص جاءت جلّها متكونة من (فعل أمر , واو الجماعة, شبه جملة جار ومجرور), فهذا البناء التركيبي المتوازي على امتداد النص قد منح النص القوة التماسكية, وساعد في تدعيم قوة النص , فعناصر النص المتمثلة بجمله قد تكرر نظمها, ولكن باختلاف الوحدات المعجمية فالتكرار هنا لم يكن بكلمات معينة, وإنما بتوازي الجمل والفقرات, وهذا التكرار يسهم في توحيد الدلالة للنص برمته ((مما يزيد المتلقي جذباً وتأملاً واحساساً بمعنى الترابط النصي))[1] .

ومن التكرار بالتوازي ما جاء في كلامه عليه السلام, حيث قال : **((يا جابر ما ظنَّك بقوم : أماتوا سنتّنا , وضيّعوا عهدنا , ووالوا أعدائنا , وانتهكوا حرمتنا , وظلمونا حقّنا , وغصبونا إرثنا , وأعانوا الظالمين علينا , وأحيوا سنتّهم , وساروا سيرة الفاسقين الكافرين في فساد الدين وإطفاء نور الحق))[2] .**

ورد التكرار المتوازي في المثال السابق في تكرار التراكيب النحوية مع اختلاف في الوحدات المعجمية, فالعناصر التركيبية المكررة جاءت مكوّنة من فعل ماضٍ وضمير الجماعة ومفعولاً به, ومما يضيف قيمة دلالية لهذا التكرار مجيء المكررات في بداية النص, وهذا يعطي للقارئ الشد والجذب نحو النص ليكمل قراءته لنهاية آخر عنصر يمتد به النص, فهذا النوع من التكرار يضفي على النص طابع الاستمرارية, فضلاً عما يبرزه من قيمة جمالية بفضل التراكيب النحوية المتوازية تركيبياً وصوتياً , فالنسيج المعجمي للنص السابق الذي انتجه منتج النص اتصف بالتراكم النحوي والصرفي, فالصيغ الصريفة المتوازية والمتحدة مع بعضها في جمل مفردة متوازية التراكيب, جعلت للنص وحدة مركزية يرتكز عليها منتج النص في إيصال رسالته التي يريد منها أن تصل للمتلقي المباشر, والقارئ بعد حين من الزمن, وهي إبراز مظلومية آل

([1]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١١٢ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ١/ ١٠٢ .

البيت وما تعرضوا له من شتى أنواع الأذى والتعدي عليهم من قبل أعداءهم وممن وتابعهم في العداء .

وتبرز قيمة هذا التكرار المتوازي في خلق تفاعل بين النص ومتلقيه , فالمتلقي عند ملاحظته للجمل التركيبية الموسوقة نحوياً بفضل عناصر النص المترابطة فيما بينها على مستوى الجملة, والذي خرج إلى مستوى النص ببنيته الكاملة مما أدى إلى الربط الجراماتيكي متنامي المعنى, متقابل التراكيب .

رابعاً : تكرار الكلمة الشاملة :

لا تخلو لغة من اللغات الانسانية من كلمات تتميز عن غيرها بصفة الشمول, وصفة الشمولية هذه جاءت من الكلمة الشاملة تمثل أساساً مشتركاً لبعض كلمات غيرها, والشمولية تمثل أهم علاقة من علاقات الحقول الدلالية[1] , وقد أطلق لاينز على هذه العلاقة مصطلح (الأساس المجموعي)[2].

مزية هذا النوع من التكرار تكمن في قيمته النصية في ربط النصوص وجمع شتاتها, من خلال نسج خيوط النص وجمع الكلمات المختلفة بكلمة شاملة تنضوي تحت دلالتها باقي الكلمات, فتظهر عناصر النص وكأنها تسير خطياً نحو مرجعها .

ومن الأمثلة الواردة في هذا النوع من التكرار قول الإمام الباقر عليه السلام , فقال : **((إنَّ مدمن الخمر كعابد وثن , ويورثه الارتعاش ,ويذهب بنوره , ويهدم مروءته , ويحمله على التجسر على المحرمات , من سفك دماء , وركوب الزنا))[3] .**

في النص السابق اشتملت جملة شارب الخمر على الجمل اللاحقة لها, بدلالة أن الخمر مشتمل على هذه الأفعال التي هي ارتعاش البدن, وذهاب المروءة,

---

(1) ينظر : علم الدلالة, د. أحمد مختار عمر : ٧٩ , ٩٨ .
(2) ينظر : علم الدلالة , جون لاينز : ٨٥ .
(3) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٥/ ٢٧٣ .

وارتكاب المحرمات من سفك دماء, وزنا , فهذه الأفعال لا تصدر من الشخص السليم عقلياً, إلا إذا كان تحتث تأثير هذا المسكر, فكان الإمام عليه السلام دقيق في اختيار عباراته مما جعل النص يدور حول محمور واحد وهو التحذير من التقرب إلى هذا الشيء الذي حرمه الله تبارك وتعالى صريحاً في كتابه , فعمد عليه السلام إلى ذكر الكلمة التي تشتمل على تلك الأفعال اللاحقة الذكر بعدها , مما يجعل القارئ يربط بين مكونات النص وهذا بدوره يسهم في اتساق النص معجمياً .

المبحث الثاني : المصاحبة المعجمية (التضام)

مفهومها :

بعد الانتهاء من دراسة التكرار المعجمي وما يقدمه من وظيفة نصية تسهم في اتساق النص, تأتي بعد ذلك دراسة المصاحبات المعجمية والأثر الذي تتركه على النص, ويقصد بها ((الارتباط المعتاد لكلمة في اللغة بكلمات أخرى معينة في الجمل))[١], وتعرّف في الدرس النصي بأنها ((توارد زوج من الكلمات بالفعل , أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة))[٢], فيعني أن الكلمات في هذه العلاقة مرتبطة منطقياً فتعتمد أحداها على ذكر الأخرى, أي ((أزواج من الألفاظ متصاحبة دوماً, بمعنى أن ذكر أحدهما يستدعي ذكر الأخرى))[٣].

وهذا المصطلح كغيره من المصطلحات الغربية التي تمت ترجمتها للعربية, فقد تُرجم مصطلح (**Collocation**) إلى عدة مصطلحات قام بجمعها أحد الباحثين وهي : التلازم, الرصف, التضام, الاقتران اللفظي, ويُعزى سبب التعدد في المصطلحات ؛ لاختلاف الترجمة لذلك المصطلح الذي جاء به فيرث[٤], ورجح الباحث مصطلح المصاحبة ؛ لإطراده في الدراسات ولقربه الشديد من مفهوم هذه الوسيلة المعجمية .

---

(١) المعنى وظلال المعنى : ١٢٢ .
(٢) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٥ .
(٣) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٠٧ .
(٤) المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية , حمادة محمد عبد الفتاح : ٦٥ . (أطروحة)

وجدير بالذكر أن هناك رأيين في علاقات هذه الوسيلة, فهمي قائمة على العلاقات بين الألفاظ, فذهب الرأي الأول إلى أن للمصاحبة المعجمية عدة علاقات , وهي : التباين, والتنافر, وعلاقة الجزء بالجزء, وعلاقة الجزء بالكل, والدخول في سلسلة مرنة, وعلاقة التلازم الذكري, وعلاقة الاندراج ضمن صنف عام[1] , أما الرأي الآخر - وهو المرجح - فقد تم تقسيم علاقات المصاحبة المعجمية على ثلاثة أقسام[2] , وهي : التلازم الذكري, والتضاد, وعلاقة الجزء بالكل .

فالبحث سيعتمد التقسيم الأخير؛ لذا فسيكون هذا المبحث على مطلبين ستأتي دراستها في قابل سطور البحث .

أثر المصاحبة المعجمية في اتساق النص :

لا يخفى على دراسي اللغة أن هناك تعالق بين الكلمات ينبع من طبيعة الألفاظ وما تحمله من معانٍ تربطها بالأخريات من الكلمات, فتتولد علاقة لا يمكن فصلها, وهي بهذا تكون متلازمة الذكر بذكر متعلقاتها, ولا نغفل ما جاء عن علماء العربية المتقدمين, وخير ما يذكر من تراثنا اللغوي ما جاء به الجرجاني في نظرية النظم, فيقول : ((وهل تجد أحداً يقول : هذه لفظة فصيحة, إلّا وهو يعتبر مكانها من النظم, وحسن ملائمتها لمعنى جاراتها, وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ وهل قالوا : لفظة متمكنة, ومقبولة, وفي خلافه : قلقة, ونابية, ومستكرهة, إلّا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما, وبالقلق عن سوء التلاؤم, وأن الأولى لم تلقَ بالثانية في معناها, وأن السابقة لم تصلح أن تكون وفقاً للتالية في مؤداها))[3] , فكلامه واضح عن مدى ارتباط بعض الكلمات ببعضها وفقا لعلاقة معجمية تعتمد المعنى في تأدية الهدف المنشود منها .

---

(1) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٥ , ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١١٣ .

(2) علم النص مدخل متداخل الاتجاهات : ٢٧ .

(3) دلائل الإعجاز : ٤٤ - ٤٥ .

ويبرز أثر المصاحبة المعجمية في عالم النص؛ لأنها قد تكون في جملة واحدة, أو في عدة جمل من النص الواحد, فتمتد الكلمات المتعالقة بعلاقة معجمية على طول النص مما يخلق سلسلة متتابعة من وحدات معجمية والتي تهدف إلى استمرارية معنى النص, فتعطي للقارئ مساحة كبيرة للتوغل في عالم النص والكشف عن الدلالات, مما يسهم في إيجاد الاتساق, وبهذا تتحقق صفة النصية للنص[١].

ولا يمكن إغفال دور السياق في المساعدة مع الكلمات ذوات العلاقات المعجمية في خلق التماسك النصي, ((إذ أن ورود العنصر في سياق العناصر المتعالقة هو الذي يهيئ الاتساق, ويعطي للمقطع صفة النص))[٢] .

العلاقات المعجمية الواردة في متن الدراسة :

كما أسلفنا في سابق السطور بحديث موجز عن أنواع العلاقات التي تنقسم عليها المصاحبة المعجمية, فيأتي الحديث هنا بأمثلة إجرائية من النصوص الباقرية التي تضمنت هذه العلاقات الثلاث ومنها :

أولاً : التلازم الذكري :

ويمثل إحدى وسائل الاتساق المعجمي, والتي تعني ((أن تجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد))[٣] , فعلاقة التلازم الذكري تعني أن العنصرين يلزم أحدهما ذكر الآخر, على نحو (الطبيب - المرض)[٤] , وتمت دراسة هذه العلاقة عند بلاغيي العرب قديماً تحت مصطلح (مراعاة النظير)[٥] , فالتلازم الذكري قائم على التقابل الإيجابي بين المتلازمين, فذكر الأول يستدعي سريعاً

---

(١) ينظر : غلم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٠٩ .
(٢) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٣٨ .
(٣) المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص مقاربة نصية في مقالات د. خالد المنيف : ٧٧ . (بحث)
(٤) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٥ .
(٥) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٥٥ .

ذكر الآخر الذي متعلق به, مما يسهم في ربط النص, ويبدي إسهامه في تعزيز الأسلوب وتقويته[1].

والإمام الباقر عليه السلام قد سار في أقواله على نهج أسالفه البلغاء, وسنن العربية الفصحى, لذا فاستعمل طبيعته اللغوية أفضل استعمال في وضع الألفاظ موضعها, وجلب ما يتعلق بها من متلازمات, فجاء في النص الباقري أمثلة على هذه العلاقة المعجمية, ومنها قوله عليه السلام : **((سبحان الله , والحمد لله , ولا إله إلَّا الله , والله أكبر , ما شاء الله لا قوة إلّا بالله الحليم الكريم , العلي العظيم , الرحمن الرحيم , الملك الحق المبين , عدد خلق الله وزنة عرشه , وملء سماواته وأرضه , وعدد ما جرى به قلمه , وأحصاه كتابه , ورضا نفسه))**[2].

جاء التلازم في هذا المثال في أكثر من موضع, فخلق سلسلة متتابعة من متواليات متلازمة , فجاءت المتلازمات كما هو آتٍ عند ذكر عبارة التسبيح لله (سبحان الله), ينتقل الذهن تلقائياً لقول عبارة (الحمد لله), وجاءت أزواج التلازم الذكري في (الحليم الكريم), و(العلي العظيم), و(الرحمن الرحيم), (الحق المبين), و(سماواته - أرضه), فاجتمعت دلالة الحلم بالكرم واختار المتلازمات لكي تبدو أوضح في التكشيف عن الدلالة الكلمات, فالمعاني للفظتين وورودهما في هذا السياق وهو سياق تعظيم للذات الإلهية فالصفتان المتآزرتان في وضوح معنى النص وتقويته من الجانب الاتساقي, وفي الزوج الآخر من المتلازمات (العلي العظيم), فالعلو والعظمة لله وحده لا يشركه أحد في علوه وعظمته فيتناسب مدلول الزوج المتلازم مع ما للنص من دلالة كبرى عائدة على الله جلّ وعلا, ثم يأتي التلازم الرابع في النص وهو (الرحمن الرحيم) هاتان الصفتان المتلازمتان بعلاقة معجمية قوية لا يمكن فصلها, وكيف يفصلهما فاصل وهما أحد عناصر البسلة فالقارئ للقرآن يتردد عليه هذا الزوج اللغوي المتلازم في بداية كل سورة عدا التوبة, فالتوالي الذي جاءت به الأزواج

([1]) ينظر : نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : ١١٦ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٤٦٠ .

المتلازمة جاء مناسباً لسياق النص, فبدأ بالحلم والكريم وهو عليّ عظيم, ثم تدرج بالوصول إلى ما يتصف به من الرحمة, ثم عرج على ذكر تلازم آخر متمثل بـ (الحق المبين) ففي الأدبيات الإسلامية وأحاديث الرسول وآل بيته نجد هذا النوع من التلازم الذكري فيكاد لا يخلو ذكر للفظة الحق من غير المبين, وقبل كل ذلك أن الحق دائما ما نراها تلازم المبين في التعبير القرآني, وهو خير شاهد ودليل.

أما من المتلازمات التي جاءت في النص السابق قوله: (سماواته , أرضه), واللفظين دائما الورود معاً, فمتلقي النص ما أن يسمع أو يقرأ السماوات إلا يتبادر إلى ذهنه سريعاً لفظ أرض أو أرضين, فتظهر علاقتهما المعجمية , ومما سبق من علاقات تلازمية للذكر, اتضح للباحث مدى إسهام هذه العلاقة في المحافظة على استمرارية النص, ومما يؤدي إلى اتساقه وتماسكه؛ فيتسم بصفة النصية بفضل هذه الأزواج اللغوية (المعجمية) .

ووردت علاقة التلازم الذكري في كلام الإمام الباقر عليه السلام في مثال آخر, حيث قال عليه السلام عندما سُئل عن الشيعة أين يكونون؟ فأجاب السائل بقوله : **((في أطراف الأرضين , أولئك الخفيض عيشهم , القريرة أعينهم , إن شهدوا لم يُعرفوا , وإن غابوا لم يُفتقدوا , وإن مرضوا لم يُعادوا , وإن خطبوا لم يُزوجوا , وإن وردوا طريقاً تنكبوا , وإن خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً , ويبيتون لربّهم سجَّداً وقياماً))**[1].

جاءت علاقة التلازم الذكري في المثال السابق بين الألفاظ (القريرة , أعينهم), و (غابوا, يفتقدوا), و(مرضوا, يعادوا), و(خطبوا, يزوجوا), هذه الألفاظ مطردة في الاستعمال اللغوي للعناصر في الحياة, فصفة القريرة أطرّد استعمالها مع لفظ العين في عند العرب, فالمتلقي عند سماعه لفة قريرة يتبارد إلى ذهنه أن لفظ عين أو أعين سوف تتبعها في الكلام, وكذلك الزوج الثاني من المصاحبة فالافتقاد يكون عند الغياب, فلولا الغياب لم يكن هناك افتقاد؛ لذا فقد جاء استعمال العنصر ملازما لذكر العنصر الثاني من الزوج المعجمي, وأما في التلازم الثالث

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٦/ ١٨ .

من هذا المثال فجاءت العلاقة بين لفظي (مرضوا, يعادوا) فالتلازم الذكري للوحدتين المعجميتين في قول الإمام عليه السلام هذا, فالعيادة تكون للمريض فقط وهي زيارة في الأصل, لكن العرف اللغوي أطلق هذا المصطلح على زيارة المريض ليصبح هناك تلازم بين ذكر اللفظين, وفي الزوج الرابع من المتلازمات الذكري (خطبوا, يزوجوا) وهذا التلازم الذكري متعارف عليه اجتماعياً فالخطبة يتبعها زواج, فذكر الخطبة يجعل القارئ منتبهاً إلى أن الذي يأتي بعدها الزواج, فأسهمت الأزواج المعجمية متلازمة الذكر في استمرارية النص والسير على خط أفقي متوالي الجمل في سلسلة من علاقات التلازم الذكري التي تربط مكونات النص مع بعضها البعض فتولد بذلك قوة يحصل بها تماسك النص, فضلاً عن التوحيد في الدلالة المركزية لبنية النص الكبرى .

ومما جاء من أمثلة في هذه العلاقة المعجمية قول الإمام الباقر عليه السلام في دعائه عند شرب الماء, فيقول : **((الحمد لله الّذي سقانا عذباً زلالاً برحمته , ولم يسقنا ملحاً أجاجاً بذنوبنا))**[1] .

وردت علاقة التلازم الذكري هنا بين لفظي (عذباً, زلالاً) , و(ملحاً, أجاجاً), فكل زوج معجمي من الزوجين المذكورين بين عنصريه علاقة التلازم, فالزلال صفة الماء , وكذلك لفظ عذباً هي أيضاً صفة للماء, لكن ذكر العذب يجعل منتج النص بحاجة إلى ذكر زلال لتقوية المعنى, فاللفظان متلازمان بالذكر وهذا فذكر واحداً منهما يجعل المتلقي متوقع أنه سيذكر الآخر, وأما في الزوج المتقابل مع الزوج الأول فصفة (أجاجاً) ملازم لذكر الملح, ولا يفوت الباحث من ذكر أن في النص سابق الذكر توجد علاقة تلازم من نوع آخر وهي علاقة التلازم الضدية, والألفاظ المتضاد ستُدرس في قابل السطور من المطلب المقبل, ولكن هنا نشير إلى أن هذا التقابل قد حصل بين تركيبين نحويين, فالعذب الزلال يقابل الملح الأجاج في الاستعمال اللغوي, مما يسهم اتساق النص وترابطه؛ بفضل ما يقدمه امتداد العناصر المعجمية متلازمة الذكر على طول جمل النص .

([1]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٣/ ٣٩٩ .

ثانياً : التضاد :

ويمثل وسيلة لغوية حجاجية تنتج عنها صوراً جمالية على مستوى اللفظ والدلالة لها الدور في اتساق النص[١] , والتضاد في مفهومه يعني وجود طرفين متقابلين ومتضادين في الدلالة تربطهما علاقة مما يترك أثراً في تماسك النص[٢].

والمتتبع لجذر هذه الوسيلة الاتساقية المعجمية يجد حضورها في دراسات البلاغيين العرب, لكنها تحمل غير المصطلح والمفهوم اللساني الحديث, أو بالأحرى الوظيفة التي يقوم بها التضاد , فقد تمت دراسة هذا العنصر تحت مصطلحين بلاغيين هما : (المطابقة , والمقابلة), فالمطابقة عندهم تعني ((الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة, أو الخطابة, أو البيت من بيوت القصيدة, مثل الجمع بين البياض والسواد))[٣] , والمقابلة تكون أكثر عموم من المطابقة؛ لأن بالمقابلة قد يكون المتقابلان متضادين أو غير متضادين[٤] .

أما اللسانيون فتنبهوا إلى الوظيفة النصية التي يقوم بها التضاد, وليس الوقوف فقط الأثر الجمالي, فهذه العلاقة المعجمية لها من الأثر في اتساق النص[٥] .

الأمثلة التي جاءت تحتوي على عناصر متضادة قوله عليه السلام : **((يا أيها الناس إنما هو الله والشيطان , والحق والباطل , والهدى والضلالة , والرّشد والغيّ , والعاجلة والآجلة والعاقبة , والحسنات والسيئات , فما كان من حسنات فلله , وما كان من سيئات فللشيطان لعنه الله))**[٦] .

---

(١) ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص : ٩٩ .
(٢) ينظر : التماسك النصي في المثل القرآني : ٢٥ .
(٣) الصناعتين : ٣٠٧ , وينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٣ , وفن البديع, د. عبد القادر حسين : ٤٥ .
(٤) البرهان في علوم القرآن : ٣/ ٤٥٨ .
(٥) ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٠٩ , نظرية علم النص : ١١١ .
(٦) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢٣٤ .

وردت في النص السابق عدة كلمات متضادة, فالعناصر المتقابلة (الله , الشيطان), و(الحق , الباطل), و(الهدى , الضلالة), و(الرّشد , الغيّ), و(العاجلة , الآجلة , العاقبة), و(الحسنات , السيئات), فالعناصر المذكورة تجمعها علاقة التضاد الحاد, وهو ((الذي يكون أكثر قدرة على الربط النصي بدلالات متناقضة على مبدأ الضد يظهر حُسنه ضده))[1] .

فنلحظ مسير النص في خط أفقي على مستوى سطح النص, مما ينتج لنا دلالات ينقض بها اللاحقُ السابقَ, فالتضاد أسهم هنا في تقوية المحتوى الدلالي للنص, وحتى صار كأنه يعمل مقارنة, فالأعمال الخيرة من الله تبارك اسمه, أما نقيضها (المتضاد) فمن الشيطان, وعلاقة التضاد تسير في عالم النص أفقياً لتهيء لمنتج النص القدرة على إنتاج الدلالة أكثر, فعلى علاقة التضاد سارت عناصر النص على وتيرة ثابتة, مما يساعد في فهم الدلالات المنضوية تحت النص, فأسهمت تلك التقابلات المتضادة باتساق النص .

يستشف مما سبق أن للاتساق المعجمي الأهمية البالغة في اتساق النصوص وسبكها, ووسائله لا تحتاج إلى عناصر خارجية لتمارس عملها داخل عالم النص, وإنما قدرة القارئ وثقافته اللغوية ومعرفة معاني الكلمات هي ما تساعده في الكشف عن علاقات الاتساق المعجمي, ومعرفة أثرها في تماسك النص .

ومثال آخر على التضاد في كلام الإمام الباقر عليه السلام, فقال : **((اللهم فما كان من أمر هو أقرب من طاعتك , وأبعد من معصيتك , وأرضى لنفسك , فيسره لي , ويسرني له , وما كان غير ذلك , فاصرفه عني واصرفني عنه , فإنك لطيف لذلك , وقادر عليه))**[2] .

جاء التقابل الدلالي المتضاد بين تراكيب النص السابق في العناصر (أقرب , أبعد), و (طاعتك, معصيتك), وهذا النوع من التضاد الحاد, وهو تقابل في وضع اللغة , فالقرب نقيض البعد[3] , وكذلك الطاعة نقيضة المعصية, فالعصيان

([1]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١١٤ .
([2]) مسند الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢١٣ .
([3]) ينظر : لسان العرب : ١/ ٦٦٢ (قرب) , و ٣/ ٨٩ (بعد) .

يعد خروج عن الطاعة[1] , فالتضاد في هذا النص يختزل دلالات عديدة, فما كان يتقرّب به من الله من طاعة العبد لربه, فيطلب العبد تيّسره لذلك, وهو الأمر المرغوب فيه, أما الذي بضد ذلك فيكون أبعد للعبد عن ربه, فيطلب من الله صرفه عنه وهو معصية الله وهذا لا يكون مرغوباً فيه, ولبيان الخط الأفقي الذي سار عليه النص بانسيابية؛ بفضل ما قدّمه التضاد المعجمي نجده في المخطط

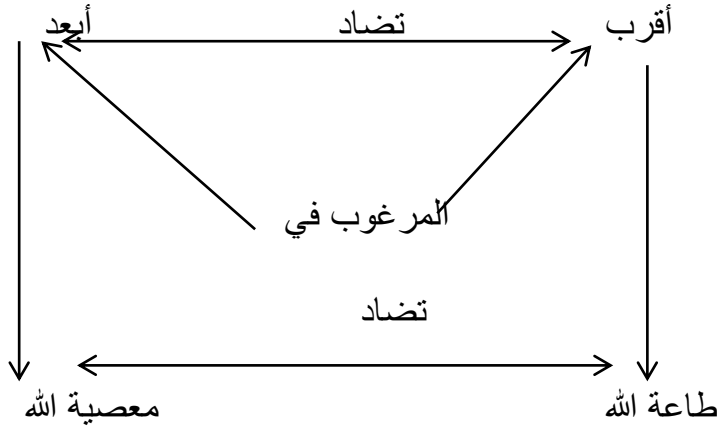

نلحظ سير علاقة التضاد داخل عالم النص بين عناصره مولدة بذلك قوة التماسك والاتساق, مما تتيح للمتلقي معرفة دلالة النص الكلية, فزاد النص بفضل التقابل الحاصل قوة اتساقية؛ لأن اتساق الجمل يقوى بتجاور مصاحباتها[2] .

وتظهر علاقة التضاد في مثال آخر من كلام الإمام الباقر عليه السلام, فنجده يقول : **((اللهم يا مالك الملوك , استخيرك فيما عزم رأيي عليه , وقادني يا مولاي إليه , فسهّل من ذلك ما توعر , ويسّر منه ما تعسّر , واكفني في استخارتي المهمّ , وارفع عني كلّ ملمّ , واجعل عاقبة أمري غُنماً , ومحذوره سُلماً , وبُعده قُرباً , وجَدبه خَصباً))**[3] .

وردت العناصر المتضادة في النص السابق في أكثر من زوج لغوي متصاحب, فالتقابل حصل بين صيغ صرفية متنوعة بين الاسمية والفعلية, والجامع بينها كلها هو التضاد بين كل عنصرين من الأزواج, فكثرت التقابلات في النص؛ لأن سياقه كان سياق دعاء وتوسل, فمنتج النص يستخير الله فهو

(1) ينظر : المفردات في غريب القرآن, الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) : ٥٧٠ . (عصا)
(2) ينظر : أصول تحليل الخطاب : ١/ ١٤٣ .
(3) مسندر الإمام الباقر عليه السلام : ٢/ ٢٥٣ .

طامع بالأمل, فعمد إلى تكثيف التقابلات المتضادة تضاداً حاداً لغوياً, فالمتعارف عليه في وضع اللغة أن السهل نقيض الوعر, واليسر نقيض العسر, والبعد نقيض القرب, والجدب نقيض الخصب, فتضافرت الأزواج المتصاحبة بعلاقة التضاد في جعل النص يحافظ على استمراريته, فأسهمت بذلك في خلق ترابط بين مكونات النص من الجمل الصغرى فيتحصل المعنى والدلالة الكلية للنص الناتجة عن تكثيف المتضادات, فيتلاءم بذلك مضمون النص وسياقه مع اتساقه شكلياً, فالمنعم النظر في هذا النص يجد أن النص ناتج عن تقابلات تجمعها علاقة تناسب, فالأزواج اللغوية جاءت تحت تسليط الفعل (اجعل), فالسياق هو سياق توسل وتضرع إلى الله والأمل في تحق المطلوب, لذا فقد امتدّت التقابلات على طول النص مما منحه صفة التعارض بين جمله, وهذا ساعد في إبراز معناه, مما أكسبه صفة النصية, فحافظ بذلك على اتساقه .

ويستشف مما تقدم أن وسيلة المصاحبة المعجمية الأثر البالغ في اتساق النص من خلال ما تقدمه من تضام في النصوص الباقرية, وهذا ما يؤدي إلى وحدة النص, ويفسر معناه, ويضفي بذلك دلالات كثيرة تسير بخط أفقي على امتداد المصاحبات في النص .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع كلام الإمام الباقر عليه السلام في المسند, فقد توصّلت الدراسة إلى نتائج يمكن إجمالها بنقاط :

١ــ يعد كلام الإمام الباقر عليه السلام من النصوص التي تتسم بالنصية؛ لما يتضمنه من آليات اتساقية أكسبته صفة النصية , فكان متناً رحباً لأدوات الاتساق النصي .

٢ــ تنوعّت وسائل الاتساق النصي الصوتية والنحوية والمعجمية في كلام الإمام الباقر عليه السلام , ولكنها قد جاءت بنسب متفاوتة ومتباينة .

٣ــ تأكد الباحث من أن وسائل وآليات الاتساق الصوتي كان لها حضور كبير في النصوص الباقرية فشكّلت عناصره بحسب علم المناسبة ملائمة بين الكلام والغايات التي أُنتج في ضوئها النص في أصوات تعطي دلالات سياقية , فالجناسات والسجعات والنغمات كلها أعطت الدلالة الصوتية المناسبة للمعنى المقصود في كل نص .

٤ــ الدراسة كبقية الدراسات في هذا المعيار النصي, فبرزت فيها الإحالة لتؤكد أنها أكثر وسائل الاتساق النصي حضوراً في كل المتون التي درست ضمن معيار الاتساق , فحققت الإحالة الترابط بين أجزاء الكلام وكان أبرزها الإحالة الضميرية .

٥ــ بيّنت الرسالة أهمية الحذف بأنواعه في سبك النص واتساع المعنى , والذي يسهم في ربط النص من خلال جعل المتلقي مفتشاً عن المرجعية في تحديد المحذوف فينجذب للنص ويقدر المحذوفات .

٦ــ حققت وسيلتا الاتساق المعجمي الغرض الاتساقي في وسق نصوص الإمام الباقر عليه السلام, فأسهم التكرار بصورة جلية في تحديد الدلالات المركزية

للنصـوص , وبـدورها لعبـت المصـاحبات المعجميـة دوراً رئسـاً فـي اتسـاق الـنص من خلال علاقاتها المعجمية

٧ـ نـدرت الأمثلـة الإجرائيـة علـى بعـض الوسـائل ممـا دفـع الباحـث للاسـتغناء عنهـا فـي الدراسـة , علـى سـبيل المثـال الاسـتبدال, وبعـض علاقـات المصـاحبة المعجميـة , وكذلك الإحالة الموصولة , والموازاة المقطعية .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولاً : الكتب المطبوعة :

- **الاتقان في علوم القرآن** , جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي , تح : محمد أبو الفضل إبراهيم , ط١ , دار الكتاب العربي , ١٩٩٩م .
- **الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون** , د. عباس علي حسين الفحام, ط١ , مكتبة الروضة الحيدرية, ٢٠١١م .
- **اختيار معرفة الرجال** , أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي , تح : جواد القيومي الأصفهاني , د.ط , مؤسسة النشر الإسلامي , قم - ايران , ١٤٢٧هـ .
- **أساليب البديع في القرآن** , جعفر السيد باقر الحسيني , ط١ , بوستان كتاب , قم - إيران , ١٤٢٩هـ .
- **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية** , عبد الهادي بن ظافر الشهري, ط١ , دار الكتب الجديد , ٢٠٠٤م .
- **اسرار البلاغة** , أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧٤هـ), قرأه وعلق عليه : محمود أحمد شاكر , ط١ , القاهرة - مصر , ١٩٩١م .
- **أسس علم اللغة ,** ماريو باي, تر: د. أحمد مختار عمر ,ط٨ , القاهر - مصر , ١٩٩٨م .
- **الأسلوبية وتحليل الخطاب** , د. منذر عياشي , ط١ , دار نينوى , ٢٠١٥م .

• **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**, محمد بن علي الشريف الجرجاني(٧٢٩هـ) , تح : د. عبد القادر حسين , مكتبة الكتب , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٧م .
• **الأصوات اللغوية** , د. إبراهيم أنيس , ط١ , مكتبة الأنجلو المصرية , ١٩٩٩م .
• **الأصوات اللغوية**, د. زين كامل الخويسكي , ط١ , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية ـ مصر , ٢٠١٤م .
• **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**, عبد الرحمن النحلاوي , ط٢٥ , دار الفكر , ٢٠٠٧م .
• **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ـ تأسيس نحو النص** ـ , د. محمد الشاوش , المؤسسة العربية للتوزيع , تونس , ٢٠٠١م .
• **الأصول في النحو** , أبي بكر محمد بن السرى بن سهل (ابن السراج), تح : محمد عثمان , ط١ , مكتبة الثقافة الدينية , ٢٠٠٩م .
• **الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة** , د. ظافر عبيس , ط١ , دار الكتب والوثائق العراقية , ٢٠١٤م .
• **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** , كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري (ت ٥٧٧هـ), تح : محمد محي الدين عبد الحميد , ط٤ , مطبعة السعادة , مصر , ١٩٦١م .
• **أنوار الربيع في أنواع البديع** , علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ), تح: شاكر هادي شكر , ط١ , مطبعة النعمان , النجف الأشرف ـ العراق , ١٩٦٨م .

• **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**, جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ), تح : محمد محي الدين عبد الحميد ,د. ط , منشورات الكتب العصرية , صيدا ـ لبنان , د. ن .

• **الإيضاح في علوم البلاغة**, محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ), تح: محمد عبد المنعم خفاجي , ط٣ , الشركة العالمية للكتب , بيروت ـ لبنان , ١٩٨٢م ـ ١٤١٣هـ.

• **الإيقاع في شعر الحداثة دراسة تطبيقية** , د. محمد علوان سالمان , ط١ , دار العلم والأيمان للنشر والتوزيع , إسكندرية ـ مصر , ٢٠٠٨م .

• **البديع** , عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) , ط٣ , دار المسرة , بيروت ـ لبنان , ١٩٨٢م ـ ١٤٠٢هـ .

• **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية** , د. جميل عبد الحميد ,د.ط , الهيأة المصرية العامة للكتب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٦م .

• **البديع تأصيل وتجديد** , د. منير سلطان , د.ط , منشأة المعارف بالإسكندرية , مصر , ١٩٨٦م .

• **البديع في ضوء أساليب القرآن** , عبد الفتاح لاشين , ط١, دار الفكر العربي , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٩م ـ ١٤١٩هـ .

• **البرهان في علوم القرآن**, بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ), تح : محمد أبو الفضل إبراهيم , ط٣ , مكتبة دار التراث , القاهرة ـ مصر , ١٩٨٤م ـ ١٤٠٤هـ .

• **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة** , عبد المتعال الصعيدي , ط١ , مكتبة الآداب , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٩م ـ ١٤٢٠هـ .

• **بلاغة الخطاب الإقناعي ـ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية**, محمد العمري , ط٢ , أفريقيا الشرق , ٢٠٠٢م .

• **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها** , عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني , ط١ , الدار الشامية للطباعة , بيروت ـ لبنان , ١٩٩٦م ـ ١٤١٦هـ .

• **البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة** , د. سعد عبد العزيز مصلوح , ط١ , مجلس النشر العلمي , الكويت , ٢٠٠٣م .

• **بلاغة العطف في القرآن الكريم ـ دراسة أسلوبية** , د. عفت الشرقاوي , , د.ط , دار النهضة العربية , بيروت ـ لبنان , ١٩٨١م .

• **البلاغة والتطبيق** , د. أحمد مطلوب, د. كامل حسن البصير , ط٢ , وزارة التعليم العالي والبحث العلمي , بغداد ـ العراق , ١٩٩٩م .

• **البنى الأسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية** , راشد الحسيني , ط١ , دار الحكمة للطباعة والنشر , ٢٠٠٤م .

• **البيان في روائع القرآن ـ دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني** , د. تمام حسان , ط٢ , عالم الكتب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٠م .

• **التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن** , زكي الدين بن الزملكاني (ت٦٥١هـ), تح: د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي , ط١ , مطبعة العاني , بغداد ـ العراق , ١٩٦٤م ـ ١٣٨٣هـ .

• **تحليل الخطاب** , براون, ويول , تر : د. محمد اطفي الزليطني , و د. منير التريكي , د.ط , مطابع جامعة الملك سعود , الرياض ـ السعودية , ١٩٩٨م ـ ١٤١٨هـ .

• **تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ـ نحو بناء نظرية المسالك والغايات** ـ , د. محمد محمد يونس , ط١ , دار كنوز المعرفة , عمّان ـ الأردن , ٢٠١٦م ـ ١٤٣٧هـ .

• **الترابط النصي بين الشعر والنثر** , د. زاهر بن مرهون الداودي , ط١ , دار جرير للنشر , عمّان ـ الأردن , ٢٠١٠م ـ ١٤٣١هـ .

التـرابط النصـي فـي ضـوء التحليـل اللسـاني للخطـاب , د. خليـل ياسـر البطاشـي , ط١ , دار جرير , عمّان ـ الأردن , ٢٠١٠م ـ ١٤٣١هـ .

• **التشـكيل الصـوتي فـي اللغـة العربيـة (فونولوجيـا العربيـة)** , د. سـلمان حسـن العـاني , تـر : د. ياسـر المـلاح , ط١ , النـادي الأدبـي الثقـافي , جـدة ـ السعودية , ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ .

• **التعبيـر القرآنـي**, د. فاضـل صـالح السـامرائي , ط٣ , دار ابـن كثيـر , دمشق ـ سوريا , ٢٠١٨م ـ ١٤٣٩هـ .

• **التعليـل الصـوتي عنـد العـرب فـي ضـوء علـم الصـوت الحـديث ـ قـراءة فـي كتـاب سـيبويه ـ** , د. عـادل نـذير الحسـاني , ط١ , مركـز البحـوث والدراسـات الإسلامية , بغداد ـ العراق , ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٠هـ .

• **التلخـيص فـي علـوم البلاغـة** , محمد بـن عبـد الـرحمن الخطيـب القزوينـي (٧٣٩هـ) ,تـح : د. عبـد الـرحمن البرقـوقي , ط٢, دار الفكـر العربـي , القاهرة ـ مصر , ١٩٣٢م ـ ١٣٥٠هـ .

• **التمهيـد فـي معرفـة التجويـد** , أبـو العـلاء الحسـن بـن أحمـد الهمـذاني (ت٥٦٩هـ), تـح : د. غـانم قـدوري الحمـد , ط١, دار عمـار للنشـر , عمّـان ـ الأردن , ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ .

• **تمهيـد فـي النقـد الحـديث**, د. روز غريـب , ط١ , دار المكشـوف , بيـروت ـ لبنان , ١٩٧١م ـ ١٣٩٢هـ .

• **التنغيم اللغـوي فـي القـرآن الكـريم**, د. سـمير إبـراهيم العـزاوي , دار ضـياء للنشر والتوزيع , عمّان ـ الأردن , ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ .

• **تهـذيب المقدمـة اللغويـة للعلايلـي**, تـح : أسـعد أحمـد علـي , ط٣ , دار السؤال للطباعة والنشر , دمشق ـ سوريا , ١٩٨٥م ـ ١٤٠٦هـ .

• **جنـان الجنـاس فـي علـم البـديع** , صـلاح الـدين بـن أبيـك الصـفدي , ط١ , مطبعة الجوائب , قسطنطينية , ١٢٩٩هـ .

• **خزانة الأدب وغاية الأرب** ,تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي (٨٣٧هـ) , تح : كوكب دياب , ط٢ , دار صادر , بيروت - لبنان , ٢٠٠٥م .
• **الخصائص** , أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) , تح : محمد علي النجار , دار الكتب المصرية , القاهرة - مصر , ٢٠٠٦م .
• **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني** , محمد محمد أبو موسى , ط٤ , مكتبة وهبة , القاهرة - مصر , ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ .
• **خصائص الحروف العربية ومعانيها - دراسة** -, د. حسن عباس , إتحاد الكتاب العرب , ١٩٩٨م .
• **دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية**, عبد الجواد محمد طبق , ط١ , ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ .
• **دراسة السمع والكلام** , د. سعد مصلوح , ط١ , عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة - مصر , ٢٠٠٥م .
• **دراسة الصوت اللغوي**, د. أحمد مختار عمر , ط٣ , عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة - مصر , ١٩٩١م .
• **الدراية في علم مصطلح الحديث ,** زين الدين العاملي , د.ظ , مطبعة النعمان , النجف الأشرف - العراق , د.ت .
• **دراسات في علم اللغة (الأصوات)**, د. كمال بشر , ط١ , دار غريب , القاهرة - مصر , ١٩٩٨م .
• **دراسات في فقه اللغة**, د. صبحي الصالح , ط٣ , دار العلم للملايين , بيروت - لبنان , ٢٠٠٩م .
• **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة** , د. سعيد بحيري , ط١ , مكتبة الآداب , القاهرة - مصر , ٢٠٠٥م .

• **دراسات منهجية في علم البديع** , الشحات محمد أبو ستيت , ط١ , ١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ .

• **دروس في علم أصوات العربية**, جان كانتينو , تر : د. صالح القرمادي , الجامعة التونسية , ١٩٦٦م .

• **دلائل الإعجاز** , أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤١٧هـ) , قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر , ط٣ , شركة القدس للنشر والتوزيع , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٢م ـ ١٤١٣هـ .

• **سر صناعة الإعراب**, أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) , تح : د. محمد حسن إسماعيل, و د. أحمد رشدي شحاتة, ط٢, دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , ٢٠٠٧م .

• **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** , بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني (ت٧٦٩هـ), تح : د. محمد محي الدين عبد الحميد , منشورات سيد الشهداء , إيران , د.ت .

• **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك** , أبو عبد الله بدر الدين بن جمال الدين محمد بن مالك (ابن الناظم) (ت٦٨٦هـ) , تح : د. محمد باسل عيون السّود , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , ٢٠٠٠م ـ ١٤٢٠هـ .

• **شرح الرضي على الكافية** , محمد بن الحسن الاستراباذي (٦٨٨هـ) , تصحيح وتعليق : د. يوسف حسن عمر , ط٢ , إيران , د.ت .

• **شرح المفصل** , موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ) , قدّم له : د. أميل يعقوب , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , ٢٠٠١م ـ ١٤٢٢هـ .

• **الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي** , د. نور الدين السد , ط١, ديوان المطبوعات الجامعية , ٢٠٠٧م.

• **الصناعتين ـ الكتابة والشعر** , أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ) , تح : علي محمد البجاوي , ومحمد أبو الفضل إبراهيم , ط١ , منشورات المكتبة العصرية , صيدا , لبنان , ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ .

• **الصور البديعية بين النظرية والتطبيق**, د. حنفي محمد شرف , ط١ , مكتبة الشباب , ١٩٦٦م .

• **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي** , طاهر سليمان حمودة , د. ط , الدار الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع , الإسكندرية ـ مصر , ١٩٩٨م .

• **علم الأصوات** , د. كمال بشر , ط١ , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٠م .

• **علم الأصوات العام ـ أصوات اللغة العربية**, د. بسام بركة , ط١ , منشورات مركز الإنماء القومي , بيروت ـ لبنان , ١٩٨٨م .

• **علم الأصوات اللغوية** , د. مناف مهدي الموسوي , د. ط , عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع , العراق , ١٩٩٨م .

• **علم الدلالة**, د. أحمد مختار عمر , ط٦ , عالم الكتب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ .

• **علم الدلالة** , جون لاينز , تر : د. مجيد عبد الحليم الماشطة , د. حليم حسين فالح , ط١ , البصرة ـ العراق , مطبعة جامعة البصرة , ١٩٨٠م .

• **دراسات في علم اللغة (الأصوات)**, د. كمال بشر , ط١ , دار غريب , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٨م .

• **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ـ دراسة تطبيقية على السور المكية** ـ , د. صبحي الفقي , ط١ , دار قباء للطباعة والنشر , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ .

• **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات** , د. سعيد حسن بحيري , ط١ , الشركة المصرية العالمية للنشر , لونجمان , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٧م .

- **علم النص دراسة جمالية نقدية**, د. مدحت الجيار , ط١ , منتدى سور الأزبكية , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٥م .
- **علم لغة النص النظرية والتطبيق**, د. عزة شبل محمد , ط١ , مكتبة الآداب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ .
- **علم لغة النص والأسلوب** , د. نادية رمضان النجار , مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع , ٢٠١٤م .
- **علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع**, أحمد مصطفى المراغي , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , ٢٠٠٧م .
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** , أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) , تح : محمد محي الدين عبد الحميد , ط٥ , دار الجيل , بيروت ـ لبنان , ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ .
- **العين**, الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) , تح : د. مهدي المخزومي , و د. إبراهيم السامرائي , د. ط , دار الرشيد للنشر , ١٩٨٠م .
- **فصول في فقه العربية**, د. رمضان عبد التواب , ط٦ , مكتبة الخانجي , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٩م ـ ١٤٢٠هـ .
- **فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية**, د. محمد المبارك , ط٥ , دار الفكر , بيروت ـ لبنان , ١٩٧٢م .
- **فلسفة البلاغة** , د. جبر ضموط , ط١ , المطبعة العثمانية , بعبدا ـ لبنان , ١٨٩٨م .
- **فن البديع** , عبد القادر حسين , ط١ , دار الشروق , بيروت ـ لبنان , ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ .
- **فن الجناس , بلاغة ـ أدب ـ نقد** , د. علي الجندي , دار الفكر العربي , د.ط , مطبعة الاعتماد , مصر , ١٩٥٤م .

• **في البحث الصوتي عند العرب** , د. خليل إبراهيم العطية , د.ط , دار الجاحظ للنشر , بغداد ـ العراق , ١٩٨٣م .
• **في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة**, د. سعد عبد العزيز مصلوح , ط١ , مجلس النشر العلمي , جامعة الكويت , ٢٠٠٣م .
• **في اللسانيات ونحو النص** , د. إبراهيم محمود خليل , ط١ , دار المسيرة للنشر والتوزيع , عمّان ـ الأردن , ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٧هـ .
• **قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب**, د. محمد محمد يونس , ط١ , دار الكتاب الجديد , بيروت ـ لبنان , ٢٠١٣م .
• **كتاب العين**, الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) , تح : د. مهدي المخزومي , و د. إبراهيم السامرائي , د. ط , دار الرشيد للنشر , ١٩٨٠م .
• **كتاب سيبويه** , أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) , تح : د. عبد السلام محمد هارون , ط٤ , مكتبة الخانجي , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٦هـ .
• **لسان العرب** , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) , دار الفكر العربي , بيروت ـ لبنان , د.ت .
• **لسانيات النص في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في آيات القول** , د. كاظم داخل جُبير الجبوري , ط ١ , مؤسسة دار الصادق الثقافية , العراق , ٢٠٢٣م .
• **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**, د. محمد خطّابي , ط١ , المركز الثقافي العربي , بيروت ـ لبنان , ١٩٩١م .
• **لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري**, د. أحمد مداس , ط٢ , عالم الكتاب الحديث , ٢٠٠٩م .

• **لسانيات النص النظرية والتطبيق (مقامات الهمذاني أنموذجاً)** , ليندة قياس , تقديم عبد الوهاب شعلان , ط١ , مكتبة الآداب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٩م ـ ١٤٢٥هـ .

• **اللغة العربية معناها ومبناها**, د. تمام حسان , ط١ , مطبعة النجاح , الجديدة , الدار البيضاء , ١٩٩٤م .

• **اللغة والمجتمع رأي ومنهج** , د. محمود السعران , ط٢ , دار المعارف , ١٩٦٣م .

• **مبادئ اللسانيات** , د. أحمد محمد قدور , ط٣ , دار الفكر, دمشق ـ سوريا , ٢٠٠٨م ـ ١٤٢٩هـ .

• **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** , أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير الموصلي (٦٣٧هـ), تح : د. أحمد الحوفي , و د. بدوي أحمد طبانة , د. ط , دار نهضة مصر للطباعة والنشر , القاهرة ـ مصر , د. ت .

• **المدخل إلى علم الأصوات العربي**, د. غانم قدوري الحمد , د.ط , مطبعة المجمع العلمي العراقي , بغداد ـ العراق , ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ .

• **مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بو جراند وولفجانج دريسلر** : د. ألهام أبو غزالة , وعلي خليل محمد , ط٢ , الهيأة المصرية العامة للكتب , ١٩٩٩م .

• **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** , د. رمضان عبد التواب , ط٣ , مكتبة الخانجي , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٧م ـ ١٤١٧هـ .

• **مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)** , زتسيسلاف واورزنياك , تر : د. سعيد حسن البحيري , ط٢ , مؤسسة المختار للنشر والتوزيع , ٢٠١٠م ـ ١٤٣١هـ .

• **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**, عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) , تح : محمد أحمد جاد المولى , ومحمد أبو الفضل , وعلي محمد البجاوي , ط٣ , مكتبة دار التراث , القاهرة ـ مصر , د. ت .
• **مسند الإمام الباقر عليه السلام** , عزيز الله العطاردي , ط١ , دار عطارد للنشر , إيران , ١٩٦١م ـ ١٣٨١هـ .
• **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب** , د. نعمان بوقرة , ط١ , عالم الكتب الحديث , إربد , ٢٠٠٩م ـ ١٤٢٩هـ .
• **المصطلحات المفاتيح في اللسانيات**, ماري نوال غاري بريور, تر: عبد القادر الشيباني , ط١ , سيدي بلعباس ـ الجزائر , ٢٠٠٧م .
• **معاني النحو** , د. فاضل صالح السامرائي , ط٢ , دار الفكر , عمّان ـ الأردن , ٢٠٠٠م ـ ١٤٢٠هـ .
• **المعايير النصية في السور القرآنية دراسة تطبيقية مقارنة** , د. يسرى نوفل , ط١ , كلية الآداب ـ جامعة طنطا , مصر , ٢٠١٤م ـ ١٤٣٣هـ .
• **المعايير النصية في القرآن الكريم** , د. أحمد محمد عبد الراضي , ط١ , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة ـ مصر , ٢٠١٠م .
• **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** , د. مجدي وهبة , و د. كامل المهندس ط١ , مكتبة لبنان , د .ت .
• **المعنى وظلال المعنى** , د. محمد محمد يونس , ط١ , دار المدار الإسلامي , بيروت ـ لبنان , ٢٠٠٧م .
• **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**, جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) , تح : محمد محي الدين عبد الحميد , ط١ , المكتبة العصرية , بيروت ـ لبنان , ١٩٩١م ـ ١٤١١هـ .

• **مفتاح العلوم**, أبو بكر محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ), ضبطه وعلَق عليه : نعيم زرزور , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ .

• **المفردات في غريب القرآن**, أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) , تح : إبراهيم شمس الدين , ط١ , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت ـ لبنان , ٢٠٠٦م ـ ١٤٣٠هـ .

• **المفصل في علوم البلاغة** , عيسى علي العاكوب , ط١ , جامعة حلب , حلب ـ سوريا , ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ .

• **مقالات في اللغة والأدب**, د. تمام حسان , ط١ , عالم الكتب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ .

• **مقاييس اللغة** , أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ), تح: عبد السلام محمد هارون , د.ط , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , ١٩٧٩م ـ ١٣٩٩هـ .

• **المقتضب** , أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) , تح : حسن أحمد , وأميل يعقوب , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , ١٩٩٩م ـ ١٤٠٠هـ .

• **مقدمة لدراسة فقه اللغة**, د. حلمي خليل , د.ط , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية ـ مصر , ١٩٩٢م .

• **مناهج البحث في اللغة**, د. تمام حسان , د.ط , مكتبة الأنجلو المصرية , ١٩٩٠م .

• **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع** , أبو محمد القاسم السجلماسي (ت بعد ٧٠٤هـ) , تح : علّال الغازي , ط١ , مكتبة المعرفة , الرباط ـ المغرب , ١٩٨٠م ـ ١٤٠١هـ .

- **مهـاد فـي لسـانيات الـنص**, د. خالـد حـوير الشـمس , ط١ , مؤسسـة دار الصادق الثقافية , بابل ـ العراق , ٢٠٢٢م .
- **موسـيقى الشـعر** , د. إبـراهيم أنـيس , ط٢ , مكتبـة الأنجلـو المصـرية , ١٩٥٢م .
- **موسـيقى الشـعر العربـي (مشـروع دراسـة علميـة)** , د. شـكري عيـاد , ط ١, دار المعرفة , ١٩٦٨م .
- **النثـر الصـوفي دراسـة فـي لسـانيات الـنص** , د. خالـد حـوير الشـمس , ط١ , مركز الكتاب الأكاديمي , عمّان ـ الأردن , ٢٠٢١م .
- **نحـو الـنص اتجـاه جديـد فـي الـدرس النحـوي** , د. أحمـد عفيفـي , ط١ , مكتبة زهراء الشرق , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠١م .
- **نحـو الـنص إطـار نظـري ودراسـات تطبيقيـة** ,عثمـان أبـو زنيـد , ط١ , عـالم الكتب الحديث , إربد ـ الأردن , ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٦هـ .
- **نحـو الـنص بـين الأصـالة والحداثـة** , د. أحمـد محمد عبـد الراضـي , ط١ , مكتبة الثقافة الدينية , ٢٠٠٨م .
- **نحـو الـنص نقـد النظريـة وبنـاء أخـرى** , عمـر أبـو خرمـة , ط١ , عـالم الكتب الحديث , إربد ـ الأردن , ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ .
- **النحو الوافي** , د. عباس حسن , ط٣ , دار المعارف , مصر , د.ت .
- **النحـو والدلالـة مـدخل لدراسـة المعنـى النحـوي ـ الـدلالي**, د. محمد حماسـة , ط١ , دار الشروق , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٠م ـ ١٤٢٠هـ .
- **نسـيج الـنص بحـث فـي مـا يكـون بـه الملفـوظ نصـاً** , د. الأزهـر زنـاد , ط١ , المركز الثقافي العربي , بيروت ـ لبنان , ١٩٩٣م .
- **الـنص والخطـاب قـراءة فـي علـوم القـرآن** , محمد عبـد الباسـط عيـد , ط١ , مكتبة الآداب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٠هـ .

- **النص والخطاب والإجراء** , روبرت دي بو جراند , تر : د. تمّام حسّان , عالم الكتب , القاهرة ـ مصر , ١٩٩٨م ـ ١٤١٨هـ .
- **النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي** ـ , فان دايك , تر : عبد القادر قنيني , د.ط , أفريقيا الشرق , ٢٠٠٠م .
- **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية** , د. مصطفى حميدة , ط١ , الشركة المصرية العالمية للنشر , ١٩٩٧م .
- **نظرية علم النص ـ رؤية منهجية في بناء الص النثري ـ** , حسام أحمد فرج ,ط٢ , مكتبة الآداب , القاهرة ـ مصر , ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٠هـ .
- **نظم البديع في مدح الشفيع**, جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) , تح : الشيخ علي محمد معوض , ط١ , دار القلم العربي , ١٩٩٥م ـ ١٤١٦هـ .
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** , جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) , تح : عبد العالم سالم مكرم , ط١ , مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية , د.ت .

ثانياً : الرسائل والأطاريح :

- الاتساق النصي في السور القرآنية المستهلة بأسلوبي الشرط والقسم , جبران شاطي معلك , (رسالة مجستير), كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة المثنى, ٢٠١٥م ـ ١٤٣٦هـ .

- أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية, د. مشتاق عباس معن, (أطروحة دكتوراه), كلية اللغات ـ جامعة صنعاء , ٢٠٠٣م .
- أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف, محمود سليمان الهواوشة, (رسالة ماجستير), جامعة مؤتة, ٢٠٠٨م .
- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion of English) لـ هاليداي ورقية حسن , شريفة بلحوت , (رسالة ماجستير), كلية الآداب واللغات ـ جامعة الجزائر , ٢٠٠٥م .
- التماسك النحوي وآلياته دراسة تطبيقية لنماذج من ديوان مفدي زكرياء, آسيا بن بريكة , (رسالة ماجستير)
- التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة, عيسى جواد الوداعي , (أطروحة دكتوراه) , كلية الدراسات العليا , الجامعة الأردنية , ٢٠٠٥م .
- التماسك النصي في المثل القرآني , شهلة عبد الرزاق , (رسالة ماجستير) , كلية اللغات , جامعة صلاح الدين , ٢٠١١م ـ ١٤٣٢هـ .
- جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم, محمد الصغير ميسة , (رسالة ماجستير) , جامعة محمد خيضر , بسكرة , ٢٠١٢م .

• السبك النصي في القرآن ـ دراسة تطبيقية في سورة الأنعام , أحمد حسين حيال (رسالة ماجستير) , كلية الآداب , الجامعة المستنصرية , ٢٠١١م ـ ١٤٣٢هـ .

• السجع القرآني دراسة أسلوبية, هدى عطية عبد الغفار , (رسالة ماجستير) , كلية الآداب , جامعة عين شمس , ٢٠٠٩م .

• المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية , حمادة محمد عبد الفتاح , (أطروحة دكتوراه) , كلية الدراسات الإسلامية والعربية , جامعة الأزهر , ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ .

• المعايير النصية في خطب المسيرة الحسينية, ولاء محمد عباس , (رسالة ماجستير) , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة المثنى , ٢٠١٨م ـ ١٤٤٠هـ .

• مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة, فاطمة سعيد , (أطروحة دكتوراه) كلية اللغة العربية , جامعة أم القرى , ٢٩٨٩م ـ ١٤١٠هـ .

ثالثاً : البحوث المنشورة :

• أثـر التكـرار فـي التماسـك النصـي مقاربـة معجميـة تطبيقيـة فـي مقـالات د. خالـد الحنيـف , نـوال بنـت إبـراهيم الحلـوة , مجلـة جامعـة أم القـرى لعلـوم اللغات وآدابها , عدد ٨ , ٢٠١٢م .

• أثـر التنغـيم فـي توجيـه الأغـراض البلاغيـة لعلـم المعـاني الاسـتفهام أنموذجـاً, د. مزاحم مطر حسين ,

• الإحالـة فـي نهـج البلاغـة ـ دراسـة فـي هـدي لسـانيات الـنص , رائـدة العكيلـي, مجلـة الكليـة الإسـلامية الجامعـة, النجـف الأشـرف ـ العـراق , العـدد ٣٢ , ٢٠١٥م .

• الإحالـة النصـية وأثرهـا فـي تحقيـق تماسـك الـنص القرآنـي دراسـة تطبيقيـة علـى بعـض الشـواهد القرآنيـة , عبـد الحميـد بوترعـة , مجلـة الأثـر , جامعـة قاصدي مرباح , ورقلة ـ الجزائر , العدد ١٦ , شباط ٢٠١٢م .

• التطريز الصوتي لسطح النص, نوال بنت إبراهيم , الرياض , ٢٠١٢م .

• التنغـيم عنـد ابـن جنـي, أحمـد البـايبي , مجلـة آفـاق الثقافـة والتـراث , الإمارات , العدد ٤١ , ٢٠٠٣م .

• التنغـيم فـي الـدرس اللغـوي بـين القـدامى والمحـدثين, م. حيـدر جبـار, مجلـة كلية الآداب, جامعة الكوفة, العدد ٥ , ٢٠٠٣م .

• التوحـد الإبـداعي فـي نحـو الـنص قصـيدة زحلـة لأميـر الشـعراء أنموذجـاً , د. محمد خليفـة محمـود , مجلـة الدراسـات العربيـة , جامعـة المينـا , كليـة دار العلـوم , مج٤ , العدد ١٩ , ٢٠٠٩م .

• الجـرس والإيقـاع فـي التعبيـر القرآنـي, د. كاصـد ياسـر الزيـدي, مجلـة آداب الرافدين, كلية الآداب ـ جامعة الموصل , ع/ ٩ , ١٩٧٨م .

• علـم اللغــة النصــي بــين النظريــة والتطبيــق (الخطابــة النبويــة إنموذجــاً) , مجموعــة مــن الأســاتذة , مجلــة علــوم اللغــة , دار غريــب , مــج : ٩ , عــدد : ٢ , ٢٠٠٦م .
• قضــايا صــوتية فــي النحــو العربــي, طــارق عبــد عــون الجنــابي:, مجلــة المجمــع العلمي العراقي , العدد ٢ , ١٩٨٧م .
• المصــاحبة اللفظيــة ودورهــا فــي تماســك الــنص مقاربــة نصــية فــي مقــالات د. خالــد المنيــف , نــوال بنــت إبــراهيم الحلــوة , مجلــة الدراســات اللغويــة , العــدد ٣ , ٢٠١٢م .
• **نحــو إجرموميــة للــنص الشــعري** , ســعد مصــلوح , مجلــة فصــول , العــدد ١٢ , يوليو ١٩٩١م .

summary

Textual studies have become the goal of many researchers, so that hardly a year is devoid of a study in the light of the linguistics of the text, which made me want to search in these studies for the purpose of breaking what is new, so I chose one of the criteria of textual that came out of de Beau Grand, so the study was limited to the standard of textual consistency only; All of it.

The texts studied in the body of the study varied and were distributed on his sermons, supplications, commandments, and explanatory texts.

Has adopted the descriptive analytical approach in the monitoring of procedural examples and analysis according to the textual analysis in the linguistics of the text, the study came on a plan drawn for her according to what has been inventoried of the material serves the classification of the study, came on three chapters preceded by an introduction, followed by a conclusion included the most prominent results of the study.

The first chapter came in the study of phonetic consistency, and divided it into three sections, the first section included the study of alliteration and its impact on the consistency of the text, and it has three demands, studied by the subsequent alliteration, and alliteration of the present tense, and alliteration of derivation, and then added some types of alliteration rare roses in the predicate, the second section dealt with the study of rhyme and its textual function that contributes to the coherence of the text, studied the types of rhyme of different types and their impact on the consistency of the text, Then came the study of intonation at the

end of this chapter, studied tones, and give them of functional value contribute to the coherence of the text at the phonetic level, and the impact of this on the difference in meaning.

The second chapter studied grammatical consistency and the extent of the impact of its means in the consistency of the text and coherence, divided it into three sections, the first of which was referral, and studied in this section referral of all kinds and impact on the texts, and the second section came in the study of deletion varied deletions in the words of the Imam peace be upon him, came the demands of this section to delete more than one sentence, and delete the sentence, and delete the singular (name, Act), and came the end of this chapter represented by the topic of linkage, studied the tools of linking according to their associative relationships, divided it on the additional linkage, and temporal linkage, and catch-up linkage, and causal linkage.

The conclusion of the study was the last chapter of which in the lexical consistency has divided this chapter on two sections, the first of them was in the study of repetition and its textual function in the consistency of the text in the words of Imam al-Baqir peace be upon him, studied in which the pure repetition, the synonymous repetition, the repetition of the word comprehensive, then the repetition of parallelism, and the study of these types according to their impact on the coherence of the text, Then came the second section of this chapter and the last in the study in the study of lexical accompaniment and the provision of this means of textual function contribute significantly to the consistency of texts.

Then came after these chapters a conclusion that contained the results of the study.

It is worth noting that the researcher has benefited from the books specialized in the field of the study of the linguistics of the text, and previous studies in the theoretical side of the study, and the researcher relied on the applied side on the narrations of the collector of the Musnad of Imam al-Baqir peace be upon him, after returning to the books of men and hadith to strengthen confidence in what is in the body of the study in order to get out of the study of the question about the validity of what was stated in the Musnad of the novels, The researcher's effort was focused on searching for the authenticity of the narrations before adopting them in the study.

Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Muthana University / College of Education and Humanit
Department of Arabic Language

Textual consistency in the Musnad of Imam al-Baqir (عليه السلام)

A letter submitted by the student

Ali Nima Jaber

To the Council of the College of Education for Humanities / Al-Muthanna University, which is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature/language.

Supervision

Prof. Dr. Sahib Munshid Abbas

١٤٤٤ ٢٠٢٣